
نجيب محفوظ
القبة

NAJIB MAHFOUD
MADLOUMAT
L'injustice

نجيب محفوظ



تحت المظلة

الناشر : مكتبة مصر
شارع كامل صدقي "الفجالة"

كتبت هذه القصص

فى الفترة بين اكتوبر وديسمبر ١٩٦٧


تحت المظلة



انعقد السحاب وتكاثف كليل هابط ثم تساقط الرذاذ . اجتاح الطريق هواء بارد مفعما بشذا الرطوبة . حث المارة خطاهم غير نفر تجمعوا تحت مظلة المحطة . وأوشكت الرتابة أن تجمد المنظر لولا أن اندفع رجل . اندفع راكضا كالمجنون من شارع جانبى واختفى فى شارع آخر على الجانب الآخر . تبعه على الأثر جماعة من الرجال والغلمان وهم يتصايحون « لص .. أمسكوا اللص » . وما لبثت الضجة أن خفت رويدا حتى ماتت وتتابع الرذاذ . وخلا الطريق أو كاد أما المتجمعون تحت المظلة فبعضهم ينتظر الباص والبعض لاذ بها خوف البلل . وبعثت ضجة المطاردة مرة أخرى وتدانت فى اشتداد وتضخم ثم ظهر المطاردون وهم يقبضون على اللص ومن حولهم الغلمان تهلل بأصوات رفيعة حادة . وعند عرض الطريق فى المنتصف حاول اللص الافلات فأمسكوا به وانهالوا عليه صفعا ولكما فمن شدة الضرب قاوم وضرب كيفما اتفق . وشدت اعين الواقفين تحت المظلة الى المعركة .

- يا لها من ضربات قاسية عنيفة !.
- ستقع جريمة أشد من السرقة !
- انظروا .. الشرطى واقف فى مدخل عمارة يتفرج ..
- بل أدار وجهه الى الناحية الأخرى ..

واشتد الرذاذ فتواصل أسلاكا فضية برهة ثم انهمر المطر. خلا الطريق الا من المتعاركين والواقفين تحت المظلة . نال الاعياء من الرجال فكفوا عن تبادل الضربات ولكنهم أحاطوا

باللص . وتبادلوا كلمات غير مسموعة معه وهم يلهثون .
ثم انغمسوا فى مناقشة هامة لم يميزها أحد دون مبالاة بالمطر .
التصقت الملابس بأجسادهم ولكنهم واصلوا النقاش باصرار
وبلا أدنى اكتراث بالمطر . ووشت حركات اللص بحرارة دفاعه
ولكن لم يصدقه أحد . ولوح بذراعيه فكأنما يخطب ولكن
ضاع صوته فى البعد وانهلال المطر . انه بلا شك يخطب .
وها هم يصغون اليه . تطلعوا اليه خرسا تحت المطر . وظلت
أعين الواقفين تحت المظلة مشدودة اليهم .

ـ كيف أن الشرطى لا يتحرك !

ـ لذلك خطرت فكرة .. أن يكون الحدث منظر تصوير
سينمائى !

ـ لكن الضرب كان حقيقيا ..

ـ والمناقشة والخطابة تحت المطر ؟!

شىء طارىء جذب النظر . فمن ناحية الميدان انطلقت
سيارتان فى سرعة جنونية . مطاردة حامية فيما بدا . المتقدمة
تطير طيرا والأخرى توشك أن تدركها . واذا بالمتقدمة تفرمل
بغتة حتى زحفت فوق أديم الأرض فصدمتها الأخرى صدمة
عنيفة مدوية . انقلبتا معا محدثتين انفجارا وسرعان ما اشتعلت
فيهما النيران . وارتفع صراخ وانين تحت المطر المنهمر . ولكن
لم يهرع أحد نحو الحادثة . ولم يكف اللص عن الخطابة . ولم
يلتفت أحد من المحدقين به الى بقايا السيارتين اللتين أدركهما
الخراب على بعد أمتار منهم . لم يبالوا بهما كما لا يبالون
بالمطر . ولمح الواقفون تحت المظلة آدميا من ضحايا الحادث
يزحف ببطء شديد من تحت سيارة ملطخا بالدم . حاول
النهوض على أربع ولكنه سقط على وجهه سقطة نهائية .

ـ كارثة حقيقية بلا أدنى شك .

ـ الشرطى لا يريد أن يتحرك !

ـ لا بد من وجود تليفون قريب .

ولكن أحدا لم يبرح مكانه خشية المطر . وقد انهل انهلالا مخيفا وقعقع الرعد . وانتهى اللص من خطابه فوقف ينظر الى مستمعيه بثقة واطمئنان . وفجأة راح يخلع ملابسه حتى تجرد عاريا . رمى بملابسه فوق حطام السيارتين اللتين أطفأ نيرانهما المطر . دار حول نفسه كأنما يستعرض جسمه العارى . تقدم خطوتين وتأخر خطوتين وبدأ يرقص فى رشاقة احترافية . واذا بمطارديه يصفقون له تصفيقات ايقاعية على حين تشابكت اذرع الغلمان وراحوا يدورون من حولهم فى دائرة متماسكة . وذهل الواقفون تحت المظلة ولكنهم رغم ذلك استردوا أنفاسهم .

ــ ان لم يكن منظرا تصويريا فهو الجنون !

ــ منظر سينمائى بلا ريب وما الشرطى الا احدهم ينتظر دوره .

ــ وحادث السيارتين ؟

ــ براعة فنية وسوف نكتشف المخرج فى النهاية وراء احدى النوافذ .

فتحت نافذة فى عمارة مواجهة للمحطة محدثة صوتا لافتا للنظر . لفتت الأنظار رغم التصفيق وانهمار المطر . ظهر بها رجل كامل الزى فصفر صفيرا متقطعا . وفى الحال فتحت نافذة أخرى فى نفس العمارة فظهرت بها امرأة متأهبة الزينة والملابس فاستجابت لصفيره باشارة من رأسها . اختفيا معا عن انظار الواقفين تحت المظلة . بعد قليل غادرا العمارة معا . سارا متشابكى الذراعين بلا مبالاة تحت المطر . وقفا عند السيارتين المهشمتين . تبادلا كلمة . أخذا يخلعان ملابسهما حتى تعريا تماما تحت المطر . استلقت المرأة على الأرض طارحة رأسهافوق جثة القتيل المنكفىء على وجهه . ركع الرجل الى جانبها . بدأ غزل رقيق بالأيدى والشفاه . ثم غطاها الرجل بجسده ومضى يمارس الحب . وتواصل الرقص والتصفيق ودوران الغلمان وانهمار المطر .

ـ فضيحة !
ـ ان يكن تصـويرا فهو فضـيحة وان يكن حقيقـة فهو جنون .
ـ الشرطى يشعل سيجارة . .
واستقبل الطريق شبه الخالى حياة جـديدة . جاءت من الجنوب قافلة من الجمال . يتقدمها حادى ويقودها رجال ونساء من البدو . عسكرت على مبعدة قصيرة من حلقة اللص الراقص . شدت الجمال الى أسـوار البيوت ونصبت الخيام . وتفرقوا فمنهم من تناول طعامه أو راح يحتسى الشاى أو يدخن وبعضهم غرق فى السمر . ومن الشـمال جاءت مجموعة من سـيارات السياحة محملة بالخواجات . توقفت فيما وراء حلقة اللص ثم غادرها راكبوها من الرجال والنساء فتفرقوا جماعات تستطلع المكان فى نهم دون مبالاة بالرقص أو الحب أو الموت أو المطر .
ثم أقبل عمال بناء كثيرون تتبعهم لوريات مثقلة بالأحجار والأسمنت وأدوات البناء . وبسرعة مذهلة شيدوا قبرا رائعا ، وعلى مقربة منه أقاموا من الأحجـار سريرا كبيرا ، فغطوه بالملاءات وزينوا قوائمه بالورود ، كل ذلك تحت المطر . ومضوا الى حطام السيارتين فاستخرجوا منه الجثث ، مهشمة الرءوس محترقة الأطراف ، وضموا اليها جثة المنكفىء على وجهه من تحت العاشقين اللذين لم يكفا عن ممارسة الحب ، ثم رصوا الجثث فوق السرير جنبا الى جنب . وتحولوا الى العاشقين فحملوهما معا وهما لا ينفصلان فأودعوهما القبر ثم سـدوا فوهته وأهالوا عليهما التراب حتى سووها بالأرض . استقلوا بعد ذلك اللوريات فانطلقت بهم فى سرعة عاصفة وهم يهتفون بكلام لم يميزه أحد .
ـ كأننا فى حلم !
ـ حلم مخيف ، ويحسن بنا أن نذهب . .
ـ بل علينا أن ننتظر .



ـ ماذا ننتظر ؟

ـ النهاية السعيدة .

ـ السعيدة ؟ !

ـ والا فبشر المنتج بكارثة !

في اثناء الحديث تربع فوق القبر رجل يرتدي روب القضاء . لم ير أحد من أين أتى . من عند الخواجات أو من عند البدو أو من حلقة الرقص لم يعرف أحد . بسط صحيفة بين يديه وراح يتلو نصا كأنما ينطق بحكم . لم يميز كلامه أحد اذ غطى عليه التصفيق وضوضاء الأصوات بشتى اللغات والمطر . ولكن كلماته غير المسموعة لم تضع فانتشرت في الطريق حركات كالأمواج الصاخبة في عنف وتضارب . نشبت معارك في محيط البدو وأخرى في مواقع الخواجات . واشتعلت معارك بين بدو وخواجات . وجعل آخرون يرقصون ويغنون . وأقبل كثيرون حول القبر وراحوا يمارسون الحب عرايا . واخذت النشوة اللص فتفنن في رقصه وابدع . واشتد كل شيء وبلغ غايته . القتل والرقص والحب والموت والرعد والمطر .

واندس بين الواقفين رجل ضخم . عاري الرأس يرتدي بنطلونا وبلوفر أسود وبيده منظار مكبر . شق مكانه بينهم بعنف واستهتار . وجعل يراقب الطريق بمنظاره متجولا به بين الأركان . وتمتم :

ـ لا بأس .. لا بأس ..

تعلقت به أعين المتجمعين تحت المظلة باهتمام .

ـ هو ؟

ـ نعم .. هو المخرج .

وعاد الرجل يخاطب الطريق مغمغما :

ـ استمروا بلا خطأ والا اضطررنا لاعادة كل شيء من البدء ..

عند ذاك سأله أحدهم :

ــ هل سيادتك . .

ولكنه قاطعه باشارة عدائية وحاسمة فازدرد الرجل بقية سؤاله وسكت . ولكن آخر استمد من توتر أعصابه شجاعة فسأله :

ــ حضرتك المخرج ؟

لم يلتفت اليه وواصل مراقبته . واذا برأس آدمى يتدحرج نحو المحطة فيستقر على بعد أذرع منها والدماء تتفجر من مقطع العنق بغزارة . صرخ الرجال فزعا أما الرجل فحدق بالرأس مليا ثم غمغم :

ــ براڤو . . براڤو . .

وصاح به رجل :

ــ ولكنه رأس حقيقى ودم حقيقى . .

فوجه الرجل منظاره نحو رجل وامرأة يمارسان الحب ثم هتف نافد الصبر :

ــ غيرا الوضع .. حذار من الملل ..

ولكن الآخر صاح به :

ــ ولكنه رأس حقيقى ، فمن فضلك فهمنا .

وآخر قال :

ــ كلمة واحدة منك تكفى لنعرف من أنت ومن هؤلاء ..

وثالث قال بتوسل :

ــ لا شىء يمنعك من الكلام !

ورابع تضرع قائلا :

ــ يا أستاذ لا تضن علينا براحة البال .

ولكن الأستاذ تراجع فى قفزة مباغتة . كأنما يدارى نفسه خلفهم . ذاب الصلف فى نظرة مترقبة . وتوارت نفخته . كأنما طعن به السن أو تردى فى مرض . رأى المتجمعون تحت المحطة نفرا من الرجال ذوى هيئة رسمية يتجولون غير بعيد من المحطة

كأنهم كلاب تشمم . واندفع الرجل راكضا مجنونا تحت المطر . انتبه اليه رجل من المتجولين فاندفع أيضا صوبه يتبعه الآخرون كعاصفة . وسرعان ما اختفوا جميعا عن الأنظار . مخلفين الطريق للقتل والحب والرقص والمطر .

ـ يا ألطاف الله ! لم يكن المخرج كما توهمنا ..

ـ فمن يكون ؟

ـ لعله لص ..

ـ أو مجنون هارب !

ـ أو لعله ومطارديه ضمن المنظر السينمائى .

ـ هذه أحداث حقيقية لا علاقة لها بالتمثيل .

ـ ولكن التمثيل هو الفرض الوحيد الذى يجعلها معقولة على نحو ما .

ـ لا داعى لاختلاق الفروض ..

ـ فما تفسيرك لها ؟

ـ هى حقيقية بصرف النظر ..

ـ كيف أمكن أن تقع ؟

ـ هى واقعة .

ـ يجب أن نذهب بأى ثمن .

ـ سندعى للشهادة عند التحقيق .

ـ ثمة أمل باق ..

قال ذلك واتجه ناحية الشرطى وصاح :

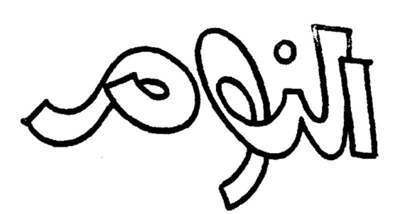
ـ يا شاويش ..

كرر النداء أربعا حتى انتبه اليه الرجل . قطب متنحنحا فأشار اليه يستدعيه قائلا :

ـ من فضلك يا شاويش ..

نظر الشرطى الى المطر متسخطا ثم حبك المعطف حول جسمه ومضى نحوهم مسرعا حتى وقف تحت المظلة . تفحصهم بقسوة متسائلا :

ـ ما شأنكم ؟
ـ الم تر ما يحدث فى الطريق ؟
لم يحول عينيه عنهم وقال :
ـ كل من كان فى المحطة استقل سيارته الا انتم فما شأنكم ؟
ـ انظر الى هذا الراس الآدمى !
ـ أين بطاقاتكم ؟
ومضى يتحقق من شخصياتهم وهو يبتسم ابتسامة ساخرة قاسية ثم سألهم :
ـ ماذا وراء اجتماعكم هنا ؟
تبادلوا نظرات انكار وقال أحدهم :
ـ لا يعرف أحدنا الآخر !
ـ كذبة لم تعد تجدى ..
تراجع خطوتين . سدد نحوهم البندقية . أطلق النار بسرعة واحكام . تساقطوا واحدا فى اثر الآخر جثثا هامدة . انطرحت اجسادهم تحت المظلة أما الرءوس فتوسدت الطوار تحت المطر .


النوم



هذه النخلة الوحيدة فى الفناء الترب تذكر بحوش فرافة . يجرى ذلك فى خاطره كلما مر عبر الفناء الى باب البيت الخارجى . واعترضه صاحب البيت وهو يرش الأرض بالخرطوم ، ناداه قائلا :

ــ استاذ .

اللعنة . ابغض يوم عنده يوم يصبح على وجهه . عجوز ناعم ، يفتر فوه أحيانا عن ابتسامة كشق فى لحاء شجرة .

ــ انت شاب وحيد ولكنك مهذب طيب السمعة ، لا شكوى من ناحيتك ، فبالله ما معنى الجلسات التى تعقد فى شقتك لتحضير الأرواح ؟!

ــ هل أستجوب عما يدور داخل شقتى ؟.

ــ نعم ، اذا امتد أثره الى من حولك ، ثم ان لى حقا فى مخاطبتك باسم صداقتى القديمة للمرحوم والدك ..

انطبع الامتعاض فى صفحة وجهه فقال صاحب البيت :

ــ لم أرك مرة واحدة فى صلاة الجمعة !

ــ وما دخل ذلك فى موضوعنا ؟

ــ المؤمن لا يهتم بهذه الالاعيب ، هذا ما أعنيه !

ضحك الشاب ضحكة قصيرة وقال :

ــ ولكن الاهتمام بذلك يعنى الايمان بالأرواح .

ــ كلا ، يعنى الشك أولا واخيرا .

فغير الحديث قائلا :

ــ أذكرك بجدار دورة المياه .

ـ لا تتهرب ، الحق ان هذه الجلسات تحدث بين السكان اضطرابا غير مستحب ..

ـ أنا لا أرتكب فعلا مخالفا للقانون ، وأرجو أن الجدار ..

ـ من الأفضل أن نبقى على وفاق .

ثم قال وهو يدفع بماء الخرطوم الى بعيد :

ـ أما عن أى اصلاح فعليك أن تقوم به بنفسك .

ما أبغض أن يصبح على وجهه يوم العطلة . والطريق شبه خال كشأنه فى بواكير العطلات . وثمة سقيفة من السحاب الثابت تمتد فوق الضاحية . واشتد عليه ثقل رأسه عقب ليلة لم ينم فيها أكثر من ساعتين . فبعد انفضاض حلبة التحضير قال لزميله مدرس التاريخ :

ـ يطيب الآن الحديث فى المصير ..

وتقضى الليل دون أن يجنوا من النقاش ثمرة . وقال له صديق ضاحكا وهو يغادر الشقة قبيل الفجر :

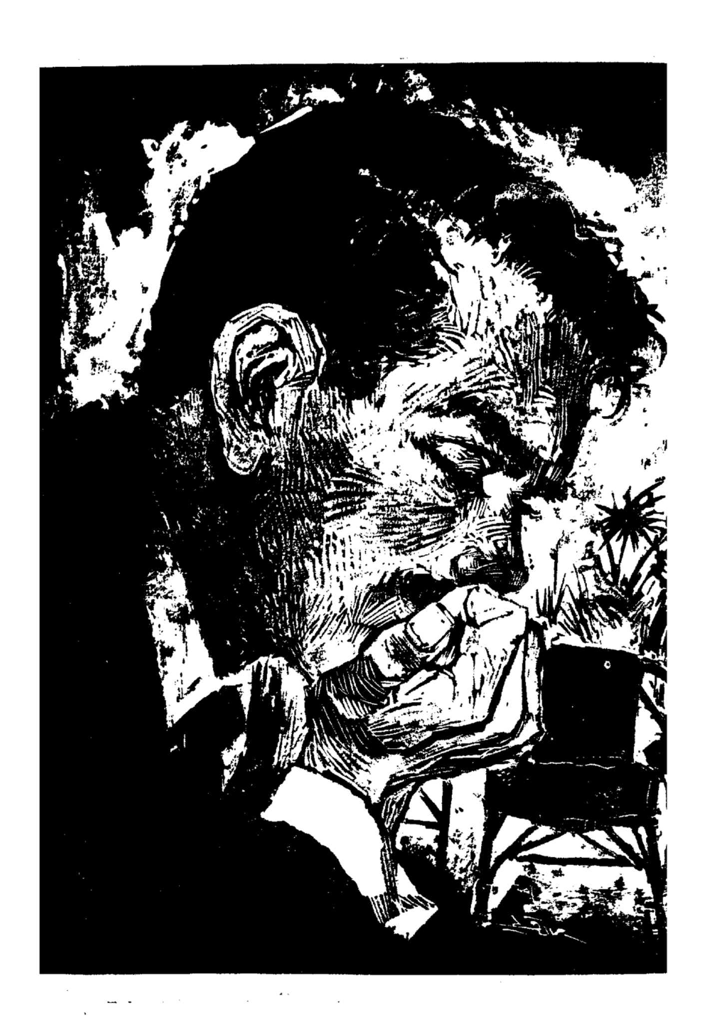
ـ خير حل أن تتزوج !

وآوى الى فراشه قلقا ووجه محبوب يتراءى لعينيه . لا ينبغى أن تبقى النخلة وحيدة الى الأبد . ولم كانت أمة تؤكد له دائما قبيل وفاتها بأيام بأن كل شىء يدعو للحمد ؟!. وجد الكازينو خاليا فى تلك الساعة المبكرة . واتخذ مجلسه عند مدخل الحديقة الفاصلة بين الكازينو ومحطة الديزل . حياه الجرسون وجاءه بالجرائد . أعد له مع القهوة سندوتش فول فبعد أن شبع ثقل رأسه أكثر وأكثر حتى عجب أين كان النوم وهو يستجديه فى فراشه . وتذكر درس المفعول المطلق الذى سيلقيه غدا صباحا على تلاميذه فتذكر بالتالى زميله مدرس التاريخ ، قرينه فى المناقشات الجنونية .

ـ ولكن ما معنى ذلك ؟

ـ أنت مدرس عربى ، حسن ، هل عرفت فعلا بلا فاعل ..؟

ـ اللغة بحر بلا حدود .



ـ مات محمد ، محمد فاعل ، ولكن أى فاعل هـذا !!؟
ولذلك فانى أبحث عما أريد خارج نطاق اللغة ..

وجاء الجرسون لينظف الرخامة فسأله :

ـ كيف تبرر مطالبتك الزبائن بأثمان الطلبات ؟

ـابتسم الرجل ابتسامه المعتاد لهذه الأسئلة الغريبة ، ثم تناول قروشه ومضى . وقال هو لنفسه « انه يبتسم ابتسامة العقلاء ، ومع ذلك فما لم نعرف كل شىء فستظل معرفتنا الأشياء الصغيرة القريبة ناقصة وغير مبررة » . ورنا الى السحب حتى ابيض كل شىء فى عينيه . ولكن البياض لم يثبت على حال ، لعبت به يد ساحرة ، تميع وتموج ، واستحال لونا معتما بلا شخصية ولا شكل . واختفى قطار الديزل الواقف فى المحطة أو ذاب فى السحاب . وبدافع من رغبته فى الهدوء المطلق مثل بين يدى بوذا فى الحديقة اليابانيـة . وسمع صديقه مدرس التاريخ يقول وهو يشير الى بوذا « الهدوء والحقيقة والانتصار » ثم اكد قوله مكررا « الهـدوء والحقيقة والهزيمة » . وجمع عزيمته على المناقشة ولكن أوراق الشجر اهتزت بصرخة حادة. صرخة طفل أو لعلها صرخة امراة . وخفق قلبه وانتعش بروح الغزل . وأراد ان يستشهد ببيت من عمر الخيام ولكن هيهات . وناداه صوت . التفت نحو مصدره فرأى صديقه الآخر وقد بادره قائلا « خير حل أن تتزوج » . واطبق عليـه وقع أقدام راكضة . وركض ليلحق بالديزل فزلت قدمه وتهاوى من فوق الطوار . رباه كيف اكتظ المكان بهؤلاء الناس !. عشرات وعشرات وعشرات يقفون خارج سور الحديقة الصغيرة . وقوة من الشرطة تعسكر فوق طوار المحطة . حدث تحت السحاب الراكد ؟ . وها هو الجرسون راجعا من الزحام الى الكازينو . وقد مال الرجل نحوه قائلا :

ـ حضرتك رايت كل شىء طبعا ؟

فقطب متسائلا ومنكرا فى آن فواصل الرجل :

ـ سوف تدعى فورا الى المحقق !
ـ أى محقق يا هذا ؟
ـ ارتكبت الجريمة فى المحطة على بعد أمتار من مجلسك .
تساءل ذاهلا :
ـ جريمة ؟!
ـ أين كنت يا سيدى ؟، جريمة القتل الفظيعة ، الا تعرف الآنسة « المولدة » ؟
ـ المولدة !
ـ قتلها شاب مجنون الله ينتقم منه ..
تقلص وجهه فى ألم وذهول ، وغمغم :
ـ قتلت .. لا اصدق .. وأين هى ؟
ـ حملوها الى المستشفى لاسعافها ولكنها ماتت فى الطريق .
ـ ماتت !
ـ ألم ترها وهى تقتل على بعد أمتار منك ؟
وبعد صمت عاد يقول :
ـ كيف لم ترها ، أما أنا فكنت مشغولا فى الداخل ثم خرجنا على صوت الصراخ ، كان الملعون يطاردها وهى تجرى امامه حتى طعنها فى المكان الذى يقف فيه المحقق ..
ـ والقاتل ؟
ـ استطاع الهرب ، حتى الآن على الأقل ، شاب صغير ، رآه ناظر المحطة وهو يثب فوق السور ويستقل دراجة بخارية، ولكن سيقبض عليه عاجلا أو آجلا .
اشتد تقلص وجهه بالألم حتى تقوض فى مجلسه . ومضى الجرسون عنه وهو يقول :
ـ كيف لم تر الحادثة التى وقعت بين يديك ؟!
وأقبل شرطى فدعاه الى لقاء المحقق . قرر أن يركز فكره المشتت مهما كلفه ذلك من عناء . نظر فى ساعته فأدرك أنه نام

ساعة على الأقل . ومضى مع الشرطى وهو يجر رجليه . بدا السؤال كالعادة بالاسم والسن والعمل .

ـ متى جلست فى الكازينو ؟

ـ فى السابعة صباحا على وجه التقريب .

ـ ألم تغادر مجلسك طيلة الوقت ؟

ـ كلا .

ـ ماذا رأيت ، حدثنا بالتفصيل من فضلك ؟

ـ لم أر شيئا !

ـ كيف ؟، لقد ارتكبت الجريمة فى هذا الموضع ، فكيف لم تر شيئا ؟

ـ كنت نائما !

ـ نائما !

أجاب باستحياء :

ـ نعم .

ـ لم توقظك المطاردة ؟.

ـ كلا .

ـ ولا الصراخ ؟

هز راسه نفيا وهو يعض على شفتيه .

ـ ولا استغاثتها وهى تناديك باسمك ؟

تأوه هاتفا :

ـ اسمى !

ـ أجل لقد نادتك مرارا ورجح الشهود أنها كانت تجرى نحوك مستغيثة بك !

حملق فى وجهه بذهول وتمتم فى توسل :

ـ كلا !

ـ هو الواقع .

اغمض عينيه ولم يعد يلقى بالا الى المحقق او اسئلته حتى

قال له هذا فى ضجر :

ـ اجب .. عليك أن تجيب ..

ـ انى فى غاية من التعاسة ..

ـ اكانت ثمة علاقة بينك وبينها ؟

ـ كلا ..

ـ ولكنها نادتك باسمك !

ـ نحن من ضاحية واحدة ونقيم فى شارعين متجاورين ..

ـ شهد شهود بأنهم كثيرا ما رأوكما تقفان متقاربين فى انتظار الديزل ؟

ـ توافق فى المواعيد بحكم العمل ليس الا ..

ـ اليس لاستغاثتها بك دلالة ما ؟

ـ لعلها كانت تشعر باعجابى بها !

ـ اذن كانت هناك علاقة من نوع ما .

ـ ربما ..

ثم بانفعال قاهر ..

ـ كنت أحبها .. كنت افكر كثيرا فى طلب يدها .

ـ أولم تفعل شيئا فى سبيل ذلك ؟

ـ كلا .. لم اكن اتخذت قرارا بعد .

ـ ووقعت الواقعة وانت نائم ؟

اطرق فى خزى اليم :

ـ والآخر .. اعنى القاتل .. أليس لديك فكرة عنه ؟

ـ كلا .

ـ الم تسمع عن علاقة لها بآخر ؟

ـ كلا .

ـ الم تر احدا يحوم حولها ؟

ـ كلا .

ـ هل لديك أقوال اخرى ؟

ـ كلا .
ـ ما زالت السماء محجوبة وراء سقيفة السحاب الجامد .
وتساقط رذاذ دقيقة واحدة ثم انقطع . هام على وجهه طويلا .
انقضى النهار وهو يهيم على وجهه . كأنما يداوى ازمته الطاحنة بالحركة المرهقة . وصادفه مدرس التاريخ أمام الحديقة اليابانية . هز يده مصافحا وهو يقول :
ـ تعال نجلس سويا ، بى رغبة فى الحديث .
فقال بفتور :
ـ من غير مؤاخذة لا رغبة لى فى الأحاديث الميتافيزيقية .
مط الرجل بوزه آسفا وتساءل :
ـ أحق ما يقولون من ان المولدة قتلت أمامك وانت نائم ؟
فسأله غاضبا :
ـ من ادراك بذلك ؟
أجاب بنبرة المعتذر :
ـ سمعت به عند الحلاق !
ـ أمن العجب ان ينعس انسان متعب ؟.. وما ذنبه اذا قامت القيامة فى أثناء ذلك ؟
ضحك الزميل وقال ملاطفا :
ـ لا تغضب ولكنى لم أكن أعلم بالعلاقة بينك وبين المولدة .
ـ اى علاقة !.. انت مجنون ..
ـ أعتذر .. أعتذر .. هـذا ما سمعتهم يقولونه فى دكان الحلاق ..
مضى فى سبيله الذى لا هدف له . اللعنة . ستنتفخ الشائعات كالمناطيد . ولن ترد قوة الجميلة اليانعة الى الحياة . حسرة لا دواء لها . واستغاثتها اليائسة ارتطمت بجدار النوم ولكنها نفذت بطرق سخرية الى آذان الضاحية . أيتها التعيسة انى اتعس منك . وقال له بائع السجائر وهو يعطيه العلبة :
ـ لا بأس عليك يا أستاذ ، البقية فى حياتك ..

اللعنة . لا يبدو أن احدا يجهل الواقعة . وها هم يقدمون له العزاء مسلمين بداهة بعلاقته بها . ها هى الخطبة تعلن بعد الوفاة . وربما تمادت الظنون وراء ذلك .

ورماه البدال بنظرة ذات معنى . وما البدال !.. يخيل اليــه أن الأعين كلها تتعقبه . انه فى الواقع مطارد ، متهم ، مجرم . انه مســئول عن الاستغاثة الضائعة لا مفر . وغدا فى المدرسة تنهال عليه الأسئلة . الجحيم الحقيقى ستندلع نيرانه فى حوش المدرسة . تخبط طويلا . تلقى أقوالا كثيرة كلها مثيرة مؤلمة . انه حديث الضاحية . لا حديث للضاحية الا الجريمة والنوم . « قبض على القاتل وهو تلميذ بالثانوى » اذن قتلها العبث وجنون العيال . « كان القاتل يحبها ولكنها لم تشجعه » لذلك بدت له دائما رزينة وجادة . « من المؤكد أنها كانت تحب مدرس اللغة العربية» يا للحسرة .. شغل عن اسعادها بجلسات تحضير الأرواح ومنعه من انقاذها النوم . « قال فى التحقيق انه كان نائمــا ، اليس عجيبا الا يوقظه الصراخ والمطــاردة والاستغاثة » . انه لعجيب حقا ولكنهم لا يعلمون انه قضى الليل فى تحضير الأرواح وأحاديث المصير . اعتصر الألم قلبه فتجرعه سما بطيئا . واضطر أخيرا الى الرجوع الى البيت وهو كاره . كان المساء يغشى حجاب السحاب بغلالة معتمة . وجد صاحب البيت يقتعــد أريكة تحت النخلة الوحيــدة . استقبله بلطف وقال :

ـ تبدو متعبا ، أرجو ألا يكون حديثى معك فى الصــباح قد ضايقك ؟

هز رأسه نافيا فخفض الرجل صوته وهو يسأله :

ـ أحق ما يقال ..؟

فقاطعه بحدة :

ـ أجل .. قتلت المولدة على بعــد أمتار من مجلسى فى الكازينو وأنا نائم ، هذه هى المعجزة الثامنة !

ـ لم اقصد يا بني أن ..

فقاطعه مرة أخرى :

ـ ولم أسمع استغاثتها ، وفى قول آخر انى سمعته ولكنى تناومت ..

اقبل عليه الرجل معتذرا متأسفا ، وأخذه من ذراعه فأجلسه الى جانبه قائلا :

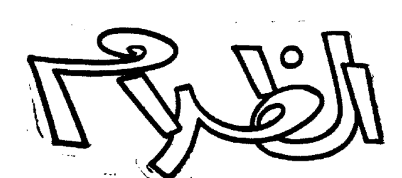
ـ كان المرحوم والدك صديقي ، لا تؤاخذنى يا بنى ..

ومضت فترة غير قصيرة فى صمت وحذر ثم استأذن فى الانصراف فأوصله الرجل حتى الباب الداخلى . وهناك همس فى اذنه :

ـ أكرر الرجاء فيما قلته لك عن جلسات تحضير الأرواح :

استلقى على الفراش وهو من العنـاء فى غاية ، ثم غمغم مغمض العينين :

ـ ما أحوجني الى نوم طويل ، طويل بلا نهاية ..


الضوء



كثيف الظلام كأنه جدار غليظ لا يمكن أن تخترقه عين . لا شيء يرى ألبتة . انهم يجتمعون فى عـدم . ولا صـوت الا قرقرة الجوزة . والجوزة تدور حتى تتم دورتهـا فى الظـلام فترجع الى المعلم بطريقة ميكانيكية . وكثيرا ما كان المعلم يقول :

ـ انى أرى فى الظلام ، اعتدت ذلك لطول معاشرة السجون والخلاء ..

اذن فهو يراهم على حين أنهم لا يرونه ولا يرون شيئا . وبسبب الظلام يعيش كل منهم فى عالم خاص به مغلق الأبواب عليه . يجيئون من أماكن مختلفة ، متباعدة ومتقاربة ، لا يدرى أحد عن الآخر شيئا ، يشدهم الى هذه الحجرة داء واحد . والمعلم يدعوهم واعـدا اياهم بالأمان والسـتر ، وكلما دعا احدهم قال له :

ـ فى عزبة النخل دارى ، وفى حوشـها الخلفى فيما يلى الحقول شيدت حجرة مرتفعة ، معزولة عن الأرض بلا موصل يفضى اليها ، ستصعد اليها على سلم خشبى سرعان ما يطرح تحت أكوام التبن ، فهى حصـن لا يكبس ، ولهـا من الظلام حواليها حصن آخر .

أجل ، ها هم معلقون فى الهواء ، غائصون فى الظلام ، كأنما يعيشـون فى الزمن الذى لم تكن الأعين قد خلقت فيه بعد . وكل يد تلامس اليد المجاورة عند تناول الجوزة ولكن يد من هى ؟، أى شخص وأى هوية ؟.

ويضحك المعلم ويقول :

ـ نحن مدينون للظلمة بالسلام الذى ننعم به ، صدقونى فاننى رجل مجرب !

لم يتوقع يوما أن يناقشه احد خشية أن يفضحه صوته لدى آخر ممن يكفنهم الظلام . وكان يقول لهم :

ـ لو تعارفتم على ضوء شمعة لتبادلتم أحاديث لا نهاية لها ، ولاحتد الخلاف بينكم ، ولانقلب المجلس جحيما لا يطاق ، وطالب اللذة لا يحب ذلك أما انا فأمقته مقتا .

وندت من الظلام همس ضحكات مكتومة فقال :

ـ أعرف بينكم اناسا مختلفى الأديان والآراء وها أنتم تمضون وقتا طيبا فى سلام بفضل الظلام والصمت !

ند الهمس من جديد . لعلهم يسخرون كعادتهم ولو فى سرهم . يا لها من طريقة طريفة لمعالجة التفرقة الدينية والفكرية !. يسخرون وهم لا يعرفون للحجرة التى يترددون عليها شكلا الا مس الشلت والحصيرة المفروشة بينها !. وهو يسعل كثيرا ثم يقول بصوت كالقرقرة :

ـ ان احدكم قد يلقى جليسه فى مكان فلا يعرفه ، قد يكون زميلا فى مصلحة أو عضوا فى أسرة ، قد يريد له الخير أو يضمر الرغبة فى قتله ، كل ذلك طريف للغاية !

انهم جميعا غارقون فى الاثم . وحامل الاثم جبان ولذلك فهم يكتمون الضحكات فتضغط وتمط فى صوت فحيح زاحف فى الظلمة . ويضحك عاليا ويقول :

ـ انى أعرفكم جميعا ، الاسم والعمل والمكانة ، أما أنا فلا يهمنى شىء ، لا يكبل الانسان مثل حرصه المضحك على حسن السمعة ، وما سر الحرية التى اتمتع بها الا السجن والخلاء وسوء السمعة !

يا له من صوت كالقرقرة . ونبرة لا تخلو أبدا من السخرية والثقة بالنفس . وسوء سمعته جدير بتخويف الناس من مجلسه لولا دبلوماسيته فى معاملة السلطات . وعنده يجد المصاب

ما لا يجد عند غيره من الصنف والطمأنينة . ويقبع فى الظلام محتكرا الكلام والرؤية . ومرة قال ضاحكا :

ــ انكم جميعا من السادة ، لكم منزلة تخافون عليها ، أما الفقراء فلا يخافون على شيء ولذلك فلا مكان لهم عندى ، ولذلك فهم لا يؤمنون بالظلام والصمت ..

هذا الرجل رغم حقارته ذو مكانة يؤمن بها المصابون بالأدواء . يتلقون أياديه بامتنان . ولا ينتشلهم من العدم الا عيناه المحطمتان لجدار الظلمة . وهو أحدب مغضون الوجه قصير القامة ، نيف على السبعين ولكنه ذو حيوية شيطانية . ويسألهم ضاحكا :

ــ لم لا تجعلون من حياتكم كلها امتدادا جميلا لهذه الجلسة ؟

ثم قال وكأنه يجيب على سؤاله :

ــ ستقولون العمل .. الأسرة .. الواجب .

وضحك ساخرا ثم واصل قائلا :

ــ لكنه لا شيء حقيقى الا الظلام والصمت !

وتنقضى فترة طويلة فى صمت ثم يعود قائلا :

ــ انى أسخر منكم بالكلام الفارغ وأنتم تسخرون منى فى قلوبكم بالصمت ، وهذا يعنى انكم لا تتعلمون ، أما أنا فقد حققت لنفسى المعجزة ، رغم أنف الدنيا ، فلا أسرة لى ولا عمل اذ أن الموزع فى الحقيقة لا عمل حقيقى له ، وفى غمرة الذهول وجريان الأيام على وتيرة واحدة تبدو لى الحياة طويلة كثيفة مثقلة بالملل فلا أخاف الموت ، من منكم لا يخاف الموت !

وبرغم حقارته ، برغم ما يثيره فى النفوس من سخرية خرساء ، فقد مس وترا حساسا . ولكن من يصدق انه لا يخاف الموت ؟. ولم اذن بنى هذه الحجرة المعزولة فى الهواء والخلاء ؟

وفى ذات ليلة قال لهم بثقة :

ــ فى هذه الحجرة خلاصة مركزة لحكمة الحياة .

وكف عن الكلام طويلا . واذا بالجوزة تتوقف عن الدوران . ظنوه ينشد شيئا من الراحة بخلاف عادته . وانتظروا فطال بهم الانتظار فى الصمت والظلام . انتظروا وانتظروا ولكن لم يجد جديد . استهلكوا قدرتهم على الانتظار . تنحنح بعضهم استحثاثا له على العمل ولكن دون جدوى . هل نام الرجل ؟. هل أغمى عليه ؟. هل مات ؟.

واقربهم الى موضعه مد يده متحسسا مكانه ثم همس بقلق :

ــ ليس الرجل فى مكانه !

والصقهم بالباب قام ليفتحه ولكنه همس فى اضطراب :

ــ الباب مغلق باحكام .

واضطر أحدهم الى رفع صوته قائلا :

ــ لا بد من وجود نافذة فليفتش عنها كل فيما يليه من الجدار .

ومضت فترة فى التفتيش ثم تتابعت الأصوات :

ــ لا توجد نافذة .. لا توجد نافذة ..

واستهانوا بالستر فقرروا اشعال أعواد الثقاب ليتبينوا موقفهم . ولكن أحدا لم يجد علبة ثقابه . علبة السجائر بمكانها أما الثقاب فلا أثر له !. لا يمكن أن يقع ذلك مصادفة . سرق الثقاب !. ولكن من السارق ولم سرقه ؟. وماذا يراد بهم ؟!. ونادوا المعلم . نادوه بأصوات غاضبة . نادوه بأصوات رعدية ولكن لا مجيب ، لا مجيب على الاطلاق ، ولا صوت .

ــ اين ومتى ذهب ؟

ــ من أى منفذ تسلل ؟

ــ ما معنى اختفائه ؟

ــ كيف ولم سرق الثقاب ؟

ــ لعله ذهب لقضاء أمر فدهمه حادث .

ــ ولم أغلق الباب ؟



ـ ولم سرق الثقاب ؟
ـ أهزر وراء ذلك أم شر ؟
ـ نحن مهددون فى الظلام ..

وعادو ينادون الرجل فترتطم أصواتهم بالجدران الصماء . بحت حناجرهم ، وكلت قبضاتهم من دق الحيطان . واطبق عليهم اليأس فى الظلام . ما عسى أن نفعل ؟ هل ننتظر الى ما لانهاية ؟. نستسلم حتى يتقرر مصيرنا ؟. وما مصيرنا ؟. هل جن الرجل ؟. استكانوا الى مقاعدهم فوق الشلت وهم فى نهاية من الاعياء . كأنهم جروا شوطا قطع منهم الأنفاس أو خاضوا معركة مزقت الأوصـــال . حتى الخوف باخ تحت وطأة التلبد الذى أخلفه الوهن . وتثاءب شخص بصوت مسموع فجرى التثاؤب من فم الى فم . وتساءل صوت :

ـ ترى هل سرقت علب الثقاب وحدها ؟

وفتشت الأيدى الجيوب حتى صاح أحدهم :

ـ بطاقة الشخصية !.. لا أثر للبطاقة ..

وتتابعت الأصوات :

ـ وبطاقتى أيضا ..
ـ النقود موجودة أما البطاقة فلا أثر لها .
ـ ما معنى هذا اللغز ؟!

وأكثر من شخص أراد معاودة النداء فخذله صوته . وعاد التثاؤب يتردد فى نغمة ممطوطة مسترخية . ثم ساد فى الظلام صمت ثقيل كأنه النوم أو الموت .

واذا بصوت يشق الظلام متسائلا فى هدوء :

ـ كيف حالكم ؟

تردد الصـــوت فى الظلام وحده ولكن دون رد فعل نعاد يتساءل مرتفعا درجات :

ـ هوه .. كيف حالكم ؟

وندت حركة ضعيفة فى الظلام اعقبها صـوت يقول بنبرة فازعة للأمل :

ــ المعلم ! .. من ؟ .. المعلم ؟

واستبقت الأصوات مرددة : المعلم .. المعلم .. فعـاد الصوت يتساءل متهكما :

ــ كيف حالكم ؟

ــ تسأل عن حالنا ! .. انت ! .. اى دعابة سمجة ؟ !

ــ كيف حالكم ، هذا ما أسأل عنه .

ــ أين كنت يا رجل ؟

ــ أنا لم أبرح مكانى ..

ــ الا زلت مصرا على العبث بنا ؟

ــ صدقونى فأنا لم أبرح مكانى طيلة الوقت .

ــ كذاب .. تحسسنا موضعك فلم نجد لك أثرا .

ــ لم يحرك أحد منكم ساكنا . .

ــ أيها المكابر .. لقد ناديناك حتى بحت اصواتنا ودققنا الجدران حتى كلت أيدينا .

ــ لم يحرك احد منكم ساكنا ، صدقونى ، وكنت طيلة الوقت بينكم !

ــ ما زلت متوهما أنك قادر على العبث بنا !

ــ صدقونى .. لم أفعل شيئا سوى أن أخذت بطاقاتكم وعلب الثقاب ..

ــ ها أنت تعترف .. كف عن العبث .. لم نكن نعرف أنك نشال ماكر .

ــ بل اخذتها وأنتم نيام ..

ــ نيام !

ــ أجل وأنتم نيام ..

ــ لم يغمض لأحد منا جفن .

ــ بل نمتم ساعة كاملة على الاقل انجزت فيها مهمتى ..

ـ انت مطالب بأن تفسر لنا سلوكك الشاذ .

ـ طيب .. خطر لى أن أقوم بتجربة فذة .. خدرتكم بخلطة غريبة من ابتكارى ..

ـ انك تهذى ..

ـ ستفقدون ذاكرتكم قبل طلوع الفجر .

ـ رد الينا مسروقاتنا وافتح الباب ..

ـ واستغرقتم فى النوم ساعة كاملة تبعا للخطة ، ثم استيقظتم ، وتثاءبتم ، وندت عنكم همسات لا معنى لها ، ثم تكلمت أنا !

ـ لن يجدى خداعك ..

ـ نمتم ساعة بدليل أننى أخذت ما أردت أخذه منكم وأنتم لا تشعرون .

ـ لكننى تحسست مكانك بيدى فلم أجدك .

ـ لم يكن باستطاعتك أن تحرك يدك .

ـ ودقفنا الجدار وناديناك بأصوات كالرعد ..

ـ عجزتم عن ذلك كما تعجزون عنه الآن ، ولكنكم توهمتم أفعالا لم تخرج فى حقيقتها عن نطاق رءوسكم ، كانت أفعالكم كالظلام الذى يلفكم لا وجود حقيقى لها ..

ـ الا ترى أننا غير مستعدين للهزل ؟

ـ ستفقدون الذاكرة قبل الفجر ، لن يعرف أحدكم نفسه فضلا عن الآخرين !

ـ الا ترى ..

ـ لذلك استوليت على بطاقاتكم ، لن يعرف أحدكم نفسه وهيهات أن يعرفه أحد .

ـ اغسل رأسك بماء بارد .. أسرع ..

ـ غدا صباحا لن يوجد منكم أحد ، ستختفون كما اختفت بطاقاتكم ..

ـ هل جننت يا رجل ؟

ــ ليكن ، ماذا جنيتم من عقلى ؟ ، فلتجربوا جنــونى ، وسوف أخدر نفسى بابتكارى العجيب ، ومن حسن الحظ أننى لا أملك بطاقة من الأصــل ، فلنشكر للظلام والصمت والملل أياديها . .

ــ يا مجنون يا مخرف . .

ــ ستفقدون القدرة على الكلام كما فقدتم القدرة على الحركة ، سوف الحق بكم أعدكم بذلك ، انطرحوا جثثا فوق الشلت فغدا سيستقبلكم الخلاء أجسادا فتية مبللة بنــدى الحقــول .

وساد الصمت . لم ينبس أحدهم بكلمة . وترددت أنفاس نوم عميق . وجعل ينقل بصره من واحد لآخر ثم تنهد بارتياح متمتما :

ــ مبللة بندى الحقول .

الوجه الآخر



زارنى عثمان بعد غياب طال بسبب خدمة طويلة فى الأقاليم . تعانقنا بحرارة . تذاكرنا عهدا ماضيا امتد من الطفولة مارا بالشباب حتى الكهولة . وقد عاد ليشغل وظيفة هامة رئيسية فى جهاز الأمن عقب انتصارات خطيرة أحرزها فى مطاردة المجرمين . وبعد أن شرق بنا الحديث وغرب سألنى :

ـ هل ترى رمضان ؟

توقعت هذا السؤال طيلة الحديث . حدثنى قلبى بأنه آت لا ريب فيه . وأجبت بأمانة :

ـ أجل ، بين حين وآخر ..

ـ ما زلتما صديقين ؟

ـ اجل !

ـ أليس غريبا أن تظلا صديقين وأنت المربى الفاضل ؟ !

ـ الأمر لا يخلو من غرابة ولكنها عشرة عمر ، ثم انه يلقانى اذا جاء كشخص أليف مستأنس كأنما لا يمت بصلة الى الشخص الآخر المثير للفزع ..

ـ لا اتصور ذلك !

ـ ولكنها حقيقة ، وعلاقته بى هى العلاقة الانسانية الوحيدة فى حياته فلا عجب أن يحرص عليها ..

ـ قد يدهمك بغدره على غير انتظار .

ـ لا سبب يدعو الى ذلك البتة ..

تنهد بحزن عميق . وشاركته مشاعره . انه شقيقه . وهو يمثل نقطة سوداء دامية فى حياته وحياة أسرته . نشأ فى بيت واحد . نشأنا فى حارة واحدة تحت ظل جيرة حميمة ..

ولكن رمضان كان دائما ريحا هوجاء تعصف الوجوه بالطين والتراب . وسألنى :

ــ هل تستطيع أن تهيىء لى لقاء معه فى بيتك ؟

تفكرت مليا فى قلق فعاد يقول بالحاح :

ــ لا بد من ذلك ، انى مسئول عن الأمن ، وانت ادرى بما فى موقفى من حرج ..

ــ ولكنه .. اعنى ..

ــ ولكنه يمقتنى ويسىء بى الظن ، غير أنه سيثق فى كلمتك ..

ــ أعدك بالسعى الى تحقيق رغبتك ولكن عدنى بالتزام الحلم الى اقصى حد مهما لقيت من استفزاز .

ــ ليس فى نيتى طبعا أن اعرض بيتك المنعزل فى الضاحية الهادئة للفضيحة .. انى أعطيك كلمة شرف وانت ادرى بقدرتى على ضبط النفس .

ــ وقد وعدتك ..

ــ تبدو غير متحمس ؟

ــ فعلا ..

ــ وتراه لقاء عقيما ؟

ــ اى نعم .

ــ ولكن لا بد منه ..

ــ اى نعم .

وتبادلنا نظرة طويلة حزينة . وتلبدت سماؤنا بغيوم الذكريات المتجهمة . الصداقة الحميمة وقوى الهوس الصبيانى التى انقلبت مع الزمن شرا كاسرا . وقال بنبرة كئيبة :

ــ لم اكن اتخيل أنه سيتردى الى هذه الدرجة من الحضيض !

ــ ولا انا ، ولو أن العمر والتجربة ومزاولة التربية لم تدع لى مجالا واسعا للدهشة .

ـ وكم ارقتنى انباء تدهوره وأنا بعيد عن العاصمة .
ـ لم يكن فى الوسع صنع شىء .
ـ لا اشك فى انك حاولت الاصلاح ما وسعك ذلك !
ـ طبعا ، ولكن النصيحة تؤجج ناره ، فتجنب الحديث الشائك .
ـ واحتفظت بصداقته رغم ذلك ؟
ـ كان الذى بيننا اعمق من اخوة حميمة ، ثم ان الانسان الذى يجىء لمقابلتى انســان آخر ، طيب المعشر عامر بأجمل الذكريات ، يفيض بالود قلبه ..
ـ وكيف تفسر ذلك ؟
ـ ان الحية الغادرة لا تخلو من عواطف أمومة !
ـ ولكنك تعلم أنه وحش قذر وعار انسانى !
ـ لن ادافع عن نفسى فانى صديقه كما انك شقيقه ..
ـ لا زلت أعجب كيف انك لم تقطعه !
داريت ابتسامة كئيبة وقلت :
ـ انه ليس كائنا من جنس آخر غير جنسنا ، الحكاية أنه أسير الأهواء التى وفقنا الى كبحها ..
ـ هو الفرق بين المدنية والوحشية ..
ـ انى لا أدافع عن انحرافه ..
ولذنا بالصمت مليا ثم عاد يسأل :
ـ هل زرت مخبأه فى الجبل ؟
تساءلت بدورى ضاحكا :
ـ هل تبدأ التحقيق معى ؟
فضحك ضحكة فاترة ولم ينبس فقلت :
ـ لا ادرى شيئا عن هذا المخبأ المزعوم .
فقال بامتعاض :
ـ اعتداء ، برمجة ، بلطجة ، مخدرات ، عربدة ، سرقة ونهب ، هتك أعراض ..

ـ اما المبالغات فقد خلقت منه أسطورة ..
ـ انى اعرفه من المهد ، وانت كذلك ..
ـ اى نعم !
ـ كنا ثلاثة ، وكنا واحدا ..
ـ أجل ..
ـ انظر كيف انشق وانحرف ..
ـ يا للأسف ..
ـ شرير بطبعه !
ـ الأفضل أن نقول ان ثمة معاملات صادفته داخل البيت واخرى فى الطريق .
ـ لا هذه ولا تلك يمكن أن تبرر هذا المصير الأسود .
ـ أنا ادافع عنه ، ولا جدوى من ذلك ..

نهض وهو يقول انه آن له أن يذهب ، ذكرنى بوعدى . ثم ودعنى وانصرف .

***

وقلت لرمضان ونحن نحتسى الشاى بعد العشاء :
ـ أحدهم يروم مقابلتك .

حدجنى بنظرة ثاقبة . نظرة ينفذ بها الى باطن محدثه اذا تشمم وراء كلماته أمرا . وقال متهكما :
ـ ان تكن امرأة فأهلا وسهلا بها ..

وادركت أنه أدرك فقلت ببساطة :
ـ انه رجل ، ومن رجال الأمن .

فقال مقطبا :
ـ توقعت ذلك مذ عملت بعودته الى العاصمة
ـ هذا يقطع بحسن ظنك به ..

فتقلص وجهه غضبا ـ وما أسرع انفعالاته ـ وقال :

ـ اللعنة ! .. انه مثال العقل كما يقولون ، ولعله ازداد مع الايام ثقل ظل ..
ـ لا شك أن وراء رغبته بواعث طيبة ..
ـ منذ المهد وهو يود القضاء على !
ـ كان يود لك ان تسلك فى الدنيا مسلكه ..
ـ العقل .. الاتزان .. الاعتدال .. النظام .. الاجتهاد .. الادب ، انه رمز الموت فى عينى !

يا للذكرى . شد ما تبادلا المقت . وبازدراء متقزز كان عثمان يقول عنه « عاصفة مجنونة .. نزوة بلا ضابط .. ثور هائج معصوب العينين .. مجموعة من الأكاذيب والخرافات » . شد ما تبادلا المقت ولكن من الغريب اننى أحببتهما معا . عثمن كان الرقيق الذى شجعنى على الدرس والخلق والوطنية وأما رمضان فكنت أهرع اليه ليروى ظمأى المكبوت الى الانطلاق والأسطورة والغابة . وقلت له :

ـ انه اخوك على اى حال .
ـ ماذا يريد منى ؟
ـ ليس من الصعب أن نتخيل ..
ـ لعلها مكيدة !

فقلت محتجا :

ـ كلا .. الف مرة كلا ..
ـ العقل يعنى الحكمة والأنانية والجبن !
ـ لك أن ترفض اذا شئت .
ـ يجب أن يعرف اننى لا أخشاه .
ـ اذن فلنحدد موعدا ؟
ـ ولكنى لن أقع كذبابة ..
ـ والرأى ؟
ـ لعله يريد أن ينتقم ؟!
ـ لقد انقضى الماضى واختفى وهو اليوم زوج وأب سعيد .



تذكرت عروس عثمان الأولى التى هربت مع رمضان موقعة بالأسرة زلزالا . وكيف عاملها بعد معاشرة أسبوع بوحشية حتى اضطرت الى الاختفاء مجللة بالعار واليأس . وعدت أقول :

ــ لقد مضى ذلك وانقضى ! ، ولك أن ترفض اذا شئت .

فتفكر مليا ثم قال :

ــ ادعه.. وسوف أحضر متأخرا بعد أن آخذ حذرى ..

***

وجاءنا رمضان ونحن ندخن فى حجرة المكتب . وقف عثمان لاستقباله فالتقيا وجها لوجه بعد فراق ربع قرن من الزمان . نظرت اليهما باهتمام محمــوم وقلبى يخفق . تقــابلا بوجهين جامدين لم يتحركا باختــلاجة عاطفية واحــدة . وتصــافحا مصافحة رسمية باردة ، وقال عثمان :

ــ أشكرك على قبول دعوتى ..

وجلس عثمان على مقعده على حين جلس رمضان الى جانبى على الكنبة . واقترحت أن أنصرف ولكنهما أصرا ــ معا ــ على استبقائى . وقال عثمان مخاطبا أخاه :

ــ لا أظنك تجهل السبب الذى دعوتك من أجله .. ؟

قال رمضان ببرود :

ــ صارحنى بما لديك .

ــ طيب نحن نعمل الآن فى مدينة واحدة ، ويحسن بنا أن نتجنب ــ ما وسعنا ذلك ــ وقوع المأساة .

ــ المأساة ؟!

لم يخدع بتجاهله اذ كان على يقين من ادراكه لمــا يعنيــه ولذلك واصل حديثه قائلا :

ــ عندى اقتراحان ..

فتساءل رمضان وهو يرمقه بتحد :

ــ أولهما ؟

ـ أن تسلم نفسك معلنا توبتك ولعل ذلك يخفف من عقوبتك ..
ـ وثانيهما ؟
ـ أن تبتعد عن طريقى بالوسيلة التى تختارها

ضحك رمضان ضحكة هازئة ولاذ بالصمت . انتظر عثمان مليا ثم تمتم :
ـ الحق انى لم اتوقع خيرا !
ـ اذن فلم دعوتنى ؟
ـ لكى ابرىء ذمتى .

قطب رمضان غاضبا وقال :
ـ طالما رغب كلانا فى القضاء على الآخر !
ـ هذا حق فيما يتعلق بك .
ـ وفيما يتعلق بك أيضا ولكن كان لك اسلوبك الخاص .
ـ لا جدوى من الجدل ، والأفضل أن تفكر فيما عرضته عليك .
ـ لن تظفروا بدليل ضدى ولا شاهد ..
ـ أنصحك بألا تطمئن الى ذلك .
ـ جرب حظك اذا شئت .
ـ سأجربه بلا أدنى تردد .

بدهتنى حقيقة طريفة . انهما كانا يقتتلان طيلة العمر ومذ كانا فى المهد . لم يجد جديد سوى انهما سيتلاقيان وجها لوجه . سيكتشف كلاهما عما قريب انه كان يقاتل شقيقه او جزءا من نفسه .

نهض رمضان قائما . لوح بيده محييا . ومضى عابسا عصبى الخطوات .

***

بدأت المعركة بين الشقيقين عقب ذلك الاجتماع بأيام . دهمت قوات الأمن جميع الأماكن المشبوهة فى المدينة والجبل والخلاء . قبض على جميع من ظن أن لهم بالرجل علاقة من الرجال والنساء . واستجوبوا بعنف فتتابعت الاعترافات . وتضاعف عدد المقبوض عليهم بعد أن ثبت أن أعوانه منبثون فى أماكن لا حصر لها كالملاهى والأندية والمقاهى والمصالح الحكومية ، حتى أماكن العبادة لم تخل منهم . وتدفقت القوات بكل ثقلها فى مطاردة عنيفة جللت المدينة بطابعها الارهابى فذكرت الناسين بأيام الطوارىء وليالى الغارات . فتشت العيون السيارات والتاكسيات والناقلات . ومسحت الكشافات زوايا الجسور ومنعطفات الطرق والخرابات . وطوقت القوارب الشراعية فوق سطح النيل واقتحمت الخلوات على العاشقين . ومكالمة تليفونية عابثة كانت خليقة بأن تحرك فرقة كاملة من الشرطة وتزلزل عمارة آمنة . وندبة فى أنف رجل برىء أو بروز غير عادى فى جبهته قد تجر عليه من الويلات ما لم يكن يحلم به . ولم يكن من النادر أن تند عن ركن من الطريق صيحة ، تعقبها أصوات أقدام راكضة ، ثم تنطلق رصاصات . فيخلو الطريق فى ثوان . وتنقض على أديمه مطاردة عنيفة لا تنتهى الى شىء . وأظلت المدينة سحابة قاتمة تقطر رعبا .

***

تابعت أخبار المعركة باهتمام لم أشعر بمثله من قبل . وكنت على يقين من الخسران الشخصى مهما تكن نتيجة المعركة . فلا مفر من أن أفقد أحد أحب رجلين الى قلبى . وموقف الحياد بينهما لا يهضمه ضميرى فلا بد من الانحياز الى عثمان . غير أن عواطفى تمردت على واقتتلت بمرارة ومزقتنى تمزيقا . فكلما أحرز رجال الأمن انتصارات حاسمة داخلتنى كآبة وأشفقت من خلو عالمى من رمضان ومرحه وأساطيره ومغامراته فى دنيا

الجنس والتحدى . وكلما فاز الرجل فى مطاردة ونشر الرعب من حوله وهدد اخاه انقبض قلبى واستشعرت خوفا من تسلط قوى الهدم والعربدة وتمكنها من تقويض دعائم الأمن والحضارة. وانبهم امرى على نفسى ولم اعد أدرى اى رجـل اكون ؛ ولا ماذا أروم ، ولا كيف أبلغ التوازن المنشـود . هـكذا تابعت انباء المعركة باهتمام وانفعال وخجل وحيرة .

***

وانتهت المعركة الى خاتمتها المحتومة . وطلعت علينا الصحف ذات صباح بصورة رمضان وقد خر صريعـا مضرجا بدمه . انقضت المطاردة الجهنمية وأيام القلق ولياليه . رنوت الى الصورة طويلا حتى شعرت بالدمع يدب فى اعمـاق عينى . وحنقت ، امتلأت بالحنق ، ولكنى لم أدر علام احنق . وازدحمت مخيلتى بالقوى الكونية المدمرة كالزلازل والبراكين والأعاصير والشهب والفياضانات والجراثيم . ولم ادر هل اتذكرها على سبيل التشفى أو لأعرف موضعها بين الخير والشر .

وزارنى عثمان بعد ذلك بأيام . كان كل شىء فى الدنيا قد انقلب رأسا على عقب . فى دنياى على الأقل . وبخلاف العهد وجدت نحوه نفورا مرضيا بذلت قصاراى لأروضه وأذهبه . وشعرت فى ذاتى بعديد من الشخوص تتصارع وتتجاذب بعنف جنونى . جلسنا على مقعدين متقاربين وهـو يطالعنى بنظرة ثقيلة تنم عن روح ميت . وفصل بيننا صمت غامض لا يريد أن ينقشع . واخيرا تململ فى مجلسه قائلا :

ــ ارادة الله ولا راد لارادته ..

فقلت أو قال لسانى بلا وعى :

ــ انى ارمل وحيد وقد امتلأ البيت بالأشباح ..

تفحصنى بقلق ثم قال :

ــ انك لا تبدو كما عهدتك .. أأنت مريض ؟

ــ لا اشكو الا من الأشباح ..

ــ أنت لا تعنى ما تقول ؟

فقلت وأنا اضحك ضحكة رجل نسى تماما كيف يسيطر على نفسه :

ــ عشت عمرى متوهما أن سلوكك كان المثل الذى قادنى الى طريق النجاح حتى تبوأت مكانى المرموق فى عالم التربية !

ــ لعلك تبالغ ..

ــ فعلا .. انى نجحت بفضله هو ، هذه هى الحقيقة !

ــ هو ؟

ــ الرجل الذى عبأت قوى الأمن لقتله ..

ــ حديثك يقلقنى ..

ــ شبح من الأشباح أكد لى ذلك !

ــ عزيزى !

ــ صه .. وقال لى أيضا ان رمضان انطلق من قاعدة لا يمكن الدفاع عنها ولكنه اتبع أسلوبا رائعا ، أما نحن ــ أنا وانت ــ فلنا قاعدة لا يمكن الهجوم عليها ولكننا نتبع أسلوبا سمجا ميتا ..

ــ لا افقه لقولك معنى ..

ــ من العسير فهم لغة الأشباح ..

ــ صديقى .. انك فى حاجة الى نوم عميق ..

ــ انى فى حاجة الى يقظة مجنونة .. هكذا قالت الأشباح .

ــ جئتك بعد أن أضنانى الغم ..

ــ وسقونى جرعات ضخمة من شراب الأعاصير .. وقالوا لى ان من يهدم مدينة خير ممن يحافظ على جدار قديم ..

ونهضت فجأة ورحت أتمشى فى الحجرة متوكئا على عصا ، فهتف بى :

ــ انك تعرج ..

فأشرت الى ركبتى وقلت :

ـ التهاب اصابنى صباح اليوم المشئوم ..
ـ زرت طبيبك ؟
ـ كلا سأجد دوائى عند الأشباح ..
اربد وجهه باليأس فهتفت متشفيا :
ـ سأنبذ التربية والقواعد والطقوس ، ابتعت لوحة وعلبة الوان واقلاما وفرشاة ، سأعمل مصورا ، مصورا أعرج ، وقد جئت بامرأة عارية كنموذج ..
وازحت الستار عن باب الحجرة المجاورة فتبدت عارية وهى تنظر الينا بهدوء وتحد !. ردد عثمان عينيه بينها وبينى فى ذهول فصحت ضاحكا :
ـ لعلك تسأل عما أدرانى بقواعد الرسم واصوله ؟ .. حسن ، لن يعرقلنى شىء ، سأقبض على الأدوات وأدمر كل شىء ..
ورميت عينيه المحملقتين بنظرة متحدية وقلت بهوس :
ـ لقد اضعت أيامى فى صحبة العقلاء ، سألهو بالأشياء العميقة ، سأنصب شراعى فى مهب العاصفة . سأسحق مقتنياتى وأقذف بها للرياح ، سأعرض عن العقلاء الشرفاء ، وليجرفنى الدوار ، فليكونوا سعداء نافعين ولأكن مجنونا مخربا وليتقبلنى الشيطان ، وتسألنى عن القواعد والتقاليد فأقول لك انه لن يعرقلنى شىء ، سأقبض على الأدوات وأدمر كل شىء !
ومضيت بعزم نحو الفتاة العارية واسدلت الستار ورائى.

الحاوي خلف الطبق



قالت لى أمى :
ــ آن لك أن تكون نافعا .
ودست يدها فى جيبها وهى تقول :
ــ خذ هذا القرش واذهب لتشترى الفول ، لا تلعب فى الطريق وابتعد عن العربات .
تناولت الطبق ولبست قبقابى وذهبت وأنا أترنم بأغنية . وجدت زحاما أمام بياع الفول فانتظرت حتى عثرت على منفذ الى الطاولة الرخامية وهتفت بصوتى الرفيع :
ــ بقرش فول يا عم .
سألنى بعجلة :
ــ فول خالص ، بزيت ، بسمن ؟
لم أجد جوابا فقال لى بخشونة :
ــ وسع لغيرك .
تراجعت مسحوبا بخجلى وعدت الى البيت خائبا فصاحت بى أمى :
ــ راجع بالطبق فارغا ، دلقت الفول أم ضيعت القرش يا شقى ؟
فتساءلت محتجا :
ــ فول خالص ، بزيت ، بسمن ، لم تخبرينى !
ــ يا خيبة ، ماذا تأكل كل صباح ؟
ــ لا أعرف ..
ــ خيبة .. خيبة ، قل له فول بزيت ..
مضيت الى البياع وقلت له :
ــ بقرش فول بزيت يا عم .

سألنى مقطبا نافد الصبر :
ــ زيت حار ، زيت طيب ، زيت زيتون ؟
بهت فلم أحز جوابا ايضا فصاح بى :
ــ وسع لغيرك ..
رجعت مغيظا الى أمى فهتفت داهشة :
ــ عدت كما ذهبت ، لا فول ولا زيت .
فقلت بغضب :
ــ زيت حار .. زيت طيب .. زيت زيتـــون .. لم لم تخبرينى ؟
ــ فول بزيت يعنى فول بزيت حار .
ــ ايش عرفنى ؟
ــ انت خيبة وهو رجل متعب ، قل له فول بزيت حار .
ذهبت مسرعا وهتفت بالبيـــاع وانا على مبعدة أمتار من دكانه :
ــ فول بزيت حار يا عم .
وقفت ورأسى بحذاء الطاولة الرخامية وانا الهث . وكررت بانتصار :
ــ فول بزيت حار يا عم .
دس المغرفة فى القدر قائلا :
ــ ضع القرش على الرخامة .
وضعت يدى فى جيبى فلم أعثر على القرش . فتشت عنه بقلق . قلبت الجيب ظهرا لبطن ولكنى لم أجد له أثرا . استرد الرجل المغرفة فارغة وهو يقول بقرف :
ــ ضيعت القرش ، أنت ولد لا يعتمد عليك .
نظرت فيما تحت قدمى وحوالى وأنا أقول :
ــ لم أضيعه .. كان فى جيبى طول الوقت .
ــ وسع لغيرك وقل يا فتاح يا عليم .
عدت الى أمى فارغا فصرخت فى وجهى :

ـ يا خبر اسود ، أنت يا ولد عبيط ؟
ـ القرش .
ـ ماله ؟
ـ ليس فى جيبى .
ـ اشتريت به حلوى ؟
ـ أبدا والله .
ـ كيف ضاع ؟
ـ لا أعرف .
ـ تقسم على المصحف أنك لم تشتر به شيئا ؟
ـ أقسم ..
ـ جيبك مثقوب ؟
ـ أبدا .
ـ ربما تكون أعطيته للبياع فى المرة الأولى أو الثانية ؟
ـ يمكن .
ـ ألست متأكدا من شيء ؟
ـ انا جائع !

ضربت كفا بكف وقالت :

ـ أمرى لله ، سأعطيك قرشا آخر ولكنى سآخذه من حصالتك ، وان عدت بالطبق فارغا سأكسر رقبتك ..

وذهبت جريا وانا أحلم بفطور لذيذ . وعند المنعطف المفضى الى حارة البياع رايت حلقة من الصبيان والأطفال وسمعت تهليل أفراح . ثقلت قدماى وشد قلبى اليهم . على الأقل ألقى نظرة عابرة . اندسست بينهم ، فاذا بالحاوى يطالعنى . غمرتنى فرحة مذهلة . نسيت نفسى تماما . استمتعت بكل قوة بألعاب البيض والأرانب والحبال والثعابين . ولما اقترب الرجل ليجمع النقود تراجعت هامسا « لا نقود معى » انقض على متوحشا . تخلصت منه بصعوبة . جريت ولكمته تشق ظهرى . ولكنى سعدت للغاية . وذهبت الى البياع وانا اقول :

ـ بقرش فول بزيت حار يا عم .
جعل ينظر الى ولا يتحرك فكررت الطلب فسألنى بغيظ :
ـ هات الطبق ..
ـ الطبق !. اين الطبق ؟. سقط منى وانا اجرى ؟. خطفه الحاوى ؟ .
ـ أنت يا ولد عقلك ليس فى رأسك !
عدت افتش فى الطريق على الطبق المفقود . وجدت موضع الحاوى خاليا ولكن أصوات الأطفال دلتنى عليه فى حارة قريبة . درت حول الحلقة لمحنى الحاوى فصاح بى مهددا :
ـ ادفع أو فاذهب أحسن لك .
فهتفت بيأس :
ـ الطبق !
ـ أى طبق يابن الشياطين ؟
ـ رد الى الطبق .
ـ اذهب والا جعلتك طعاما للثعابين .
انه سارق الطبق . ولكنى ابتعدت عن مرمى عينيه اتقاء لشره . ومن القهر بكيت . وكلما سألنى مار عما يبكينى قلت له « خطف الحاوى الطبق » . وانتبهت من كربى على صوت يقول « اتفرج يا سلام » . نظرت خلفى فرأيت صندوق الدنيا قائما، ورأيت عشرات من الأطفال تهرع اليه . وتتابع وقوف المشاهدين أمام عينى الصندوق وراح الرجل يشرح الصور باغراء « عندك الفارس الهمام ، وست الكل زينة البنـات » . جفت دموعى وتطلعت الى الصندوق بشغف . نسيت الحاوى تماما والطبق. لم أستطع مقاومة الاغراء . دفعت القرش ووقفت أمام العين الى جانب بنت وقفت أمام العين الأخرى . تسلسلت أمام ناظرى صور الحكايات الخلابة . ولما عدت الى دنياى كنت فقدت القرش والطبق ولم يعد للحاوى من أثر ، لم افكر فيما فقدت واستغرقتنى صور الفروسية والحب والصراع . نسيت جوعى .

حتى المخاوف التى تتهددنى فى البيت . نسيتها . تراجعت خطوات لأستند الى جدار أثرى كان يوما ما مبنى لبيت المال ومقرا للقاضى ، واستسلمت بكليتى للأحلام . حلمت طويلا بالفروسية وزينة البنات والغول . وتكلمت فى حلمى بصوت يسمع ولوحت بيدى بأكثر من دلالة . وقلت وأنا أدفع بالحربة الخيالية :

ـ خذ يا غول فى قلبك .

وجاءنى صوت رقيق قائلا :

ـ ورفع زينة البنات خلفه فوق الحصان !

نظرت الى يمينى فرأيت الصبية التى زاملتنى فى الفرجة . تبدت فى فستان متسخ وقبقاب ملون وهى تعبث بضفيرتها الطويلة . وفى يدها الأخرى حبات بيضاء وحمراء من « براغيث الست » تستحلبها على مهل . تبادلنا النظر . مال قلبى اليها فقلت لها :

ـ نجلس لنستريح .

بدت مستسلمة لاقتراحى فأخذتها من ذراعها ودخلنا من بوابة الجدار الأثرى فجلسنا على درجة من سلمه الذى لا يفضى الى شىء . سلم يرتفع درجات حتى ينتهى الى بسطة تلوح وراءها السماء الزرقاء والمآذن . جلسنا صامتين جنبا الى جنب . قبضت على يدها وجلسنا صامتين لا ندرى ماذا نقول . وتناوبتنى مشاعر غريبة وجديدة ومبهمة . قربت وجهى من وجهها فشممت رائحة شعرها الطبيعية تخالطها رائحة ترابية وعبير انفاس ممزوج بشذا الحلوى . قبلت شفتيها . ازدردت ريقى الذى اقتبس مذاقا حلوا من ذوب براغيث الست . أحطتها بذراعى دون أن تنبس بكلمة ، وأقبل خدها وشفتيها ، فتسكن شفتاها عند تلقى القبلة ثم تعودان لاستحلاب الحلوى . وقررت أخيرا أن تقوم . قبضت على ذراعها بجزع وانا اقول :



ـ اجلسى .

فقالت ببساطة :

ـ انا ذاهبة .

فسألتها بضيق :

ـ الى أين ؟

ـ الى أم على الداية .

واشارت الى بيت يقيم فى أسفله كواء بلدى .

ـ لمـاذا ؟

ـ لأقول لها أن تأتى بسرعة .

ـ لماذا ؟

ـ أمى تصرخ فى البيت ، قالت لى اذهبى الى أم على الداية وقولى لها أن تأتى بسرعة ..

ـ وستعودين بعد ذلك ؟

فهزت رأسها بالايجاب وذهبت . تذكرت بذكر أمها أمى . انقبض قلبى . غادرت السلم الأثرى عائدا الى البيت . بكيت بصوت مرتفع وهى طريقة مجربة أدافع بها عن نفسى . توقعت أن تجيئنى ولكنها لم تأت . تنقلت بين المطبخ وحجرة النوم فلم أعثر لها على أثر . أين ذهبت الأم ؟ . ومتى ترجع ؟ . وضقت بالبيت الخالى . وخطر لى خاطر طيب . أخذت من المطبخ طبقا ومن حصالتى قرشا وذهبت من فورى الى بياع الفول . وجدته نائما على أريكة أمام الدكان مغطيا وجهـه بذراعه . اختفت قدر الفول وأعيدت قوارير الزيت الى الرف وغسلت الرخامة ، اقتربت منه هامسا :

ـ يا عم ..

فلم أسمع الا شخيره . لمست كتفه فرفع ذراعه فى انزعاج وطالعنى بعينين حمراوين :

ـ يا عم ..

انتبه الى وجودى وعرفنى فسألنى بخشونة :

ـ ماذا تريد :
ـ بقرش فول بزيت حار ..
ـ هه ؟
ـ معى القرش ومعى الطبق .
صرخ فى وجهى :
ـ انت مجنون يا ولد ، اذهب والا كسرت دماغك .
ولما لم اتحرك دفعنى بيده دفعة قوية القتنى متقهقرا على ظهرى . نهضت متألما وأنا اقاوم البكاء الذى يلوى شفتى . ويداى قابضتان احداهما على الطبق والأخرى على القرش . رميته بنظرة غاضبة . فكرت فى عودة خائبة يائسة ، ولكن احلام الفروسية عدلت من خطتى . صممت واتخذت قرارا سريعا . وبكل قوة ساعدى رميته بالطبق . طار الطبق فأصاب راسه . ركضت بسرعة لا الوى على شىء . وملأنى اليقين بأننى قتلته كما قتل الفارس الغول . ولم أتوقف عن الجرى الا على مقربة من الجدار الأثرى . نظرت خلفى وأنا ألهث فلم أر أثرا لمطاردة. وقفت حتى تمالكت أنفاسى ثم ساءلت نفسى ما العمل وقد ضاع الطبق الثانى . وشىء حذرنى من العودة المباشرة الى البيت . وما لبثت أن استسلمت الى موجة من الاستهانة تحملنى الى حيث تشاء . هى علقة لا أكثر ولا أقل وسأنالها لدى العودة ، فلتؤجل العودة الى حينها . وها هو القرش فى يدى ، ويمكن أن أحظى بمتعة لا بأس بها قبل العقاب . قررت أن اتناسى جريمتى ولكن أين الحاوى ، وأين صندوق الدنيا . فتشت عنهما هنا وهنا بلا ثمرة . ارهقنى البحث العقيم فمضيت الى السلم الأثرى وراء الميعاد . جلست أنتظر وأتخيل اللقاء . تاقت نفسى الى قبلة أخرى معبقة بشذا الحلوى . واعترفت فيما بينى وبين نفسى بأن الصبية وهبتنى مشاعر لم أجرب أطيب منها من قبل. وفيما أنتظر وأحلم ترامى الى همس من الجهة الخلفية . رقيت فى الدرج بحذر وعند البسطة الأخيرة انبطحت على وجهى لأرى

ما وراءها دون أن يلمحني أحد . رأيت خرابة مطوقة بسور عال ، وهى آخر ما بقى من بيت المال ومقـر قاضى القضاة . وتحت السلم مباشرة جلس رجل وامرأة . هما مصدر الهمس ، أما هو فأشبه بالمتشردين ، وأما هى ففجرية ممن يرعين الأغنام. صوت باطنى مريب قال لى بأنهما يجتمعان فى « ميعاد » كالذى جاء بى . بذلك تنطق الشفاه والنظرات والأعين ولكنهما على خبرة مدهشة ويفعلان أمورا لا يحيط بها الخيال . شد بصرى اليهما مشدوها فى استطلاع ودهشة ولذة ولم يخل من انزعاج.

وجلسا أخيرا جنبا الى جنب . لم يعد يهتم أحدهما بالآخر . وبعد فترة ليست بالقصيرة قال الرجل :

ــ النقود !

فقالت بضيق :

ــ أنت لا تشبع .

بصق على الأرض ثم قال :

ــ أنت مجنونة .

ــ أنت لص ..

بظهر يده لطمها لطمة قوية . قبضت حفنة تراب وقذفتها فى وجهه . انقض عليها بوجه مغبر فأنشب أصابعه فى زمارة رقبتها. بدا صراع جهنمى مرير . ركزت قواها عبثا لتخليص رقبتها من يده ، احتبس صوتها ، جحظت عيناها ، ضربت بقدميها الهواء. حملقت فزعا اخرس حتى رأيت خيطا من الدم يتسلسل من أنفها . فرت من فمى صرخة . زحفت الى الوراء قبل أن يرفع الرجل رأسه . هبطت السلم وثبا وعدوت كالمجنون الى حيث تحملنى قدماى . لم أتوقف عن العـدو حتى انقطعت منى الأنفاس . جعلت ألهث دون أن أرى شيئا مما حولى . ولما انتبهت الى نفسى وجدتنى تحت قبو مرتفع يتوسط مفترق طرق . لم تطأه قدماى من قبل ولا فكرة لى عن موقعه بالنسبة لحينا . وكان يقتعد جانبيـه شحاذون لا يبصرون ، ويعبره فى شتى

نواحيه أناس لا يلتفتون الى أحد . ادركت بخوف أننى ضللت الطريق ، وأن متاعب لا حصر لها تتربص بى حتى أهتدى الى سبيلى . هل ألجأ الى أحد المارة لأسترشد به ؟. ولكن ما العمل لو ساقنى الحظ الى رجل كبياع الفول أو متشرد الخرابة ؟ . هل تقع معجزة فأرى أمى مقبلة فأهرع اليها بكل قلبى ؟ . هل أجرب السير وحدى فأتخبط حتى أعثر على اثر استدل به على طريقى ؟ .

وقلت ان على أن احزم أمرى ، بسرعة ودون تردد ، فقد اخذ النهار يولى ، وعما قليل سيهبط الظلام من مجاهله .

ثلاثة أيام في اليمن



١

الأديب

ها هي السيارة تنطلق والقاهرة تبتعد . تطايرت الهموم وخفقت القلوب فى طريق السويس . وقال فى صوت حنون :

– لن نفترق زهاء أسبوعين ، كم تمضى أيام طويلة دون أن يرى أحدنا الآخر ..

أحدقت بنا لا نهائية الصحراء من الجانبين فأهدت الينا هواء منعشا رغم حرارة يوليو . وصلنا الى ميناء الأدبية مع المساء . تعلقت أعيننا بالسفينة الراسية عند الشاطىء حينا ثم اخذنا سبيلنا بين صفوف من الجند وأكوام من المؤن والذخيرة . مضى بنا المرشد الى مركز التشهيلات . تم التعارف بيننا وبين الضابط ثم جلسنا ننتظر . انه ليس بضابط كلا ، انه دوامة مكهربة . يحرك الجنود والموظفين بأصابعه العشرة وبحاجبيه وانفه وشفتيه ويتكلم من خلال عشرة تليفونات . وكلما مر بنا بصره تفحصنا باسما وهز رأسه هزة تدعو للتساؤل والفضول . آلو .. ليتقدم حملة صناديق الذخيرة ، يا عم حسنين ، أنت مسئول عن توصيل البطاطس .. هات الساركى ، اسمعنى يا يسرى السطح الأمامى من الدور الأول للسرية الثالثة ، عليوة راجعت شهادات التطعيم ؟ ، مرحبا بضيوفنا الأدباء مرحبا .. سمعت عبد الوهاب وهو يغنى قصيدتك يا استاذ ، انتهيتم من التيفود ؟ .. والكوليرا ؟ .. آلو .. انتهى التطعيم ؟ ، أما مقالاتك انت يا أستاذ فهى السحر الحلال ، آلو .. أرسل شخصا لتطعيم الأدباء ..

– تم تطعيمنا ضد الكوليرا والجدرى !

ـ والتيفود ؟
ـ اكدوا فى البلدية الا ضرورة لذلك .
ـ التيفود مهم جدا .. دعونى اتصرف فأنا منذ الساعة مسئول عن الحركة الأدبية فى مصر ..
ـ ولكنكم تعطون الحقن بطريقة عسكرية .. اعنى ..
ـ يا رب السماوات ! .. أيخاف من الحقن أصحاب «البيداء تعرفنى » و « علو فى الحياة وفى المات » ؟!
استسلمنا . اجتزنا فترة عصبية لم تخل من تأوهات . ولما انتهى التطعيم قال :
ـ انتهينا من الكوليرا والجدرى والتيفود ..
ثم وهو يتصفح وجوهنا بنظرة غامضة :
ـ أما بقية الحميات هناك فلم يكشف الطب سرها بعد ..
تبادلنا نظرات ارتياب وتوجس على حين انصرف عنا فى غير مبالاة . وجرى التهامس بيننا فى اشفاق :
ـ أحق ما يقول ؟
ـ يبدو الأمر جدا .
ـ اذن فما معنى هذه الرحلة ؟
ـ لننفعل بالأحداث .
ـ اليس من الأسلم أن ننفعل فى القاهرة ؟
ـ وهؤلاء الجنود اليسوا بشرا مثلنا ؟
ـ ولكنهم جنود !
ـ لعله يمازحنا ..
واذا به يلتفت نحونا هاتفا :
ـ ستنفعلون أولا وقبل كل شيء بالحميات المجهولة !
وضحكنا طويلا . ضحكنا وكأننا نتسول تكذيب الظنون . ضحكات هى الأصوات المسموعة للقلق المتطاحن فى أعماقنا . ولكنه استقبل هدنة راحة فى زحمة العمل فرمقنا بنظرة جادة حقيقية لأول مرة . جادة وودودة . ثم قال بنبرة اخوية :

ـ أهلا بكم ، فرصة طيبة وسعيدة ، وهنيئا لكم زيارة بلد شقيق ثائر ، ستجدون له مذاقا خاصا وجمالا ذا سحر غير منكور ، فاذهبوا بسلام آمنين ..

شددنا على يده بامتنان وذهبنا وراء حقائبنا المحمولة الى السفينة . ودعانا القبطان الى العشاء . وطيلة الوقت ترامى الينا غناء الجنود من سطح السفينة الأمامى . ودار حديث عن ميعاد الابحار والجو . وأعلننا الرجل الكريم الظريف بأننا سنكون ضيوفه طوال الرحلة .

وفى أثناء ذلك اختفى من الصحاف الدجاج والشواء والملوخية والبطاطس والسلطة الخضراء والمش والبطيخ . ودعانا الى قضاء السهرة فى جناحه المطل على البحر ثم مضى الى عمله . أطفأنا المصباح واهبين الليل انفسنا . أنعشنا شراب البرتقال ونسمة معبقة بجو الميناء . وما زالت أغنية تتردد متهادية الينا من معسكر الجنود فوق مقدم السفينة .

ـ ترى فيم يفكرون حول بنادقهم ؟

ـ الحرب .. انها الحرب ..

ـ أقدم حرفة فى الوجود .

ـ لكنها تنشب هذه المرة فى سبيل التحرير والحرية .

ـ انها الحرب ، وهى ككل حدث خطير تدفعنا الى مواجهة لغز الوجود ، وجها لوجه ..

وتذوقنا حينا النسمة الملاطفة . استسلمنا بكل قوانا للحظة طيبة خالية من الكدر ، ثم تفرق الحديث واختلف كأنما يدور بين أجيال . وأوشك أن يستقل كل اثنين بفكرة ما .

ـ ستكون الحرب القادمة خاتمة الحروب !

ـ ولكن هل تستمر الحضارة بلا حروب ؟

***

ــ الحق ان العالم مقبل على عصر عليه أن يخلق فيه كل شيء من جديد .

ــ وربما وجد أن عليه أن يعتاد الحياة بلا معنى ولا آمال كبيرة !

***

ــ أظنه بسكال الذى قال اننا مبحرون فى هذا العالم ، ليس لنا خيار فى أمر السفر فلم يبق لنا سوى اختيار السفينة . .

ــ ولكن كيف نختار سفينة مناسبة اذا لم يكن لدينا فكرة عن الرحلة ؟

الأفكار مغلقة ولكن الأصوات راضية تند عنها غبطة المستمتع بعشاء لذيذ وشراب منعش . والغناء لا يتوقف ، يحمل الينا أنغام حماس وحنين . وثمة تساؤلات عما ينتظرنا هناك عند المأكل والمشرب والمنام . ومخاوف أوشكت أن تتضخم لولا ان ارتفع صوت قائلا :

ــ ما هى الا أيام ثم تنقضى بسلام ، دعونا نشارك الجنود حياتهم ولو بدون قتال . .

شعرت برغبة فى الحركة . غادرت جناح القبطان الى السطح ماضيا حتى الشرفة المطلة على مقدم السفينة . رايت الجنود على ضوء الكلوبات ما بين مستلقين واقفين وجالسين . جال بصرى بينهم فى وجد وانفعال . اجتاحنى طوفان من الذكريات الوطنية، حماسية واليمة على السواء ، لكنه طوفان حمل فى النهاية هذه السفينة ، التى تحمل بدورها هؤلاء الجنود ، ثملة بنشوة النصر والأمل ، ملوحة براية الأخوة والكرامة ، فأيقنت أن تاريخنا الطويل المثقل بأحلك الذكريات يتكشف عن صفحة جديدة بيضاء . وخيل الى أن اسمى يتردد فى نداء صاعد من بين أمواج

الغناء . حقا ؟!. أجل ان صوتا ينادينى . تحرك رأسى هنا وهناك حتى رايت جنديا يشق طريقه نحو اسفل الشرفة ملوحا بيده . امعنت النظر بدهشة . تذكرته . انحنيت من فوق السور فى غاية من الابتهاج . لوح لى بيده تحية فلوحت له بيدى .

الجندى

دعتنى للجلوس فجلست . توقفت عن الكتابة على الآلة الكاتبة وقالت لى مجاملة :

ــ شكلك ظريف فى البدلة العسكرية .

نفخنى السرور ، رحب بى الزملاء القدماء فى الادارة . على مكتبى السابق المجاور لمكتب خطيبتى جلس شاب جديد هو الذى حل محلى بعد تجنيدى ، سألتنى :

ــ هل اعتدت الآن الهبوط بالباراشوت ؟

همست فى اذنها :

ــ عندما اقذف بنفسى ابسمل واتذكر وجهك فيتم الهبوط على احسن حال .

وناقشنا بعض المشكلات التى تلابس زواجنا كالأثاث والمسكن فاتفقنا على الاقامة « مدة » فى بيت والديها وبذلك نؤجل مشكلة المسكن ونكتفى بتأثيث حجرة واحدة . وتركتها واعدا بزيارتها فى القريب فى بيتها . مضيت من فورى الى الثكنة بمنشية البكرى . ولم أكد أمكث ساعة هناك حتى صدرت أوامر بتجهيز سفريات الميدان . تجمعنا فى الحال . سألت جارى عما هنالك فقال لى علمى علمك . اصطفت سريتنا الثالثة . وزعت علينا البنادق . انتقلنا الى السيارات فانطلقت بنا الى هايكستب . كان ثمة قطار فى انتظارنا ، وثمة حركة نشيطة لنقل الذخيرة . همست فى اذن صاحبى :

ـ اليمن !

هز راسه فخيل الى انه يوافقنى على رايى . تحرك القطار. اجتاحنى شعور بالغرابة والحيرة . لم أودع خطيبتى ولم أودع امى . منذ عام كنت موظفا ، مجرد موظف على مكتب . وبفضل شبابى وصحتى أحببت وخطبت ثم جندت . ها هو القطـار يحملنا الى الميدان . سنهبط من الطيارات الى ميدان حرب حقيقية . لا تمرين ولا مناورة . يوم دعيت الى التجنيد قال لى رئيس السكرتارية « ها أنت ذاهب .. وها هو تدريبنا لك يضيع فى الهواء .. ساء حظ الرئيس الذى يوظف شابا قبل تجنيده بعد اليوم » . كنت موضع ثقته وكنت بذلك فخورا . أنا طول عمـرى من المتـوكلين على الله المعتمـدين على دعاء الوالدين . والحب عجيب كالقدر نفسـه فذات يوم عهد الى بتدريب موظفة جديدة . لم تكن أول فتاة أدربها فى السـكرتارية ولكنها كانت الأولى فى حياتى .

ساءلت زميلى مرة اخرى :

ـ اليمن .. اليس كذلك ؟

ـ أظن ذلك .

ـ متى نعرف ؟

ـ كل آت قريب .

اذن هى الحرب . كما نراها احيانا على شاشة السينما . وحتى فى السينما لم اشاهد معركة باراشوت اذ أننى أفضل عادة أفلامنا الغنائية . كانت الأولى فى حياتى فلم اعرف الحب قبلها بصفة جدية وقلت لها عليك بالانتباه فان رئيس القلم يمزق اى خطاب لأقل هفوة !. ما احلى ارتباكها اذا ارتكبت . ما أجمل نظرتها وهى ترنو الى مدربها . وهى تستهديه المعونة والثقة فيهدى اليها قلبه ومستقبلة .

وقال زميلى :

ـ القطار يهدىء من سرعته . ستعرف كل شىء ..

وقف القطار . اكثر من صوت ردد اسم الأدبية . أجل ..
أجل . غادرنا القطار . انتظمنا الصف . سرنا الى الميناء . جرى تطعيمنا ضد الكوليرا والجدرى والتيفود . وكل حمل لوازمه ومضى نحو سفينة راسية بالميناء . تناولنا العشاء . أناس استغرقهم النوم وآخرون راحوا يغنون . الحق اننى لم اركب سفينة من قبل . لا فى البحر ولا فى النيل . بل اننى لم أر البحر قط . ولم استطع أن أرى منه شيئا فى الظلام .

ــ اين الأمواج التى يقال انها كالجبال ؟

ــ نحن فى الميناء يا رجل يا طيب ..

لفحنى هواء لطيف فملأت صدرى ثم سألته :

ــ وماذا تعرف عن دوار البحر ؟

فسألنى بدوره :

ــ لماذا لا تغنى مع من يغنون ؟

تمشيت مستطلعا . لاحت منى نظرة الى أعلى . رأيت على ضوء كلوب وجها ينظر الى او بدا كذلك . من ؟ ! ، أستاذى القديم . أستاذى بمدرسة مكارم الأخلاق الاعدادية بشبرا . هو دون غيره . ترى ماذا جاء به الى سفينتنا .. وجعلت أنادى والوح بيدى وأنا أشق طريقى بين البنادق والنيام . واخيرا عرفنى فلوح لى بيده . التقينا عند منتصف السلم تماما فتصافحنا بحرارة .

ــ أنت جندى ؟! .. ما تصورت ذلك .

ــ جندى منذ عام فتركت وظيفتى الى حين .

ــ متزوج ؟

ــ كلا ولكنى خاطب.

ــ مبارك (ثم وهو يتفحص ملابسى) لا أعرف لغة ملابسكم .

ــ من قوة المظلات يا فندم .

ــ فرصة طيبة ، أتمنى لك حظا سعيدا .

ــ وماذا جاء بك يا استاذى ؟
ــ رحلة .. زيارة .. فى ضيافة الجيش .
ــ أهلا أهلا .. انى اقرأ مقالاتك .. هل تركت التعليم ؟
ــ نعم .

وتصافحنا مرة أخرى وهو يقول :
ــ أرجو أن أراك كثيرا .

انفصلنا . عدت الى مقدم السفينة وصعد الى السطح .

٢

الاديب

أخيرا تراءت لنا ميناء الحديدة .

تهادت سفينتنا فى الممر المائى الذى شقه الروس فى الصخر . عقب رحلة طويلة اذابتنا فيهـا الحرارة وانهكتنا الأحاديث . فوق سح بحر كظيم صامت ، تحت سـماء باهتة تترامى فى الآفاق بلا تعبير ، بين جماعات متواثبة من الدرافيل . لا تسلية لنا الا الكلام والسجائر والذكريات ولا عمل لنا الا الاستحمام وتجفيف العرق .

أخيرا تراءت لنا ميناء الحديدة .

تطلعنا بشغف نحو الأرض التى ظلت دهرا طويلا متقوقعة ، حتى ثارت ثورتها فحطمت القشرة الصلبة التى تحبسها فيما وراء التاريخ .

ــ تذكروا أن وطننـا تلقى موجـات فى أثر موجات من مهاجرى هذا البلد !

ـ لا يبعد ان نصادف اجدادا وأصولا ونحن لا ندرى .

قلبت وجهى فى مجموعتنا فرأيت وجوها تشى بأكثر من اصل تتراوح جذورها ما بين البلقان والسودان مارا بالشام ومصر . قلت لنفسى ان اضمن واعرق أصل للانسان هو الأرض .

***

استقبلنا مندوبا القيادتين العربية واليمنية . انتقلنا الى مركز قائد الميناء حيث قدمت لنا المرطبات . قائد ضخم كتمثال، وطراز من الرجال يضيف أصلا جديدا الى مجموعتنا المتعددة الأصول . دعانا لمشاهدة خريطة لليمن .

ـ ارض مجهولة لا يعرفها الا المرشدون ..

انتقل المؤشر من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب .

ـ جميع هذه المدن ثائرة وموالية أما الجبال فلا تخلو من جيوب !

ـ اعتقدنا أن الحرب قد انتهت .

ـ هى كذلك بالمعنى العسكرى ولكن علينا أن نطهر الجبال من المتسللين !

دعانا الى جولة فى المدينة . زرنا المستشفى . تجولنا فى أحياء ردتنا بقدرة قادر الى أزقة القاهرة وحاراتها القديمة . شاهدنا دكاكين حافلة بسلع من جميع أنحاء المعمورة . طالعتنا وجوه صامتة مغلقة غامضة ، لا ينظرون نحونا ، واذا نظروا لم يرونا .

ـ يا حضرة القائد .. أهم يكرهوننا ؟

ـ كلا يا أستاذ ولكننا فى عز وقت التخزين !

أجل .. انه القات !. الدنيا تنساب فى حلم كبير يرفرف فوق المدينة ولم نعد الا أشباحا لا حقيقة لها . وثمة تاجر مستلق على

أريكة أمام دكانه سأله القائد عن مكان ما ولكنه لم يبد حراكا ولم ينبس بكلمة .. ما فعل الا أن رفع يده ببطء شديد مشيرا نحو المكان كأنما هى صورة متحركة مصورة بالتصوير البطىء ، اما ظاهر الرجل اليمنى فيتلخص فى لحية وخنجر وبندقية . والتجول بين الحوانيت مثير للغاية . وكان مدعاة للتساؤل عن بدل السفر ومتى يصل . وقال القائد :

ـ ستجدون فى صـــنعاء سلعا أطرف وأجمل . اما تعز فحدث عنها ..

ولفتت الأنظار الحقائب والأقمشة ، ثم احتكرتها الهرمونات والمقويات . وتسلل من القـــائد الى النفوس اعجاب ودود ، تضاعف عندما دعانا الى العشاء فى مقر القيادة اليمنية . اجتمعنا هناك بكهول وشبان من اليمن ، منهم من يرتدى البدلة ومنهم من يرتدى الزى الوطنى . تبادلنا الأحاديث عن الحرب والثورة والتاريخ والأدب . كشفت الروح اليمنية عن كنوزها فاستعدنا شعورنا بالأنس والألفة وتفتحت قلوبنا بلا حدود . وملت نحو زميل هامسا :

ـ أشعر كأنما رأيت هذا المكان من قبل !

فرد على هازئا :

ـ هذه نتيجة عقدة نفسية سأحدثك عنها فيما بعد .

وضعت الموائد حول بركة كانت مسبحا للجـوارى ذات يوم . وعزفت لنا جوقة موسيقية وغنى لنا مهرج الامام . وقال لنا القائد ونحن عائدون :

ـ ستبيتون الليلة فى الباخرة وغدا صباحا تذهبون الى صـــنعاء ..

وتساءلنا عن وسيلة المواصلات فقال :

ـ ثمة طريق جديدة شقها الصينيون فى الجبل ، تقطعها السيارة فى ثمانى ساعات ، وسوف ترافقكم قوة مسلحة ..

ولدى سماع هذه العبارة الأخيرة ساورنا القلق ، وسأله سـائل :

ـ وما الداعى لمرافقة القوة المسلحة لنـا ؟

فأجاب مواريا ابتسامة :

ـ تعرضت الطريق لهجمة عدوانية فاشلة منذ اسابيع !

وأكثر من صوت قال فى نفس واحد :

ـ حدثنا يا قائد عن وسيلة مواصلات أخرى .

فضحك ضحكة عظيمة وقال :

ـ ستأخذون الطيارة وستصل بكم فى ساعة أو أقل .

عدنا الى الباخرة . سهرنا فى جناح القبطان فى جو حار رطب خرق المألوف لنا . ولما آويت آخر الليل الى القمرة قلت لزميلى فيهـا :

ـ اشعر من الحر والرطوبة بأننى سأموت عما قليل .

فأجابنى بصوت ملؤه النعاس :

ـ لكل أجل كتاب !

الجندى

السفينة تقترب من الشاطىء . جمهور ضخم ينتظرنا. ولكن اى جمهور ؟!. نساء !. أجل نساء لا حصر لهن فى أزياء مزخرفة بالحمرة والزرقة . ما الذى أخرجهن من البيوت ؟. وفى لهفةحزم كل جندى متاعه وعدته وحمل بندقيته . ورأينا ضيوفنامن الأدباء وهم يهبطون وراء حقائبهم . وبحثت عيناى عن أستاذى السابق حتى رأيته . وددت أن أودعه ولكن الزحام والنظام حالا دون ذلك . وصدرت لنا الأوامر بالنزول فسرنا نحو السلم فى ترتيب عسكرى . ها أنا أستقبل بلدا غريبا بعد أن ركبت

السـفينة لأول مرة . وفوق الأرض تكشـفت لى حقيقـة المتجمهرين . انهم رجال لا نساء كما توهمت من بعيد . يرتدون لباسا كالجونلة ويطلقون اللحى . تنغص حماسى وفتر فرحت اتمشى فوق رصيف الميناء . وتذكرت أمى التى لم أودعها . وتذكرت خطيبتى التى زرتها ولم أودعها أيضا . وقلت لو أننى ودعت أمى لتلقيت من دعواتها ما ينفعنى . ونودى علينا فهرعنا الى الصف . ثم اتجهنا الى سيارات معدة لتوصيلنا الى صنعاء. وخرجت السيارات من حارات متربة حتى اجتزنا بوابة كبيرة. واذا بنا ندخل فى طريق ممهدة ، تأخذ فى الارتفاع كلما تقدمنا . وسألت زميلى :

ــ اين مملكة سبأ ؟

فسألنى بدوره دون اهتمام بسؤالى :

ــ انحن ذاهبون الى الميدان ؟

وجذبت الجبال المتشابكة عينى . القيت بنظرة الى اسفل فأدركت مدى الارتفاع الذى نصعد اليه بلا توقف . ومضت الحرارة تخف والجو يلطف والدنيا تتغير . وتساءلنا حتى متى نواصل الصعود فأجاب دليلنا اليمنى :

ــ سنصعد فوق الجبل .

لا فرق بين السيارة والطيارة فى هذا البلد . ودار بنا طريق دائرى فتطالعنا الشمس المائلة حينا وتغيب عنا حينا آخر . وبهرنا السحاب وهو يزحف نحونا حتى روعنا . ودخلنا فيه فغاب الوجود وبتنا من أهل السماء . حتى أنفسنا غابت عنا . وارتفعت الأصوات وتبادلنا الألقاب الضاحكة . ولما خرجنا من السحاب استوى الجبل الى يسارنا على هيئة مدرجات تكسوها الخضرة المتألقة فهتفنا دهشة . لم أكن رايت من الجبال الا المقطم فيما وراء مسجد الحسين رضى الله عنه فتلوت فاتحة الكتاب . أما الى اليمين فينحدر الجبل صانعا مدرجات واسعة من السهول تنبث فى جنباتها القرى ، وتتناثر الأكواخ ، وتهبم

القطعان والأطفال ، من تحتهـا خضرة ومن فوقهـا قطع من السحب متفاوتة الشفافية تتلاقى فى احتـدام وتنتشر كقبة هائلة ثم تلاطم سفح الجبل تحتنا فتفور كالأبخرة ، وها نحن ننطلق فوق السحاب كأنما تقلنا اليوشن المظلات . قال الزميل :

ــ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

فقلت بوجد :

ــ صدق الله العظيم .

قبيل الغروب اجتزنا بوابة صنعاء . وعلمنا أننا ذاهبون الى كلية الطيران للمبيت فاستبشرنا خيرا ومنينا أنفسنا بليلة نوم ناعمة . غادرنا السيارات ومضـينا نحو الكليـة دون أن نتبين المبنى من الخارج لغلبة الظلام على الدنيا . ولكننا وجدنا أنفسنا فى مكان هو أشـبه ما يكون بالاصـطبل . لا مقعد ولا فراش ولا حتى حصيرة . وقفنا ذاهلين نتبادل النظرات . وامرنا ان نـنام كيفما كان الحال حتى الصـباح . نمنا ليلتنا على الأرض بكامل ملابسنا . وفى الصباح صدرت أوامر بأن ننشىء معسكرا حول مطار صنعاء فانهمكنا فى العمل . ولم يكن بين أيدينا من الطعام الا القليل ومن الماء الا النادر . وندرة الماء أزعجتنا بصفة خاصة . ونمنا ليلتنا فى المعسكر . وفى الصباح صدرت الأوامر بالتوجه الى مدينة عمران . خرجنا من بوابة صنعاء الخلفية . وترامى امامنا طريق صخرى يتنقل بين جبال عاتية . انى أغوص فى المجاهل . أصبح المـاضى بعيدا جدا . ترى هل علمت أمى بأمرى وهل علمت به خطيبتى ؟. انهما أعز ما يشدنى الى عالمى القديم . أما العالم الصخرى المكفهر المترامى امامى فلا أدرى شيئا عما يخبىء لى من أقدار الغيب . ورأيت عن بعد سيارة مدرعة تقود قافلتنا فتطلعت نحوها بثقة ولكنى قلت لنفسى ان الله وحده يحفظنا ويرعانا .

ــ كل شىء غريب هنا .

ــ وقافلتنا العسكرية تسير كما كنا نشاهد فى السينما .

ـ ولكن الفرجة شيء وخوض المعارك شيء آخر .
ـ لا يوجد انسى .
ـ ولا جان !

واخيرا تراءت لنا عن بعد بوابة حجرية تقوم على مبعدة منها الى اليسار قلعة ذات أسوار وابراج للمراقبة . تبودلت كلمات لم نسمعها بين السيارة المدرعة ورجال الأبراج فتح على اثرها باب البوابة فتهادت منه قافلتنا .

ـ مدينة عمران ؟
ـ أجل .. لعلنا نجد مقهى أو ملهى .

وجدنا قرية كقرانا فى الريف . تقع وسط سهل ومراعى تطوقها سلسلة من الجبال الصخرية من ثلاث جهات .

ـ مدينة عمران .
ـ مدينة عمران !

غادرنا السيارات . تناولنا الطعام من العلب وشربنا بحيطة وحذر . أحاط بنا الغلمان والأطفال شبه عرايا . حملقوا فى وجوهنا بأعين داهشة ثم تبادلنا الابتسام . ومرح الأطفال حول السيارات وتحتها . رغم البؤس اطل علينا من الأعين البريئة جمال فطرى ونظرات ذكية . ترى من من هؤلاء تربطنى به صلة قربى ترجع فى تاريخها الى الف عام ؟.

ولم نمكث فى عمران الا ساعات ثم صدرت الأوامر بالذهاب الى حجة . تحركت القافلة دون أن تترك وراءها ذكريات . دخلنا فى السحاب مرة أخرى حتى غاب عنا كل شيء . وندت أصوات متفرقة فى المسيرة الطويلة .

ـ اهى ارض عدوة أم صديقة ؟
ـ ربما انهال علينا المطر او الرصاص .
ـ قريب من هنا هبط سيدنا آدم الى الأرض .

تلوت الفاتحة والصمدية . ولما انجاب السحاب عنا ترامى أمامنا الطريق الصخرى مرة أخرى . ثم انفسح فيما يشبه الدلتا

عن أرض رملية تغطى الحشائش بعض رقعات منها متباعدة . وتوقفت القافلة فجأة فاشرأبت القلوب . دارت السيارة المدرعة فى حركة مناورة . وجرى التهامس من سيارة الى اخرى كمين .. كمين . تناولنا البنادق فى حركة استعداد . برز علم أبيض من وراء أكياس الرمل المطوقة للكمين . خرج جندى يمنى ملوحا ومرحبا . نزل اليه من السيارة المدرعة ضابط فتصافحا . زار الكمين ثم عاد الى السيارة . دخلنا حجة ، القرية الجديدة ، يا للقرى ! ان قلبى يحلم بشىء لا يتحقق . التقينا بجنود مصريين من المشاة . تفرقنا فى الخلاء والشمس على وشك المغيب . الجو مائل للبرودة كأيام الخريف يا مصر .

ــ جنود مظلات ؟

ــ نعم .

ــ صرواح !

ــ صرواح ؟

ــ هبط الجنود فى واد ضيق تكتنفه الجبال .

ــ فى صرواح ؟

ــ نعم .. ثم انهال عليهم الرصاص من الجبال !

ــ فى أى وقت ؟

ــ الفجر .

ــ وقت يسهل فيه الاختفاء ، هل وقع ضحايا كثيرون ؟

ــ غير قليلين ولكنهم طهروا المنطقة ..

ــ ليرحم الله الشهداء .

بلد كأنه شبكة من الجبال المتقاطعة . من كان يتصور ذلك ؟!. كحارات خان الخليلى ، كحجرة جحا ، كالتعليمات المالية والادارية . السحاب يركض وعما قليل تختفى السماء . وقيل انالمطر سينهمر . وارتفع النداء داعيا الى اقامة المعسكر .

٣

الأديب

استيقظت بعد نوم ساعتين . غادرنا السـفينة الى مطار الحديدة . اتخذنا مجالسنا فى طيـارة اليوشن ناقلة للجنود . سـنرى اليمن من فوق . صـحراء وجبال ومراع . اما المنظر الجديد حقا فهو منظر الوديان الخضراء فى سفح الجبل . وقال احدنا للمرافق لنا :

ــ الجبال عالية جدا !

ــ وتنطلق الطيارة بحذاء بعض القمم احيانا .

ــ لو ان عـدوا ربض فوق جبل فلن يتعذر علـيه اصابة الطيارة بالبندقية العادية ؟

فضحك قائلا :

ــ ولا يخلو بعض طياراتنا من آثار عديدة للرصاص ..

ولما راى وجومنا استطرد :

ــ لا تزيد نسبة الاصابة القاتلة عن واحد فى الألف ..

أسلمت ناظرى الى الجبال تحتنا . القرى الخضراء والفجاج الملتوية . حتى لاحت صنعاء . من الجو بدت مدينة عمران ومجمع احياء ومقر قباب ومآذن . وعندما حملتنا السيارة من المطار الى الفندق خاضت بنا زمنا موغلا فى القدم . وتراصت على جوانب الطرقات المتربة بيوت غريبة مزركشة . زركشتها أيدى أطفال فنسجتها من خيوط الأحلام والقت بها فى قلب مدينة سحرية . انشق سطح الارض عن دنيا عابرة تطوف بها القلانس والوزرات

والخناجر والبنادق واللحى . لفحتنا غربة ، لاطفتنا نسمة ، تجاذبتنا عواطف مبهمة ، ثم لذنا أخيرا بأطيب المشاعر البشرية التى جئنا بها . وفى الفندق ارتددنا الى ذكريات الطفولة ، درجات السلم العالية ، رائحة الكلس العطنة ، الأسقف العالية . فندق قديم كقلعة بالية يديره غلام ذكى . جلسنا على الأسرة فى عنبر جمعنا . وتبادلنا أحاديث لا نهاية لها . واذا بالغلام يجلس على كرسى عند باب العنبر بلا استئذان . جعل يقلب عينيه اللماحتين فينا بهدوء عجيب . ولما تركزت الأبصار عليه قال :

ـ أنتم مصريون ؟

ـ نعم يا أخا اليمن ..

ـ اتريدون فطورا ؟.. عندى بيض من اليمن وفول من مصر ومربة من أوروبا ..

ـ الانت صاحب الفندق ؟

ـ ابن صاحبه ولكنى مديره .

ـ كم عمرك ؟

ـ اثنا عشر عاما .

ـ اذا غالطناك فى الحساب ؟

ـ انى اغالط الجن .

ـ عفارم عليك ، وما رايك فى الثورة ؟

ـ كلنا متجمهرون وثوار واللعنة على الأعداء ..

ودخل رجل غامق السمرة مترنح المشية ، يرتدى بدلة ويطالعنا بنظرة مسطولة من عينين جاحظتين . قدمه الغلام باعتباره عمه ثم ذهب تأدبا . وقال الرجل انه من عدن ولكنه فى الأصل يمنى ، وانه شريك فى ملكية الفندق . وجلس على الكرسى الذى اخلاه الغلام .

ـ حضرتك مقيت ؟

ـ كلا .

ـ مسطول ؟

فضحك وأجاب بالنفى . سرعان ما أغرانا مظهره بممازحته فأثبت أنه أوسع صدرا مما تصورنا .

ـ أن كنت حقا من عدن فهل تعرف لغة اجنبية ؟

ـ عشت فى عدن ومصر وسوريا وانجلترا وفرنسا ..

ـ هل تستعمل القات ؟

ـ كلا فانه يضعف القوة الجنسية .

ـ اذن فأنت حريص على قوتك الجنسية ؟

ـ ان قرة عينى فى التجارة والفسق !

ضحكنا طويلا . وانطلق يتكلم عن الفسق فى شتى اشكاله وألوانه ومتناقضاته ، وعقد مقارنات عنه فى البلاد التى عاش بهـا ولكى يقيم الدليل لنا على صحة مراجعه حدثنا عن مصر حديث العارف الدائر ، حتى قال له شيخنا :

ـ انك معجم فسق البلدان !

غادرنا الفندق لزيارة القائد العام ورئيس الجمهورية . طفنا بمخازن الامام وبيت الرهائن ثم شهدنا فى المساء ندوة ادبية بالقصر الجمهورى . وقابلنا بعض الموظفين المصريين المنتدبين لعمل أو ميزانية للجمهورية اليمنية واقامة نظام مالى كأساس لحياتها الاقتصادية . وقد دعونى لزيارة جناحهم فى القصر فذهبت معهم وأنا اداعبهم قائلا :

ـ اذن فأنتم أول من بشر بالروتين فى أرض اليمن .

وجلسنا نتحدث وأصوات الشعراء فىالندوة تترامى الينا . وقال أحدهم :

ـ لقد اغلقت اليمن الأبواب على نفسها ألف سنة فلم يختف منها الشعر ولكن المشكلة الحقيقية هى متى يغزوها العلم ؟!

على السرية الأولى أن تستعد وتتجهز بأدوات الميدان . شملتنا حركة نشاط متدفقة وعصبية .

ــ لماذا ؟

ــ للقفز فى مدينة صعدا .

أمرت أن اذهب مندوبا عن ف ٢ للتعيين . ذهبت الى مركز التعيين . تسلمت مجموعة كافية من الفانلات والكلسونات وطواقى صوف وجرابات واحذية وعلب سردين وبولوبيف . الى صعدا . وما صعدا ؟. مدينة أم قرية ؟. غزو أم امداد ؟. لن يكون القفز هذه المرة فى ميدان تدريب كالمرات السابقة .

ــ لندع الله أن تكون صعدا خيرا من صرواح .

هتفت مقطبا لأتمالك أعصابى :

ــ الأعمار بيد الله .

ــ معى أربعة وعشرون ريالا وهى ثقيلة .

ــ لفها حول وسطك كما فعلت .

ذهبنا الى مبنى المطار لتسلم المظلات . اخذت مظلة أساسية بدون احتياطى . ليكن طريقك سهلا آمنا حتى نهبط فوق الأرض . لبست ما يلزمنى فى الحرب من بدلة مموهة وبدلة اسموكس فوق بدلة كاكى قفز والخوذة والبندقية وحقيبة خزن ومحفظة قنابل وحقيبة الجراية وبها ذخيرة ومطواة . وانهمكت فى اعداد اشرطة المظلة . واذا بيد تساعدنى . رفعت راسى فرأيت زميلى بمدرسة مكارم الأخلاق بشبرا . تعانقنا . عانقت فيه مصر واهلها .

ــ سأكون معك فى الطيارة .

ـ جان مستر ؟
ـ نعم وسأساعدك على القفز .
ـ اشكرك ، هل تتذكر شبرا ؟

فضحك ويداه لا تكفان عن مساعدتى . وقبل أن استرسل فى الذكريات دعينا الى طابور . استعرضنا القائد العام وقائد المظلات . وكان القائد يقف أمام كل جندى ويسأله :
ـ الك اى طلبات ؟

رأيته لأول مرة عن قرب . ذكرنى وجهه بوجه ستالين . وسرحت رغما عنى فلما عدت الى الحاضر سمعته وهو يعطى ارشادات عن المنطقة . واصطفت الفصيلة أمام طائرة اليوشن رقم ١٤ ، الضابط أول الأستك يمين وأنا آخر الأستك شمال . وهذا يعنى أننى سأكون أول القافزين . ولكن الا يستوى الأول والاخير أمام القدر ؟. وصعدنا الى الطيارة واحدا فى اثر واحد . بدأت محركات الطائرة تدور . كان معنا اثنان من جان مستر الذين يساعدون على القفز . وانطلقت الطيارة فلم تتحول أفكارى عن مصر . ولما استوينا فوق السحاب اشعلت سيجارة . ظلت أفكارى منغرسة فى مصر . النيل والخضرة والأم والفتاة . ولمحت طائرات تطير الى جانبنا . واذا بجرس النور الأحمر يدق معلنا وصول الطائرة الى صعدا . وظهر النور الأخضر داعيا الى القفز فى الحال .
ـ ستهبطون فى منطقة اسقاط بالمطار ، توجد طائرة بيضاء فى وسط المطار ، على كل فرد أن يتجه اليها ..

تقدمت من باب الطائرة . توثبت للقفز بقلب خافق . دفعنى الزميل القديم بشدة ليبعدنى عن جسم الطائرة . لم أنتبه لنفسى الا وحبال المظلة تشدنى فى الجو . نظرت الى أعلى فرأيت المظلة مفتوحة بيد أن حبالها التفت حول بعضها البعض . درت حول نفسى بسرعة فائقة حتى استقامت الحبال . مضيت أهبط فى

الظلام وحركة انسيابية هادئة تسرى فى أعصابى وأنا فى غاية من اليقظة والترقب . ولمحت شبح جبل غير بعيد ، ما لبثت أن صرت فى كنفه ، وجعل يرتفع كلما أمعنت فى الهبوط . اخترقت اذنى أصوات طلقات نارية . اجتاحنى القلق وشدت يداى على الحبال . ضرعت الى الظلام أن يخفينى عن أعين الصائدين وأنا أتوقع رصاصة تصيبنى فى أى لحظة . انتهت الرحلة التى أعتبرها أطول رحلة فى حياتى فاصطدمت بالأرض صدمة شديدة ورحت أتدحرج منقلبا على نفسى مرات حتى استقر بى المكان . غرزت ركبتى فى أرض معشوشبة مصمما على النجـاة . فتحت قفل المظلة فأخليتها بسرعة ثم انبطحت على بطنى . وبحذر شـديد تخللت الظلام بعينى . واذا بى أرى شـبحا على مقربة منى فسددت نحوه بندقيتى فى ذات الوقت الذى صاح بى « يا أخى المصرى .. أنا من الحرس الوطنى » أنهضنى وهو يعانقنى . حدثته عن الطلقات النارية فأكد لى أن الجبل بعيد نسبيا . نظرت حولى فميزت مجاميع من أشجار التين الشوكى . انطلقت فى الجو اشارة خضراء فمضينا نحوها ، وانضممت مرة أخرى الى السرية . نادى الضابط علينا فتبين غياب أثنين من السرية .

ــ أصيبا ؟

ــ أو هبطا فى أرض العدو .

لاحظت وجود جنود من غير سريتنا . وعلمت أن ثمة قوة سبقتنا الى هنا ولكنها حوصرت فطلبت نجدة فأرسلنا اليها من السماء . ولم يكن بصعدا أحد سوى الجنود . ولم نسترح دقيقة فتوزعنا فى أماكن من السور المحيط بالبلد وسرعان ما اشتركنا فى اطلاق النار . واستمر الضرب من ناحيتنا حتى توقف الضرب الآتى من الناحية الأخرى .

وصدر أمر بالاستعداد للهجوم على الجبل الأسود المطوق لجانب كبير للمدينة . حصل تجمع لا اعرف مداه . وترامى الينا أزيز طياراتنا وهى تهاجم الجبل وترميه بقنابلها . تواصل الضرب



ساعة ثم صدر الأمر بالتحرك . تقدم سريتنا ضابط حاملا مدفعا رشاشا فتبعناه فى حركة انتشار . تقدم الضابط لنا بث فينا روحا عاليا فأخذنا فى الصعود ونحن نطلق النار وقد شعشع ضوء النهار الباكر . وتساقط رذاذ فى أثناء تقدمنا ثم لم يلبث أن انهمر المطر . وصوت صاح :

ـ يجب أن نصعد قبل أن تعيقنا السيول .

الحق ازعجنا المطر وتسلل منا الى الأجساد على حين غاصت أقدامنا فى الوحل . لم نكف عن الضرب حتى كف العدو عنه مما يقطع بتقهقره . ومضينا فى صعود عسير تكاد تجرفنا السيول حتى بلغنا القمة . أعلن الضابط احتلال الجبل . تسلينا دقائق بمشاهدة آثار قنابل الطائرات .

تلقينا أنباء عن فقد شهداء منهم ثلاثة من المجموعة التى استقلت معى الطيارة رقم ١٤ . تذكرت وجوههم وبخاصة احدهم الذى كان يحدثنا فى أوقات الفراغ بالفصحى متفكها .

ـ ماذا يصنعون بالجثث ؟

فسمعت اجابة مقتضبة لا تخلو من أسى :

ـ يدفنونها !

ولكن الميت يظل حيا فى وجدان أهله بمصر حتى يبلغهم خبره . وفكرت فى مصر . بكل وجدانى الحزين . من فوق قمة الجبل الأسود وتحت سيل من المطر المنهمر فكرت فيك يا مصر . وسمعت نداء باسمى . وقفنا ثلاثة امام الضابط :

ـ كونوا نقطة انذار على بعد كيلو ونصف .

حددنا الموضع بالقياس الدقيق . حفرنا حفرة سرعان ما امتلأت بمياه المطر . غصنا فيها حتى الرقاب ومعنا جهاز لاسلكى صغير R/06 .

ـ راقبوا جيدا وعند اى اشتباه نبلغه ثم ننسحب فى ثوان قبل اطلاق النار .

ـ قد يلمحنا العدو ونحن ننسحب .

ـ أى تأخير معناه الموت بقنابل جنودنا !
اختص كل منا بناحية والمطر يكاد يجرفنا .
ـ لكن الجبل طهر ، أليس كذلك ؟
ـ الزم الصمت ..
ركزت عينى فى المراقبة والمطر ينهل بغزارة وقوة لم اتخليها من قبـــل .

٤

الأديب

غادرنا صنعاء بالطيارة الى مأرب . من المطار استقللنا سيارة روسى فى حجم لورى متوسط ، فى مقدمتها مدفع ، تتحملنا الى القلعة والآثار . قطعت بنا طريقا وعرة متلاحقة العقبات . وكان فى هندستها مرونة لتواجه بها المرتفعات والمنخفضات ولكن لم يكن بنا مثل مرونتها . تأرجحنا بقوة وتصادمنا فخففنا البلوى بالفكاهة ما أمكن . اخترقنا أرضا فضاء الى ما لا نهاية ، قاحلة جرداء ، الا من نباتات شوكية موسومة بطابع الهلاك والفناء .
ـ مكان الجنتين خال !
ـ أجل ، أين العمران والخضرة أين !
ـ وجه الأرض يتغير كوجه الانسان .
ـ لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان .
ـ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم .
زرنا الآثار القليلة الباقية . عرش ســبأ ومقاعد مجلس الحاشية . تكشف عنها وجه الأرض ثم تركت وحيدة وسط يباب يكتنفها من جميع الجهات . وقفنــا نعم النظر وثارت

رومانسية الشعراء ولكن ماذا يعنى أى أثر لقوم آتين من بلاد الآثار ؟

وذهبنا الى القلعة . وجدنا حامية مصرية معزولة عن العالم بآلاف السنين . حفروا بئرا ليشربوا ، واقاموا فرنا ليخبزوا ، وبدوا كأسرة مستقلة مكتفية بذاتها ضائعة فى الفراغ . قابلونا بمرح وقدموا لنا الشاى . ولم يكن يصلهم بالدنيا الا راديو وبعض أفلام قصيرة عن مصر . وأشاروا الى مدينة صامتة مقامة فوق هضبة ، مدينة غارقة فى الجمود والصمت .

ــ مدينة مهجورة ، هجرها أهلوها فى أثناء المعارك .

ميتة لا حركة فيها ولا صوت ولا خيال لحى . كانت مقاما للأشراف ، وخارج أسوارها عاشى الرعاة .

ــ ثمة مفاوضات معهم وسوف يعودون .

ــ يا له من منظر ، منظر المدينة الخالية . حتى المقابر توحى بطريقة ما بالراقدين داخلها .

ــ وكيف حال مصر ؟

ــ عال ، قلوبها تخفق معكم .

ــ وكيف حال الأدب ؟

وضحكنا . وفى أثناء ذلك جاءونا بنسخ من كتبنا تهرأت من كثرة التداول .

ــ انتم لا تتصورون مدى الأثر الذى يحفره فى نفوسنا قراءة بضعة أسطر عن وصف مكان أو عادة أو زمان من مصر .

حقا لا يمكن أن نتصور . وقال أحدنا :

ــ ولكن عددكم قليل ومراكز المراقبة معدودة ؟

ــ لا يهم .. اصبحت المنطقة موالية ..

تخيلت نفسى مقيما فى هذا الخلاء . يوما بعد يوم ، بلا عمل ولا تسلية . وكلما تخيلت عجبت للمرح البسيط الصادق الذى يطالعنا فى الوجوه . وغزانى شعور بالاكبار لا يقاوم .

رجعنا الى اللورى الروسى . كابدنا الطريق فى الاياب كما

كابدناه فى الذهاب . عدنا الى صنعاء . دعينا الى زيارة مندوب الحكومة المصرية . جلسنا فى بهو استقبال فخم وشربنا المرطبات.

وتكلم أهل العلم عن مستقبل اليمن الواعد بكل خير . عن الشباب الثائر المؤمن بالتقدم . عن التأخر الأسيف المتراكم من أبعد العصــور . ايمان المســئولين اليمنيين بوجوب ســير الاصلاح جنبا الى جنب مع الحرب ودون تأجيل . ولدى عودتنا الى الفندق وجــدنا فى انتظارنا وفدا من الأدباء الثــائرين . جالسونا على الأسرة فشرق بنــا الحديث وغرب . وكان لكل منهم مغامرة مع الامام فراح يروى مغامرته .

الجندى

غادرنا الجبل على أثر قدوم قوة من المشاة لتحتله . نمت نوعا عميقا فى المعسكر . فى الصباح منحنا عطلة قصيرة فقصدت قرية غراز . سرت فى طرقاتها الضيقة فاستقبلنى أهلها ببسمات انسانية كنت فى نهم اليها . لاعبت الأطفال حيثما وجدتهم . وشربت القهوة فى مقهى ريفى كالكوخ . أذهلنى جمال النساء . جمال العيون بصفة خاصة يبعث الدفء فى القلوب التى أذابها المطر . صادفت فى تجوالى بئرا وقفت حولها أم وابنتاها يملأن الجرار . تلكأت عندهن فنظرت الى الأم بحنان ذكرنى بأمى التى لم أودعها .

— مصرى ؟

— نعم يا خالة .

— يخليك لأمك .

سررت وابتسمت الفتاتان . اجتاحنى شعور عائلى وتذكرت قريتنا باسطنها . قلت :

ـ نحن نحبكم .
واذا بصوت عال يقول فى غير جدية : ـ
ـ ما شاء الله !
ـ أديت التحية للضابط فقال مقطبا :
ـ ماذا تفعل ؟ .. الا تعرف التعليمات ؟
وابتعدت من فورى والمرأة تقول له شبه غاضبة :
ـ افزعته يا رجل !
عند الظهر صدرت الأوامر بالتحرك الى قرية البيضا على بعد ثلاثة كيلومترات من صعدا . ولدى مشارف الموقع الجديد هاجمناه على شكل كماشة تتقدمنا ثلاث عربات مدرعة . وثار الضرب من الجانبين كأعنف ما يكون . اشتد الضرب علينا بغزارة وشت بضخامة القوة التى تتصدى لنا . انطلق الرصاص من مركز المراقبة ، من أسوار القلعة ، ومن أكثر من كمين ، انفجرت قنابل وراءنا وبين صفوفنا . وصدر الأمر بالانسحاب ونحن نقاتل . انسحبنا مقاتلين بعنف . انغرزت احدى سياراتنا المدرعة فى حفرة وتعذر عليها المسير . انهمر عليها الرصاص كالمطر فلم يجرؤ أحد ممن فيها على رفع رأسه وتوقف الدفاع . أحاط بها العدو من كل جانب ونحن نقاتل مقهقرين لا نستطيع أن نمد لها يدا . ثم أطبق عليها الأعداء بالبلط والخناجر .
ساعات مرت دون أن تتوقف العملية دقيقة واحدة . انهكنا التعب . قل زادنا من الطعام والذخيرة والماء . وضاعف من ارهاقنا احساسنا بالقذارة ونحن نتقلب فى الطين . الساعات تمر بثقلها فوق أجسادنا وأرواحنا . وساءلت نفسى حتى متى أحتمل العناء الذى يفوق طاقة البشر .
وهتف صوت :
ـ صوت دبابات !
ـ وطائرات !

هل جاءت نجدة حقا ؟

ارتفعت روحى المتهافتة . اشتد اطلاق النار . دارت الدبابات من حولنا وهى تقذف بقنابلها . ثم دوت انفجارات قنابل الطائرات . تراخت القبضة الخانقة لرقابنا . تحولنا من الدفاع المتقهقر الى الهجوم . اقتحمنا البيضا ونحن نتساقط من الاعياء . علمت باستشهاد احد زميلى بنقطة الانذار فوق الجبل الأسود . تذكرت أحاديثنا منذ ساعات عند مشارف قرية غراز . قال انه راى وجوها تشبه بعض أفراد أسرته بدرجة مذهلة . اقتنع بأنه ينحدر من أصل يمنى . وقال لى :

ـ لا تدهش اذا قررت ـ بعد الحرب ـ الاقامة فى اليمن الى الأبد !

٥

الأديب

طارت بنا الطيارة الى تعز . ودون توقع أحد منا وجدنا انفسنا فى جنة . تهادت بنا السيارة من المطار الى القصر الجمهورى فى جنة .

ـ ماذا ترون أيها الاخوة ؟

ـ سويسرا .. لبنان .. حلم الخيال .

الحقول خضراء ، المراعى خضراء ، الطرقات مجللة بالاشجار، الحدائق أكثر من البيوت عدا ، سلسلة من الجبال كالأنغام المتموجة مكسوة بالزمرد مزركشة بالأزهار ، الجو لطيف يريق السحر معبقا بشذا الورود والثمار . وصاح صائح مشيرا الى القمة :

ـ يا له من فندق سياحى !

انه يلوح كوكر نسر فوق قمة جبل وسيط بين التموجات الجبلية غير أن الدليل قال مصححا بهدوء :

ـ بيت الرهائن ، وهو اليوم خال .

وضحكنا ونحن نتأمله فى أسى . واخترت شاعرا من بين الزملاء وهمست له :

ـ الا تعذرنى ان طلبت الاقامة فى تعز ؟

فأجاب بشىء من الامتعاض :

ـ دلنى على ملهى واحد ..

ولما آنس منى دهشة استرد :

ـ دفء الجمال الحقيقى انما ينبعث من المرأة ..

ثم بعد دقيقة صمت :

ـ والويسكى .. لا يجوز ان ننسى الوقود .

استرحنا فى القصر الجمهورى ساعة . دعا الداعى الى التسويق . ذهبنا الى السوق كل يحمل بدل سفره . وتساءل صوت فى براءة :

ـ أليس الأفضل أن نحتفظ بالعملة الصعبة لوطننا ؟

انهالت عليه مختارات من السباب شعرا ونثرا . تجولنا فى السوق . الوجوه ناضرة جميلة . الحوانيت يديرها غلمان هم آيات فى النشاط والذكاء . اخترنا محلا متوسطا فانقضضنا عليه كمجموعة من الفئران . زاغت الابصار بين لعب الأطفال والساعات الأوتوماتيكية والأغطية والمفارش والبلوزات والاشاربات والشالات . من جميع بلاد المعمورة . وابتاع كل حقيبة متوسطة ليودع بها هداياه . عدنا ولا عملة معنا صعبة ولا سهلة . ذهبنا ـ عقب الغداء ـ الى ميدان الشهداء لشهود ندوة أدبية . استقبلنا بهتاف واتخذنا مجالسنا وراء مائدة مستطيلة . ازدحم الميدان بالجمهور . استبق الشعراء الى الترحيب بنا والاشادة بثورتنا . والقى شعراؤنا قصائد عن

العروبة والجهاد والثورة والاشتراكية . وجدتني طيلة الوقت اقارن بين احاديثنا الفردية وكلماتنا أمام الجمهور . بين تجوالنا في السوق وموقفنا وراء المنصة . ان الصوت الذي يتحدث أمام الجماهير هو صوت الجماهير . وخيل الي انني ادركت شيئا مما ينقصنا . لعله محو التناقض بين ما يقال وما يجب ان يقال. أن نتبنى في خلوتنا صوت الجماهير . ها هي اشداق مستقبلينا متكورة بالقات اذ قامت الحفلة في وقت التخزين . هكذا اجتمع خازنو القات بخازني الهدايا في سباق الحماس لتقرير المبادىء المثالية للأمة العربيـــة . وعند ابداء ملاحظة من هــذا النوع ستسمع من يرد عليك قائلا « يا أخي .. نحن بشر .. لم نرتكب شرا .. ونحن مخلصون .. » ولكن أين الروح التي تشــعل القلوب ؟، أين لحظات الانتصار على النفس التي تخلق المعجزات على مدى التاريخ ؟ ماذا ينقصنا ؟. لماذا نبقى كأننا متفرجون حسنو النية أمام فيلم يموج بجليل الأحداث ؟. وخيل الي أن شيئا يتحرك عند ساقي تحت المائدة . طويت طرف الغطاء ونظرت الى أســفل فرأيت صــبية في الثامنة أو دون ذلك ، متلفعة بشال أبيض ، تتفرج على الحفل من تحت المــائدة . شــعرت بعيني فأدارت نحوي عينيها فرأيت وجها صغيرا نقي البشرة يحدق في بعينين سوداوين كأجمل ما رأيت في حياتي من عيون . وجب قلبي ممتنا لرؤيتها . وفاض به نبع من الحنان والحب . ورفعت عيني الى قطع الســحاب الأبيض المشعشع بنسائم مخضلة برذاذ يجيء قليــلا وينقطع قليلا فاطمأن القلب الى وجود شيء صغير على هامش الجمع ، عند ساقي ، ولكنه كامل الصدق والنقاء . وسهرنا في حديقة القصر حتى الهزيع الأخير من الليل . الهواء بارد دسم ولكنه مفعم بالأمان والسحب تبهر العين بضياء القمر . وقال محدثنا :

ــ المدن معنا ، أما الجبال فمارقة ولا ســبيل للتفاهم بين الاثنين .

وقلب عينيه فى وجوهنا مستطلعا ثم واصل :
ـ فاما ان نلتزم موقف دفاع الى الأبد واما ان نبيد العدو ابادة !

وقال قائل :
ـ الابادة !
وقال آخر :
ـ الحضارة .. نغزوهم بالحضارة !
وثالث قال :
ـ نعترف بالواقع !
وتواصل الحديث تحت ضوء القمر . وتجلت لنا الحقيقة صخرية صلبة مستقلة بذاتها عن الأحلام .

الجندى

الى وادى نشوز .
تحركنا بالعربات المدرعة .R + B شارفنا الوادى . تقدمت دبابتان للاستكشاف تتبعهما مدرعتى الحراسة . دخلنا ممرا ضيقا تقوم على جانبيه هضبتان صخريتان وكنا فى المدرعة عشرة . بعد توغل نصف كيلو انهمر علينا الرصاص . تصدت دروع السيارة للرصاص واستمرت عملية الاستكشاف . انحشرت سيارتنا فى مطب او التحمت بشىء مرتفع فتوقفت . عجزت عن التحرك وضاع كل جهد لتخليصها .
ـ على دبابة أن تدفعنا من الخلف .
ـ ليذهب أحدنا الى احدى الدبابتين .
وقعت القرعة على زميل فغادر السيارة ليزحف على بطنه فى الظلام . انتظرنا فى غاية من القلق . وبعد دهر رجع الينا وهو يقول :

– دبابة المقدم مشتبكة في قتال على بعد خمسة كيلومترات. أما الأخرى فقد تعطلت !

صعقنا الخبر . وهمس صوت :

– نحن عشرة والعدو آلاف .

– والعمل ؟

– مصير سيارة البيضا !

من داخل السيارة رأينا الأشباح تهبط في حذر من الجبل . فتحنا سقف السيارة وأخذنا أهبتنا بالبنادق والقنابل اليدوية . طلبنا النجدة باللاسلكي ولكن الاتصال انقطع . أمرنا أقدمنا في الخدمة بمغادرة السيارة . مرت لحظات رهيبة ممزقة بالخوف . قاومت موجة من الضحك تريد أن تجتاحني . وثب أحدنا . تبعناه بلا تردد . نفر من الموت الى الموت . انهال الضرب . انبطحت على وجهي . استعملت البندقية والقنابل اليدوية . في هنيهة صمت رفعت رأسي فلم أجد أثرا لأحد من زملائي . دعوت القمر أن يختفي . لم أدر أين أتجه ولا كيف تفرق الزملاء . خيل الى أنني محاصر . اتجهت وجهة بلا خطة ولا علم لي بما ينتظرني . دهمتني لحظة مباغتة فوجدتني حيال ثلاثة أشباح من العدو بلا تدبر أو وعي فتحت الأمن وضغطت على الزناد فانطلقت مطرة من الرصاص خر على أثرها الثلاثة . انطلقت أعدو على غير هدى تحت ضوء القمر . سمعت صوتا يناديني فاتجهت نحوه بلهفة من يفلت من قبضة الموت . وجدتني مع مجموعة من الزملاء ماضية في حذر نحو شبح الدبابة المعطلة . ولما بلغناها صحنا معا :

– افتحوا .. نحن مصريون !

لم نتلق من الداخل استجابة من اى نوع كان . كررنا النداء بلا أمل . يئسنا فدفعنا أنفسنا في الحشائش متفرقين وأصوات الرصاص لا تنقطع . وأخذ الضرب يخف حتى سكت . نهضت في حذر مقتربا من الدبابة وهتفت بتوسل :

ـ افتحوا .. انى مصرى .. الا تسمعون ؟

ظلت الدبابة غارقة فى صمت متحد مرهق رهيب حتى تطايرت اللعنات من فمى ثم رجعت مغيظا يائسا الى قبر الحشائش . واذا بالضرب يتركز على الدبابة كالسيل . مست رصاصة خوذتى فتشهدت . ترقبت الرصاصة التالية بيأس وقهر . هاتف قال لى اننى سأعود الى مصر . اقسم لى على ذلك . اشتد الضرب لدرجة غير محتملة . ثم يهدأ ويخف لسبب لا ادريه . لم يبق منه الا طلقات متباعدة وانا مغروز بكل قوتى بين الحشائش . وخيل الى ان الظلام يخف ويبهت رويدا . اجل ، الظلام يخف رغم اختفاء القمر وراء الجبل . سوف تلوح تباشير الضياء وينقشع الظلام الذى يخفينى عن عين العدو المتربص . سيجدنى صيدا سهلا وسينهال الرصاص الحانق الغاضب على من جميع الجهات . الصباح يقترب ولا مكان للمعجزات . لعل امى تصلى فى هذه اللحظة ولكن لا أمل فى المعجزات . واشتد الضرب فجأة . اشتد اكثر من أى وقت مضى . أصبح الضوء يسمح بالرؤية . أقدام العدو تتراجع نحو الجبل والضرب يجىء من الناحية الخلفية . ترامى الى سمعى صوت دبابة او دبابتين . جاءت النجدة . ان القذائف تطير فوقى لتنفجر خلف سفح الجبل . لم تدم فرحتى الا ثانية واحدة ثم تساءلت كيف اعلن عن حقيقتى المدفونة لبنى وطنى ؟. كيف اتجنب الموت برصاصهم أو شظايا قنابلهم ؟. أطلقت النار نحو العدو المتقهقر . وتركز الخوف من الموت فيما وراءى . اثقلنى التعب وثقل على بصفة خاصة فوق كتفى اليسرى . وغاصت الأرض بلا سبب واضح . الى اين تغوص الأرض ولماذا ؟. اننى اهبط فى هوة ثم يرفعنى شىء مجهول الى أعلى . وعاد ضوء الصباح يضعف بسرعة عجيبة حتى غاب كل شىء فى الظلام .

٦

الأديب والجندى

غادرنا القصر الجمهورى فى الصباح الباكر . والسيارة تميل بنا نحو طريق المطار . اعترض سبيلنا قطيع غنم ترعاه فتاة .. فتاة جميلة لخص وجهها وقوامها جمال تعز بكافة اشكاله والوانه . اهتز الشاعر وجعل يهلوس بها بقية الرحلة . عدنا الى الحديدة . الى الحرارة الذائبة فى الرطوبة الخانقة . قال :

ـ الارتفاع فى المكان يحدث المعجزات ، كذلك الروح فانها اذا شاءت أن ترتفع فانها تعانق المعجزات ، ما رأيك فى هذه الفكرة ؟

قلت :

ـ لخيرك ولخير الشعر لا تكتب الا عن المراة !

ودعانا القائد الى العشاء فوق سطح مسكنه على شاطىء البحر الأحمر . لطف الجو ليلا على شاطىء البحر . طاب السمر حول المائدة الحافلة بما لذ وطاب من طعام وشراب . تجاوبت فى الفضاء ضحكاتنا . هل سمعتم نكتة الرجل الذى . هل تعرفون حكاية الزوجة التى ، هل وهل وها وها . وتنوع الحديث واختلط جده بهزله ، وتعدد المتحدثون فى وقت واحد ، وانقسموا الى وحدات مستقلة .

ـ الجبليون أشداء ، عندما يحكم على احدهم بالموت يتقدم الى السياف مطلق اليدين على مشهد من أهله ، لو خاف أو صرخ ركبهم العار الى الأبد ، يحنى رأسه بثبات ، يهوى

عليه السيف دون بادرة خوف من ناحيته ، ينفصل رأسه عن جسده وكأنه راس رجل آخر .

ـ رجال أشداء حقا ، من سلالة غزت العالم ذات يوم ، وقوة مدخرة للخير مستقبلا !

***

ترى اين تلميذى القديم ، جنـدى المظلات ، ماذا يفعل الآن ، وماذا يفعل غدا ؟

***

ـ وينفذون اوامر شيخ القبيلة بلا تردد ، فى المعقول وفيما يجاوز اى معقول ، حتى الموت نفسه يهجمون عليه دون مبالاة ، ويؤمنون بأنهم من طينة غير طينة البشر ، وأن الدنيا جميعا تحت وانهم فوق ، كالجبال التى تؤويهم !

***

ـ ستعود فرقة من الجنود معنا على ظهر الباخرة ..

ـ ما أجمل أن تؤدى واجبك فى حرب ثم تعود الى الوطن سالما !

ـ الانسـان يحارب منذ وجد على ظهر الأرض ، ومن خلال الحرب خلق الحياة والحضارة !

ـ متى انقلبت الى مارد فلسفى ؟

ـ لا فلسفة ولا دياولو ، فكرة تذهب بى واخرى تجىء بى ..

ـ سبق أن قلت انك لم تحارب ولن تحارب .

ـ والحمد لله على ذلك !

ـ ومرة تزوج جندى دون اذن فقدم للمحاكمة وحكم عليه بالحبس سبعة أشهر ، ثم أرسل الى مصر لتنفيذ الحكم ولكنهم أرسلوا معه زوجته اليمنية ..

***

ـ دماغى يدور ويجب أن نتبادل الرأى !

ـ سيتسع المجال فوق ظهر السفينة .

ـ العالم غريب ملىء بالمتناقضات ولا معنى لشىء اذا لم نعرف لماذا نعيش !

ـ شربت أكثر مما ينبغى ..

ـ انى اشرب زجاجة كاملة وأستطيع بعد ذلك أن أحاضر اذا شئت ..

ـ متى تجمع محاضراتك فى كتاب ؟

***

ترى أين ضابط الشئون العامة لأسأله عن جندى المظلات ؟

***

ـ وتلاقينا مع قوة معادية ولكن حجز بيننا صخرة كبيرة فى ممر جبلى ، تحصنت كل جبهة فى مكانها واستحال علينا القتال ، دخلنا معركة كلامية ، قلنا لهم يا عبدة الامام يا أعداء الاصلاح فقالوا لنا يا كفرة يا فجرة يا عبدة الشيوعية ، ثم تمادينا فى السب والقذف !

***

ـ لا اعرف مكانه الآن ، اكتب له خطابا واعدك بايصاله اليه فى اى مكان فى الميدان ..

***

ـ هل جربت مواجهة الموت ؟
ـ الحياة كلها كفاح وليس الجندى وحده الذى يحارب ..
ـ ولكن ..
ـ سأقص عليك قصة حب عانيتها زمنا ، بطلتها فتاة متمردة وحشية ، وسوف تقتنع بأن ما كان بينى وبينها لا يختلف عن القتال فى شىء .

***

هل ثمة فرصة لأكتب كلمة سريعة ؟
اخى العزيز ..
كم وددت أن أودعك قبل الرحيل . أذكرك بالحب والاكبار وانا على وشك العودة الى أرض الوطن . ستعود اليه ذات يوم منتصرا راضيا باذن الله . اهنأ الآن بأنك تحارب فى سبيل قضية عادلة ، قضية التقدم للانسان العربى . ومهما تكن العوائق ومهما تكن العواقب فانك بذرت فى الأرض بذرة من طبيعتها النمو والازدهار . أستودعك الله والى اللقاء .

« المخلص »

عبث وعبي



المسرح منقسم الى قسمين . قسم امامى وهو حوالى ثلثى المساحة وهو مضاء واضح المعالم . فى وسطه نخلة مغروسة ، وفى جانب منه ساقية صامتة ، القسم الخلفى مرتفع درجات على هيئة مصطبة ، تغشاه الظلمة ، وتلوح به أشباح راقدة ، نيام او موتى . الطابع العام طابع تجريدى .

يرفع الستار . على المسرح فتاة جميلة تسير ذهابا وجيئة بين النخلة والساقية . ثوبها يناسب الجو التجريدى حيث يصعب تحديده على أساس جغرافى وكذلك ثياب جميع من سيظهرون على المسرح .

ومع ارتفاع الستار تترامى أصوات معركة بين اثنين آتية من ناحية اليسار . شتائم وتهديدات وأصوات ضرب .

الفتاة : يا رب السماوات .. متى تختفى هذه الأصوات من الوجود .. متى تشرق شمسك على أرض ناعمة البال ، قريرة العين ؟

(تصغى الى الأصوات بقلق متزايد ثم تقول :)

الفتاة : ترى هل أكفر عن ذنب قديم ؟، او انه بلاء مركب فى دمى ؟، أو انها أخطاء تقع فلا تلقى ارادة صادقة لاصلاحها ؟.

(يتقهقر شخص مندفعا بعنف ، نتيجة لدفعة قوية تلقاها فى الخارج ، ثم يسقط تحت النخلة مغمى عليه . الفتاة تنحنى فوقه باهتمام وتربت على خده بحنان . يفتح عينيه . ينظر اليها ثم يغمض عينيه مرة أخرى مغمغما)

الفتى : أبى !

(تربت على خــده بحنان ، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)

الفتى : أمى !

(تربت على خده بحنان ، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)

الفتى : زوجتى !

الفتاة : شد حيلك .

(تدلك خديه . يفتح عينيه مفيقا . ينظر اليها طويلا ثم يتمتم)

الفتى : أنت !

الفتاة : حمدا لله .. قم .. اعتمد على ذراعى ..

(تقيمه .. تمسح بمنديل جبينه وتسوى له شعره.. وهو يأخذ فى التماسك شيئا فشيئا)

الفتاة : لعلك أحسن ..

(الفتى لا يرد ولكنه يعاود حالته الطبيعية)

الفتاة : تنفس بعمق فالجو اليوم طيب .

الفتى : لا شىء طيب على الأطلاق .

الفتاة : الجو طيب على الأقل ، هدىء خاطرك .

الفتى : هيهات أن يطيب بعد اليوم جو أو خاطر .

(تشده برقة اليها فى دلال)

الفتاة : تعال الى ، أنا لا اعرف اليأس .

(تحتد فى عينى الفتى نظرة ولكنه يتراجع فى حياء امام نظراتها الحنونة)

الفتى : لست على حال اهنأ معها بعطفك ، معذرة ..

الفتاة : ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا .

الفتى : ليت ذلك فى الامكان .

الفتاة : انه ممكن اذا أردته .

الفتى : (متحسسا راسه وعنقه فى تألم) انه مستحيل أردت أم لم أرد .

الفتاة : انها اللعنة القديمة التى تطارد التعساء .

الفتى : الحق انها تطارد الأحياء .

الفتاة : وعلى الأحياء أن يحذروها ، انى أدعوك الى السعادة الحقيقية فى الوجود .

الفتى : حتى السعادة تنقلب أحيانا بين أيدينا ترابا وخجلا.

الفتاة : يا لك من جاحد .

الفتى : لا انكر عهدك ، ولكنى أخشـاه ، اخشاه فى لحظة اندحارى الراهنـة ، واراه من موقفى الدامى ذا جاذبية مخيفة تعمى البصر .

الفتاة : أهذا شعورك نحو تفتح القلب وتألق الأزهار وجنى الثمر ؟ !

الفتى : بل انى أذكر مع الأسى ثقـل الجنـون ، وترهل العضلات واسترخاء الهمم .

الفتى : دعينى اكرر أن ليتك تقنع بصـدرى ملاذا لك من متاعب الدنيـا .

الفتى : يا له من جمال دافىء قهار ، أقوى من الموت نفسه ، ولكن تلاشت فى أحضانه أحلامى .

الفتاة : انه أنفع لك من أحلامك .

الفتى : سيظل الجبن أكبر منغص لصفو الرجال .

الفتاة : من عجب أن تحن الى فظاظة الخلاء !

الفتى : احن حقا الى توهج مصباح الحياة على حافة هاوية الخطر الداهم .

الفتاة : والدم والتشرد والغبار .

الفتى : بل قوة الاعتداد بالنفس المسخرة للرياح .

الفتاة : ولدى زلة قدم يهال التراب على رجل من الرجال .

الفتى : والصرخات المدوية تتوارى فى أعقابها الفئران فى الجحور ، ولذة التساؤل المفعم بالقلق أمام احتمالات الحياة والموت .
الفتاة : ووجهك الملطخ بالدماء المثير للرعب .
الفتى : ونبض القلب بزهو النصر المؤسس على الحق والكرامة .
الفتاة : انت انانى ، زهدت فىّ بعد شبع . وشاقتك رائحة الدماء .
الفتى : انى أحبك ولكنى أكره أن اتمرغ فى التراب .
الفتاة : هذا يعنى انك لا تحبنى .
(الفتى يشير الى المصطبة المسربلة فى الظلام حاملة الرقود من الأشباح)
الفتى : ليكن لى قدوة فى الغابرين .
الفتاة : لا أحب النظر نحو الموت .
الفتى : لكنهم أحياء ما دمنا أحياء .
الفتاة : فراغ وراءك وفراغ أمامك ، ولا حقيقة فى الوجود سواى !
الفتى : كم استنمت الى هذا الكلام الآسر حتى داستنى الأقدام .
الفتاة : لقد اشعلت غضبه بمزاحك .
الفتى : المزاح من آداب حياتنا فكيف يكون جزائى ضربا اليما موجعا !
الفتاة : طالما حذرتك من المغالاة فيه .
الفتى : ولما أردت الدفاع عن نفسى خذلتنى يداى .
الفتاة : الرجل المهذب خير عندى من الرجل القوى .
الفتى : صدقت حتى وهنت منى القبضة .
الفتاة : كان على أن إنتشلك من حياة التشرد فى الخلاء .
الفتى : وهكذا هزمنى وهو يسخر من ضعفى .

الفتاة : لا تمزق عشرتنا بالكبرياء .

الفتى : انها تتمزق بالمهانة كما تتمزق بالموت .

الفتاة : لا شيء كالموت .

الفتى : انه ليس شر ما فى الحياة .

الفتاة : صدقنى فانه عدو الحياة الأول .

الفتى : أيسرك أن ارضى بالهزيمة ؟

الفتاة : ارض بأى شيء الا الموت .

الفتى : وأعود الى اللعب السعيد وقلبى يحترق بنار الهزيمة؟

الفتاة : للزمن بلسم يشفى كل شيء الا الموت .

الفتى : (مشيرا الى المصطبة) تعامل اجدادنا مع الموت بعقيدة أخرى فوهبوا الخلود .

الفتاة : لقد ماتوا وشبعوا موتا .

الفتى : (مخاطبا المصطبة وأهلها) قولوا انكم خالدون .

صوت من المصطبة كالصدى : انكم خالدون .

الفتاة : لا تخاطب الفراغ كالمجانين .

الفتى : الا تسمعين ؟

الفتاة : انك تصرخ فى الأموات تبريرا لسفك الدماء .

الفتى : يا له من صوت رهيب ! .

الفتاة : متى كان للتراب صوتا .

الفتى : (مخاطبا المصطبة) هل تسمعون ما يقال ؟

الصوت ـ الصدى : (بعد قليل) هل تسمعون ما يقال ؟

الفتى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم ؟

الصوت ـ الصدى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم ؟

الفتى : (لا يزال متطلعا الى المصطبة وكأنما يخاطب نفسه) انهم يرددون قولى .. أجل .. ولهذا معنى عميق لا يخفى على لبيب .. وها هم يتحركون . (يظلون رقودا طيلة الوقت ودون حركة) .. انهم يهدون الى صورة عزيزة غابرة .. ها هو القتال يحتدم ..



الشـــهداء يسقطون .. الجنود يتسلقون جـدار الحصن كالنمل .. ها قد سقط الحصن .. وهذا هتاف النصر يدوى مخترقا جدار المئين من السنين (ثم ملتفتا نحوالفتاة) .. اارايت .. اسمعت ؟

الفتاة : لا شيء يرى ولا يسمع !

الفتى : لقد زلزلنى هتاف النصر فوق جثث الشهداء .

الفتاة : ما هى الا هواجس رغباتك الجامحة فى القتل .

الفتى : سحقا للخمول فى خمائل الورد .

الفتاة : يا حسرتاه على حكمة الأيام الناعمة .

الفتى : (مشيرا الى المصطبة) لقد لفحتنى أنفاسهم المحترقة حزنا علىّ .

الفتاة : ليس للأموات أنفاس تحترق .

الفتى : اذا مات الأموات فقد ادرك الفناء كل شيء .

الفتاة : اذا أردت الحياة حقا فلا تنظر الى الوراء .

الفتى : ولكن الوراء هو الأمام !

الفتاة : ولا تنظر الى الأمام ..

الفتى : (يقطب محتجا حائرا) .

الفتاة : فلتغرق فى عينى توهب خاودا بين الظلمتين !
(قهقهة ساخرة وحشية تترامى من ناحية اليسار) .

الفتى : اتسمعين استفزازه الساخر ؟ !

الفتاة : ريح هوجاء يعربد خلالها الشقاء .

الفتى : انه يتحدانى !

الفتاة : سأغنى لك اغنية ترقصلها الحمائم فاستمع الىّ انا !

الفتى : فلتطرب العصافير .

الفتاة : فلتهنأ بك شهوة الدماء .

الفتى : ان قهقهته الساخرة تحيل الهواء فى صدرى ترابا .

الفتاة : خير ما تفعل ان تصم اذنيك .

الفتى : ولكنى خلقت باذنين .

الفتاة :لتسمع بهما مناجاتى الدافئة .
الفتى : يا لها من مناجاة اجهضت همتى ، .. الوداع ..
الفتاة : لن تستغنى عنى ابدا .
الفتى : فلتكونى الأمل المؤجل حتى يطيب كل شيء .
الفتاة : لن يطيب شيء بعيدا عن ذراعى .
(القهقهة الساخرة تترامى من بعيد)
الفتى : الوداع .
الفتاة : أنعم بالنوم رغم الضوضاء .
الفتى : بل اقضى على الضوضاء قبل أن أنعم بالنوم .
الفتاة : كلمة أخرى .. لا اريد أن يدركنى اليأس .
(الفتى يضع أصبعيه فى اذنيه . تنظر اليه مليا ثم تمضى الى الجهة اليمنى) .
(الفتى ينظر نحو المصطبة)
الفتى : لا يمكن أن يدلنى على حقيقة الحياة الا شخص أدركه الموت !
الصوت ـ الصدى : الموت .
الفتى : ذهبت .. ولكنها لن تذهب بعيدا .. محال أن أتحرر منها كلية .. ولا رغبة لى فى ذلك .. ولا قدرة لى عليه .. ولكنى أريد الحقيقة ..
الصوت ـ الصدى : الحقيقة .
الفتى : أفصحوا ..لا تتكلموا كما تتكلم الصخور .
الصوت ـ الصدى : الصخور .
الفتى : حدثونى عن الموت والحياة .
الصدى : الحياة .
الفتى : من هو البطل ؟
الصدى : البطل .
الفتى : أهو المحارب ؟
الصدى : المحارب .
الفتى : اهو المسالم ؟

الصدى : السالم .
الفتى : : اللعنة .. اللعنة ..اللعنة ..
(يتحول الفتى عن المصطبة)
الفتى : (صائحا) على أن أستعد ..الى بالطبيب .. أيها الطبيب .
(يدخل الطبيب .. بنفس الثياب التجريدية.. ولكنه ذو لحية ..وبيده حقيبة) .
الطبيب : لا تصرخ اتقاء للمضاعفات .
الفتى : وهل تأكدت من مرضى حتى تحذرنى من المضاعفات ؟
الطبيب : اننا لا ندعى للأفراح .
الفتى : بل يبدو لى أنى مريض .
الطبيب : اننى اعمل يومين فى اليوم الواحد .
الفتى : ياه !
الطبيب : انه الوباء .
الفتى : هل يوجد وباء ؟
الطبيب : كأنك تعيش فى قمقم .
الفتى : قمقم من الغم .
الطبيب : وهو ينتشر رغم المقاومة الفنية المنتظمة .
الفتى : لعلكم ازددتم به ثراء على ثراء .
الطبيب : نحن نثرى بفضل الأمراض لا الأوبئة .
الفتى : لكن الوباء ما هو الا مرض كبير .
الطبيب : الوباء ينتشر انتشارا أعمى فيهدد كبار رجال الدولة ولذلك فهم يسخرون الأطباء لمقاومته فلا نفيد من ورائه خيرا يذكر .
الفتى : أمر يدعو للأسف ، ولكننا ندفع ثمن اهمالنا للبيئات الفقيرة القذرة .
الطبيب : الوباء وفد من الخارج كالعادة دائما .
الفتى : ربما ولكنه يستفحل فى البيئات الفقيرة .

الطبيب : استفحل هذه المرة فى البيئات الراقية !
الفتى : ظاهرة غريبة تستحق الدراسة .
الطبيب : لكنك استدعيتنى لأمر أهم من التزود من الثقافة الصحية العامة .
الفتى عندك حق . انى أعتقد انى مريض .
الطبيب : انى مصغ اليك يا سيدى .
الفتى : لا اعراض خاصة تستحق الذكر .
الطبيب : لعلك ترغب فى اجراء كشف عام ؟
الفتى : تقريبا .
الطبيب : اما أنك تريد أو لا تريد فما معنى قولك « تقريبا » ؟
الفتى : لا مؤاخذة فهذا ما قصدته بالدقة .
الطبيب : ولم لم تذكر ما تقصد بالدقة من أول الأمر ؟
الفتى : لا تشتد فى محاسبتى على اسلوبى فى الكلام .
الطبيب : هل يجرى كلامك على هذا النحو القلق عادة ؟
الفتى : تقريبا !
الطبيب : عدنا الى تقريبا !
الفتى : فلنفترض أن الجواب بالايجاب .
الطبيب : فلنفترض ! .. الا تستطيع أن تعبر عما تريد بدقة ؟
الفتى : طيب ، انى أرغب فى اجراء كشف عام .
الطبيب : أسلوبك فى الكلام لا يخلو من دلالة مريبة .
الفتى : عدنا الى الأسلوب .
الطبيب : انه أول عرض .
الفتى : عرض ! ؟
الطبيب : انك تحاور وتداور ، ولا تقصدالى هدفك راسا .
الفتى : معذرة .
الطبيب : وهذا هو أول اعراض الوباء .
الفتى : الوباء !
الطبيب : اما بقية الأعراض فيمكن استنتاجها .

الفتى : لا افهم شيئا .
الطبيب : غير مهم .
الفتى : ولكنه مرضى انا .
الطبيب : انه وباء فهو ملكية عامة .
الفتى : فليكن ، علينا أن نفهمه على اى حال .
الطبيب : بل عليك ان تتداوى منه .
الفتى : حسن ، فلتحدثنى عن بقية الأعراض .
الطبيب : بل عليك أن تحدثنى أنت .
الفتى : ولكنك قلت ان بقية الأعراض يمكن استنتاجها .
الطبيب : أتريد أن ترسم لى خطتى فى العلاج ؟
الفتى : أنا تحت أمرك .
الطبيب : هذا هو العرض الثانى !
الفتى : اين هو ؟
الطبيب : بعد المحاورة والمداورة تصدر جملة واضحة محددة وهى « أنا تحت أمرك » .
الفتى : ولكنها مجرد مجاملة !
الطبيب : هذا ما يخيل اليك ، أما الواقع فانه العرض الثانى !
الفتى : بهذه الطريقة يمكن أن نعتبر أى عبارة عرضا من اعراض الوباء .
الطبيب : قولك هذا يقطع بعدم ثقتك فى العلم .
الفتى : ولكنى من المتحمسين للعلم ..
الطبيب : (يهز رأسه فى شك وهو صامت)
الفتى : (وهو يشير نحو المصطبة المسربلة بالظلام)
انى من أصل عريق كان أول من أحرز فى ميدان العلم نصرا .
الطبيب : الاشارة نحو الظلام مقرونة بالمباهاة عرض ثالث من اعراض الوباء .

الفتى : لست من هؤلاء .. انى بصفة عامة متعصب للعصر الحديث ..

الطبيب : متعصب ؟ !

الفتى : اقصد اننى متحمس للعصر الحديث ، ولا التفت نحو الأسلاف الا تحت ضغط ضرورة ملحة !

الطبيب : وهاك عرضا من أعراض الوباء .

الفتى : اذن فأين يقع السلوك الصحيح ؟

الطبيب : انك لا تدرى عنه شيئا فيما ارى !

الفتى : انى اجد دوارا فى راسى !

الطبيب : الصراحة تحدث لك دوارا ؟ .. عرض خامس !

الفتى : لعلى بالغت فى التعبير .

الطبيب : من الدوار الى المبالغة .. عرض سادس !

الفتى : خير ما افعل ان الزم الصمت .

الطبيب : من الدوار الى المبالغة الى الصمت .. عرض سابع !

الفتى : ها .. ها .. ها ..

الطبيب : دوار ، مبالغة ، صمت ، ضحك بلا سبب .. عرض ثامن ..

الفتى : ها .. ها .. ها .. ها .. ها ..

الطبيب : اغراق فى الضحك رغم التأكد من اعراض الوباء .. عرض تاسع !

الفتى : (يخفى وجهه بين كفيه)

الطبيب : وتخفى وجهك ولكن أعراض الوباء لا تختفى .

الفتى : وماذا يمكن أن افعل ؟

الطبيب : وهذا هو التساؤل الذى يمثل اخطر أعراض الوباء .

الفتى : الحق انك لا تشخص مرضا ولكنك مصمم على اثبات وجود الوباء .

الطبيب : ها أنت تبدأ بالتهجم علىّ ، ومعنى ذلك أنك تهادن

من يتحرش بك وتتحرش بمن يحسن معاملتك ..
وهذا هو العرض العاشر .

الفتى : انك تثير غضبى .

الطبيب : وتغضب حيث يجب الحلم .. العرض الحادى عشر .

الفتى : (هازئا) لو لى لا بم ..

الطبيب : هذيان لفظى .. العرض الثانى عشر .

الفتى : سيدى الطبيب ، الم تعالج فى حياتك رجلا من أصحاب النفوذ ؟

الطبيب : حصل .

الفتى : وهل صارحته بما تصارحنى به الآن ؟

الطبيب : كلا .

الفتى : وكيف تصرفت معه ؟

الطبيب : تجنبت ذكر اى عرض يسىء اليه .

الفتى : ولكنك عرضت حياته للخطر ؟

الطبيب : هذا على أى حال خير من تعريض حياتى انا للخطر !

الفتى : اليس ذلك بعرض من اعراض الوباء ؟

الطبيب : بلى ! !

الفتى : اذن فأنت مصاب أيضا .

الطبيب : طبعا لم يسلم من الوباء أحد !

الفتى : الا تتداوى من الداء ؟

الطبيب : بنفس الدواء الذى سأصفه لك .

الفتى : وهـو ؟

الطبيب : انه دواء واحد لا بديل له ، وهو أن تسير اذا سرت على يديك ، أن تسمع بعينيك ، أن ترى بأذنيك ، أن تتذكر بعقلك ، وأن تعقل بذاكرتك .

الفتى : يا له من دواء غريب وشاق !

الطبيب : ولكنه ناجح وفعال ومجرب !

الفتى : شكرا لك .
الطبيب : عفوا آن لى آن اذهب .
الفتى : مصحوبا بالسلامة .
(الطبيب يتجه نحو الناحيـة اليسرى . صـوت القهقهة السـاخرة يرتفـع . الطبيب يتوقف عن السير . يستدير ذاهبا الى الناحية التى جاء منها ويختفى)
الفتى : آن لهذا الصوت الكريه ان يخمد ، ولا حل الا ان أؤدبه ..
صوت من الجهة اليمنى : بل يوجد حل آخر .
(يدخل رجل عملاق بادى الاعتداد بالنفس مبتسما بمودة)
الفتى : من انت ؟
العملاق : صديق .
الفتى : ولكنى لا أعرفك .
العملاق : نحن فى عالم لا نعرف فيه الا أعداءنا .
الفتى : ولكنى لم ارك من قبل .
العملاق : ها انت ترانى ، وفى هذا الكفاية .
الفتى : لا حول ولا قوة الا بالله .
العملاق : تذكر هذه اللحظة جيدا فسوف تؤرخ بها السعادة فى عمرك .
الفتى : وماذا تريد ؟
العملاق : أن أساعدك .
الفتى : فى اى شىء ؟
العملاق : فى قهر عدوك .
الفتى : ولكنى لم أطلب مساعدة أحد .
العملاق : وهـذا يجعل من تقدمى اليـك سلوكا جديرا حقا بالصداقة !

الفتى : ومن الذى أرسلك ؟
العملاق : قل انها العناية الالهية .
الفتى : هذه اجابة عامة لا تشفى .
العملاق : اذن اعتبر أننى جئتك بحكم وظيفتى .
الفتى : وما وظيفتك ؟
العملاق : ان أقيم ميزان العدالة .
الفتى : ومن قلدك هذه الوظيفة ؟
العملاق : الفرد هو الذى يختار الوظيفة التى تناسبه .
الفتى : ولكننى لم أسألك المعونة .
العملاق : ربما لأنك لم تكن تعلم بوجودى على كثب منك ، وربما ..
الفتى : وربما ؟
العملاق : وربما لأنك تبالغ فى تقدير قوتك .
الفتى : هذا شأنى على اى حال .
العملاق : كلا .
الفتى : كلا ؟ !
العملاق : انه يدخل ضمن اختصاص وظيفتى ، علىّ أن انقذك ولو من نفسك .
الفتى : ولكن مرجع الأمر فى النهاية الىّ أنا .
العملاق : ويرجع الىّ ايضا بحكم وظيفتى .
الفتى : انى اشكرك ، ارجو الا تغالى فى اختصاص وظيفتك ، ثمة رجل وقح اعتدى علىّ ، ولا مفر من ان أؤدبه بنفسى ..
العملاق : ولكنه يفوقك قوة ، ولا دافع لشره سواى ..
الفتى : لست فى حاجة الى مساعدتك .
العملاق : بل انك فى مسيس الحاجة اليها .
الفتى : اكرر الشكر ولكننى لا أعرفك ولا تربطنى بك صلة حقيقية .

العملاق : انى جزء لا يتجزأ من المكان ، لى فيه رزق وصهر ، وتربط اسرتى بأجدادك اواصر مودة قديمة .
الفتى : اجدادى ؟!.. انى اشك فى ذلك .
العملاق : من اين لك هذا الشك ؟
الفتى : انى أعرف من كانوا على صلة بهم ..
العملاق : لا بد ان تفوتك معرفة البعض ، وأسرتى كانت ضمن ذلك البعض .
الفتى : حتى لو صح ذلك فاننى لا أعتبره ملزما لى بقبول مساعدتك .
العملاق : انى اذكر ذلك التاريخ باعتباره مسوغا للقبول لا ملزما له !
الفتى : اذن لا الزام هناك ..
العملاق : اما الالزام فيجىء من طبيعة وظيفتى .
الفتى : انى ارفض مبدأ الالزام ..
العملاق : عجيب ان تقف هذا الموقف العنيد من مساعدة تهبط عليك من السماء ..
الفتى : انا الذى تلقيت الضربة وانا الذى علىّ ردها .
العملاق : لن تستطيع ذلك وحدك .
الفتى : هذا لا يعنيك فى شىء .
العملاق : بل هو كل شىء عندى ، هو وظيفتى فى الحياة .
الفتى : لا شأن لى بوظيفتك .
العملاق : لا تجعلنى اشك فى قواك العقلية .
الفتى : انصرف من فضلك ودعنى أتصرف كما أشاء .
العملاق : فكر .. فكر طويلا .. لا ترفض هبة العناية الالهية.
الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .
(الفتاة ترجع وتتخذ مكانها بين الرجلين)
(العملاق يحنى لها راسه فترد التحية)
العملاق : لى عظيم الشرف بلقاء ربة الدار .

الفتاة : شكرا يا سيدى .
العملاق : كنت أذكره بالصلة القديمة التى ربطت بين اسرتى واجداده .
الفتاة : سمعت كل شيء !
العملاق : انه ينكر تلك الصلة .
الفتاة : لا يمكن انكار اى صلة قديمة أو حديثة .
العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .
الفتاة : كن رفيقا به فهو غاضب .
العملاق : الا يحق لى ان اتمسك بأداء وظيفتى ؟
الفتاة : مباركة الوظيفة التى تصون الحياة .
العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .
الفتى : (مخاطبا الفتاة) ـ مؤامرة !
الفتاة : معاذ الله .
الفتى : مؤامرة .
الفتاة : افتح له صدرك .
العملاق : اشكرك يا صوت العقل .
الفتى : (للفتاة) انى أطالبك بالاحترام .
الفتاة : قلبى ملئه الاحترام والحب .
العملاق : لم تعاند محبيك ؟
الفتى : الحب قد يدفع الى الهلاك .
الفتاة : الحب لا يتعامل الا مع الحياة .
الفتى : انى أطالبك بالانسحاب .
العملاق : غريب أن تعامل الجمال والحكمة بهذه الفظاظة .
الفتى : (للعملاق) لا تتدخل فى شئونى الخاصة .
العملاق : سمعا وطاعة .
الفتاة : انى ذاهبة ما دمت ترغب فى ذلك ، ولكنى اتوسل اليك أن تفتح له صدرك .
(الفتاة تذهب)

(فترة صمت يتبادل فيها الرجلان النظرات ، العملاق باسما والفتى غاضبا)

العملاق : الجو أصبح أصلح للمناقشة .

الفتى : ألم تستنفد المناقشة ؟

العملاق : كلا بعد ، افتح لى صدرك ، واتخذ بعد ذلك قرارك .

الفتى : (يتنهد صامتا)

العملاق : اريد ان اساعدك .

الفتى : خبرنى صراحة عما تريد ثمنا لذلك ؟

العملاق : انى صديق ولست بتاجر .

الفتى : حدثنى عما تريد .

العملاق : لا شيء البتة .

الفتى : البتة ؟

العملاق : الا ما تتطلبه ظروف العمل طبعا .

الفتى : ظروف العمل ؟

العملاق : لكى أؤدب عدوك فلا بد من استدراجه الى هنا .

الفتى : الى مكانى هذا ؟

العملاق : نعم .

الفتى : لا يجوز ان يدنس مقامى بقدمه .

العملاق : لا تعط للمكان اهمية اكثر مما يستحق .

الفتى : (مشيرا الى المصطبة) انه مقامى مذ كان مقاما لهؤلاء .

العملاق : ولا تعط للأموات أهمية أكثر مما يستحقون .

الفتى : اذن هذا هو رأيك عن الاجداد ؟

العملاق : ان باطن الأرض مليء بالعظام وهيهات ان تعرف أين عظام اجدادك بينها .

الفتى : هذا رأى من لا اصل له .

العملاق : لا تغضب .. ما أردته هو آن ابين لك خطتى فى العمل .

الفتى : ولم لا تذهب اليه حيث يقهقه ؟

العملاق : انى أعرف ما أريد .
الفتى : سأجاريك فى أفكارك فهــل اذا وافقت على رأيك تشرع فى العمل ؟
العملاق : ولكن ليس هذا بكل شىء .
الفتى : ثمة شروط أخرى ؟
العملاق : لا تردد كلمة «شروط» فما ابغضها فى مقام الصداقة.
الفتى : طيب .. ماذا تريد أيضا ؟
العملاق : فى فترة التأهب للمعركة احتاج لرعاية خاصة .
الفتى : مثال ذلك ؟
العملاق : تقدم لى الطعام والشراب والترفيه الضرورى .
الفتى : جميل ، ولكن يخيل الى أن مطالبك لم تنته بعد ؟
العملاق : ما أجمل أن تدعو الفتاة الجليلة لمجالستنا !
الفتى : فتاتى ؟
العملاق : انها قلب كبير يتسع للجميع ..
الفتى : ولعله يتسع أيضا لعدونا المشترك ؟
العملاق : أعنى اننى فى حاجة الى الحنان قبل المعركة .
الفتى : وماذا ايضا ؟
العملاق : بما اننى سأكون يدك عنــد الحاجة فمن الانصاف الا تتورط فى فعل قبل مشاورتى ..
الفتى : منطق سديد !
العملاق : ولا أن تصادق شخصا قبل موافقتى فقد يكون لى عدوا .
الفتى : واحد وواحد يساويان اثنين .
العملاق : ولا أن تعادى شخصا قبل الرجوع الىّ فقد يكون لى صديقا .
الفتى : من يجادل فى ذلك ؟
العملاق : هل نبدأ ؟

الفتى : اود ان اسألك سؤالا ، هل يمكن أن يفعل بى عدوى
اكثر من ذلك ؟
العملاق : (مستنكرا) ولكن الفعل يتغير معناه بتغير فاعله .
الفتى : فاعله ؟ !
العملاق : قبلة من زوجك غير قبلة من بنت هوى ، وصفعة
من والدك غير صفعة من غريب !
الفتى : وانت تعتبر نفسك الوالد والزوجة لى ؟
العملاق : بدانا نتفاهم فيما أعتقد .
الفتى : (غاضبا) اغرب عن وجهى .
العملاق : ماذا جرى لك ؟
الفتى : اذهب ..اذهب بلا تردد .
العملاق : اين اذهب ؟
الفتى : ابعد عن مقامى .
العملاق : ولكنه مقامى انا أيضا .
الفتى : ماذا قلت ؟
العملاق : يا سيدى ، مضى وقت طويل ونحن نتبادل الحديث ،
وقت يعطينى الحق فى الاقامة ، وبالاضافة الى ذلك
نشأت علاقة انسانية صميمة مع فتاتك الحكيمة ،
بل مع هؤلاء الأجداد أنفسهم ..
الفتى : أنت بلطجى ..
العملاق : فليسامحك الله .
الفتى : اذهب بعيدا ، لا أريد مساعدتك ، وسألقى عدوى
وحدى ..
العملاق : عليك فى هذه الحال ان تقاتل اثنين !
الفتى : كيف ؟
العملاق : انك تناصبنى العداء وسأضطر الى الدفاع عن
نفسى ..
الفتى : تهاجمنى لأننى ارفض مساعدتك ؟

العملاق : لأنك تريد أن تطـردني من مقـامى وتعطل وظيفتى الأساسية فى الحياة .
الفتى : لا تستهن بى ، لست عملاقا مثلك ، ولكننى مصمم على منازلة الموت نفسـه .
العملاق : ما دمت تريد الموت فلتمت .
الفتى : سأموت اذا مت وأنا اقاتل .
العملاق : اذن فلتقاتل ولتمت .
(تعود الفتاة مسرعة)
الفتاة : اردت ان تفتح صدرك للتفاهم لا للموت .
الفتى : انه شر من الآخر .
العملاق : انه احمق .
الفتى : انه من نوع الآخر ولكنه شر منه .
الفتاة : يا للأسف .
الفتى : لا منفذ الى حياة طيبة مع وجودهما .
الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد ؟
الفتى : عندما يختفيان هما وامثالهما .
الفتاة : كلام قديم معاد .
الفتى : ولكنه حق .
الفتاة : متى اسمع كلمة جميلة تتردد؟
العملاق : انى أردد هذه الكلمة المنشودة ولا من سميع .
الفتاة : (للعملاق) الا يمكن أن تقيم ميزان العـدالة بلا شروط ؟
العملاق : انى ابغض كلمة « شروط » .
الفتاة : الا يمكن أن تقيم ميزان العـدالة دون أن تطـالب بشىء ؟
العملاق : لن يكون هذا من العدل فى شىء ..
الفتاة : متى اسمع كلمة جميلة تتردد ..
(صوت القهقهة الهازئة يترامى من بعيد)
(العملاق ينصت الى الصوت باهتمام ودهشة)

العملاق : رباه .. انى أعرف هذا الصوت .
الفتاة : انه صوت عدوه
العملاق : عدوه !
الفتاة : نعم .
العملاق : يا لعجائب المصادفات !
الفتاة : هذا هو الرجل الذى قصدت بتقديم مساعدتك القضاء عليه .
العملاق : ها .. ها .. ها .
الفتاة : ماذا يضحكك ؟
العملاق : انه قريبى من ناحية الأم !
الفتاة : قريبك ؟!
العملاق : نعم .. يا لذكريات الطفولة السعيدة التى لا تنسى .
الفتى : ظننتك تعرف العدو الذى جئت متطوعا لضربه .
العملاق : ها .. ها .. ها .
الفتى : الا زلت عند رايك فى مساعدتى ؟
العملاق : ولكنك رفضت مساعدتى !
الفتى : هبنى قبلتها فهل تقدمها ؟
العملاق : مع كافة الشروط التى اشترطتها ؟
الفتى : لكنك تبغض كلمة « شروط » ؟
العملاق : نعم ام لا ؟
الفتى : نعم .
العملاق : فى هذه الحال العب دور رسول السلام بينكما !
الفتى : رسول السلام ؟
العملاق : اكراما لهذه الفتاة الحكيمة ، ولك .
الفتى : وتعهداتك السابقة ؟
العملاق : للقربى حقوق ، وانى لا اوفيها حقها الكامل بموقفى هذا ..
الفتى : ولكنه هو المعتدى ؟

العملاق : ولو !
الفتى : وهو فى الاصل قاطع طريق ليس الا ؟
العملاق : ولو !
الفتى : انه وحش ذميم .
العملاق : انك لا تراه على حقيقته .
الفتى : الم تسمع قهقهته الساخرة ؟
العملاق : هذه هى طريقته فى المزاح ، يا له من شاب خفيف الروح حقا !
الفتى : ولكنى اعرفه حق المعرفة ، من خلال المعاملة والجوار والصراع عرفته .
العملاق : صدقنى انه لا يكشف عن مكنون كنوزه الا لمن يحبه ويفهمه .
الفتى : بل لا تلين عريكته الا لمن يشكمه بالتأديب والضرب.
العملاق : احمد الله على انك لم تتمكن من ضربه .
الفتى : ولم ؟
العملاق : كنت سأهرع الى نجدته .
الفتى : ها أنت تهددنى .
العملاق : للقرابة حقوق .
الفتى : تجلت الحقيقة ، فما انت الا بلطجى كقريبك .
العملاق : يا له من تفكير خليق بأن يقود الى الهلاك .
الفتى : لا تضيع وقتى هباء .
العملاق : تصرف بوقتك كما تشاء .
الفتى : سأسوى حسابى بنفسى .
العملاق : انت تعلم أن هذا كلام لا معنى له ، وقد وضحت لك أهداف وظيفتى ..
الفتى : اللعنة !
العملاق : انى صديقك اردت أم لم ترد ، وانى قريبه قبلت ذلك ام لم تقبله ، وانا اكبر منكما سنا واعظم

قوة ، فواجبى أن أجمع بين ثلاثتنا بعهد صداقه دائمة جديرة بهذا المكان الذى يؤاخى الأحياء والأموات أنفسهم .

الفتى : كلام طيب ونية لئيمة وفعل غشوم ..

العملاق : (مخاطبا الفتاة) .. تكلمى أنت .

الفتاة : لم يعد عندى من جديد أقوله .

الفتى : اعترفى بأننى على حق .

الفتاة : أعترف بأنه لا يهمنى فى هذا الوجود الا الحب .

العملاق : كم أنك حكيمة !

الفتى : كم أنك أنانية .

الفتاة : الحب عطاء بلا حدود ولا نهاية .

الفتى : الوحش يأخذ ولكنه لا يعرف العطاء .

الفتاة : ليتك تؤمن بالحب .

الفتى : لا حياة للحب بين الوحوش .

الفتاة : الحب أقوى قوة فى الوجود بيد انه سلاح لا يسلس الا لمن يؤمن به .

الفتى : للوحوش لغة أخرى .

الفتاة : أخشى أن تنقلب وحشا مثلهم .

الفتى : الكرامة اهم من الحياة نفسها .

الفتاة : الفضائل الحقيقية ثمار لا تنبت الا فوق شجرة الحب ..

العملاق : (مخاطبا الفتى) .. من المؤسف انك تحب الموت اكثر مما تحب فتاتك الجميلة الحكيمة .

الفتى : الموت أحب الىّ من الخضوع لارادتك .

(القهقهة الساخرة تترامى من بعيد)

العملاق : يا له من فتى ضحوك ، يحب المزاح بقدر ما يحب الحياة الآمنة .

الفتى : انك لئيم بقدر ما انت قوى .

العملاق : امامك عملاقان ، ووراءك حياة طيبة ، فارجع الى الوراء .

الفتى : الى الأمام .

العملاق : (للفتاة) أقترح أن ندعه لنفسه ليفكر بهدوء فان الجدل يغريه بالعناد والمكابرة .

(العملاق والفتاة يخرجان من بابين متقاربين فى الناحية اليمنى) .

(الفتى يتفكر قليلا .. ينظر نحو المصطبة المسربلة فى الظلام) .

الفتى : آن لكم أن تنطقوا .

الصدى : تنطقوا .

(الفتى يلوح بيده غاضبا .. يذهب ويجىء متفكرا .. يدخل رجل اعمى يتحسس طريقه بعكاز ، يتصنت مائلا براسه نحو الفتى)

الشحاذ : هل يوجد احد هنا ؟

الفتى : نعم .

الشحاذ : انت الذى ناديتنى ؟

الفتى : كلا .

الشحاذ : لكنه صوتك واذنى لا تخطىء .

الفتى : خبرنى عما تريد .

الشحاذ : ماذا تريد انت ؟

الفتى : الست شحاذا ؟

الشحاذ : بلى .

الفتى : لعلك تريد احسانا ؟

الشحاذ : رزقت اليوم بما فيه الكفاية فماذا تريد أنت ؟

الفتى : لا أريد شيئا .

الشحاذ : كذب !

الفتى : شحاذ ووقح .

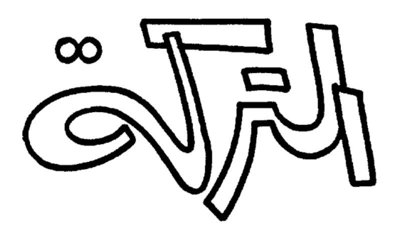
الشحاذ : لم تشتمنى ؟
الفتى : كيف تجرؤ على رميى بالكذب ؟
الشحاذ : لأنك كذاب !
(الفتى يرفع يده ليضربه ولكنه يتراجع امام عجزه)
الفتى : اذهب قبل أن اكسر راسك .
الشحاذ : لا أذهب حتى اعرف لماذا ناديتنى وماذا تريد منى .
الفتى : اذهب احسن لك .
الشحاذ : ليس قبل أن اعرف ماذا تريد .
الفتى : (ساخرا) وهل عندك ما تعطيه ؟
الشحاذ : اطلب ما تشاء .
الفتى : (ضاحكا رغما عنه) انى مدين لك بأول ضحكة فى يومى .
الشحاذ : هذا قليل من كثير مما عندى .
الفتى : يخيل الىّ انك غنى .
الشحاذ : جدا .
الفتى : ماذا تملك ؟
الشحاذ : عالم الظلام الذى لا نهاية له .
الفتى : انت خفيف الروح رغم سلاطة لسانك ، وكان ينبغى أن تجد ملجأ يؤويك .
الشحاذ : التحقت ذات يوم بملجأ .
الفتى : ولم تركته ؟
الشحاذ : رفت !
الفتى : (ضاحكا) اسمع اول مرة عن رفت الشحاذين !
الشحاذ : كان ناظر الملجأ فظا غليظا ولصا لا حياء له .
الفتى : وتوقع أن تسبحوا بحمده على اى حال ؟
الشحاذ : ولكن بعضنا تمرد وكنت على راس المتمردين !
الفتى : وفضلت ان تهيم على وجهك بلا مأوى ؟

الشحاذ : نعم .
الفتى : ولكن اليس الملجأ بكل عيوبه افضل من التسول والتشرد ؟
الشحاذ : الحرية افضل من الأمن نفسه !
الفتى : يخيل الى انك شحاذ مثقف !!
الشحاذ : اعرف أشياء كثيرة .
الفتى : مثل ماذا ؟
الشحاذ : أن ارى بأذنى .
الفتى : وماذا ايضا ؟
الشحاذ : وأن اسير على يدى !
الفتى : انت ترى بأذنيك وتسير على يديك !
الشحاذ : وصادفنى فى تجوالى بعض الرسميين فقادونى مرة اخرى الى الملجأ .
الفتى : الى الوحش ؟
الشحاذ : كلا ، كان قد خلفه ناظر جديد عادل وأمين ورحيم ..
الفتى : وكيف تركته بعد ذلك ؟
الشحاذ : هربت !
الفتى : غير معقول .
الشحاذ : كان عادلا وامينا ورحيما ولكنه مغرم بالنظام لدرجة الهوس ، ويطبقه بدقة فلكية ، ولا يقبل مراجعة..
الفتى : ولكنك نعمت بالغذاء والكساء والراحة والنظافة ..
الشحاذ : الأكل بميعاد والشرب بميعاد و « ولا مؤاخذة » بميعاد والنوم بميعاد ، فكدت ان اجن ..
الفتى : وتمردت مرة اخرى ؟
الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه فلم يطاوعنى ضميرى على التمرد على رجل عادل امين رحيم .
الفتى : كان عليك ان ترضى ..
الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه !

الفتى : التمرد ليس خيرا فى ذاته .
الشحاذ : ولكنه خير من ان تكون حجرا .
الفتى : وهكذا هربت ؟
الشحاذ : هكذا هربت .
الفتى : الى التراب والحشرات واللقمة العفنة !
الشحاذ : الى سعادتى الحقيقية ..
الفتى : حديثك مثير وعجيب .
الشحاذ : فتك بعافية .
(الشحاذ يتحرك)
الفتى : انتظر ..
(الشحاذ يستمر فى سيره)
الفتى : الا تريد أن تسمعنى ؟
(يمضى الشحاذ حتى يختفى)
(يعود العملاق ... تعود الفتاة)
الفتاة : قلبى طيلة الوقت معك .
العملاق : لعلك اقتنعت برايى .
الفتى : ايها السيد الذى يحب الشر ، ويحب الخير احيانا
لحساب الشر .
أيتها السيدة التى تحب الخير ، وتحب الشر احيانا
لحساب الخير .
اليكما رايى النهائى .
سأصون كرامتى حتى الموت .
الفتاة : (تخفى وجهها بين يديها وستظل كذلك الى ما قبيل
النهاية) .
العملاق : شعارالوباء الذى فتك بملايين الحمقى ..
الفتى : ينابيع الحياة الحقة مهددة بالجفاف ، أشواق القلب
الخالدة يساومها الضياع ، سحقا للوحشة التى تذبل
فيها معانى الأشياء ، انى ذاهب ..

(القهقهة الساخرة ترتفع)
(الفتى يتحول نحوها فى تصميم ويتقدم . العملاق يثب نحوه . الفتى يدفعه . العملاق يقبض على كتفيه ويدفع به نحو المصطبة . الفتى يندفع حتى يغيب فى الظلمة ـ الفتى يرتد كأنه كرة ارتطمت بجدار منقلبا على وجهه ثم يقف مترنحا .
وكأن حركته ايقظت الرقود وشدتهم من رقادهم .
يتدحرج اولهم حتى يصل الى مقدم المسرح وينهض فى تثاقل كمن يقوم من نوم . يتبعه آخر مكررا نفس الحركة . ويتتابع كثيرون ؛ رجالا ونساء مكررين نفس الحركات حتى يكتظ بهم المسرح .
العملاق يتزحزح رويدا رويدا حتى يغيب فى المدخل المفضى الى القهقهة الساخرة .
تتم يقظة الجميع . تنتصب قاماتهم . يرتسم العزم فى وجوههم . يجرى ذلك فى تمثيل صامت . يسير الفتى نحو ناحية عدوه وهو يضرب الأرض ضربات مسموعة منتظمة . يمضون خلفه فى عزم صلب حتى يختفوا جميعا . ضربات اقدامهم ما زالت تترامى)

الفتاة : (ترفع يديها عن وجهها ... تصغى بحزن .. وترمى بنظرها الى بعيد) .


التركة



حجرة انتظار فى بيت ولى الله

حجرة ذات طابع عتيق . فى الصـــدر كونصول . باب الى اليمين وآخر الى اليسار ـ تصطف بجوانبها كنبات تفصـــل بينها كراسى . ثمة حصر مزركشة معلقة على الجدران فى مواضع محددة .

يدخل فتى وفتاة . يتفحصان الحجرة باستطلاع من يراها لاول مرة ، ثم يقفان فى الوسط .

***

الفتى : البيت صامت كأنه قبر .

الفتاة : صفق لتشعرهم بوجودك .

الفتى : انه يكره ذلك ، ما زلت اذكر طبعه .

(صمت قصير)

الفتاة : بيتكم قديم ، والحوارى المفضية اليه شقت فيما يبدو من عهد نوح .

الفتى : لا تنسى اصلك وانت تتكلمين عن الحوارى كسائحة .

الفتاة : تأدب ، المفروض اننا مهذبون .

(صمت قصير)

الفتى : لم دعانى يا ترى ؟

الفتاة : هو ابوك مهما يكن من امر .

الفتى : ظننت ان الماضى لن يعود .

الفتاة : الحاضر يمضى والماضى يعود ، ولا ينبغى لرجل مذنب ان ييأس ، فأى ذنب يغفر ما دام المذنب رجلا .

الفتى : الم تحلمى يوما بأن يدعوك ابوك ليغفر لك ؟

الفتاة : لو رآنى ساعة احتضاره لغالب الموت حتى يفتك بى.
(الفتى يبتسم من خلال ثوانى من الصمت)

الفتى : ترى لماذا دعانى بعد ذاك الفراق الطويل ؟

الفتاة : انك وحيده وللقلب حنينه ، ومن يدرى فعلك ..

الفتى : لعلى ؟

الفتاة : لعلك تذهب مكرما بثروة لم تخطر لك على بال .

الفتى : طردنى يافعا ولا مليم واحد فى جيبى .

الفتاة : ماذا كنت تتوقع جزاء لسلوكك المشين ؟

الفتى : تشردت وجعت ولولا ..

الفتاة : ولولا فجورك لمت جوعا .

الفتى : اقطعى لسانك يا بنت الأبالسة .

الفتاة : ولأنك رجل فكل ذنب مغفور لك .

الفتى : ولأنك امرأة فكل ذنب مرجعه اليك .

الفتاة : أنت صعلوك ولكن تخافه الشياطين .

الفتى : فلنتأدب ولو ساعة من الزمان .

الفتاة : حتى تضحك على الرجل .

الفتى : العبى دور الزوجة باتقان .

الفتاة : كان عليك أن تجىء وحدك وتتركنى فى سلام .

الفتى : لئن اتقدم اليه مصحوبا بزوجتى خير من الحضور وحدى كرجل أعزب محوط بشبهات العزاب .

الفتاة : لعله يعرف عنك أكثر مما تتصور .

الفتى : لو صح ذلك لما دعانى باعلان فى الجرائد .

الفتاة : ولكنه ولى من أولياء الله فكيف لم يعرف أنك صاحب خمارة وانك مغامر ؟ !

الفتى : على أى حال فانه لم يدخل السجن فهو خير من أبيك المرحوم .

الفتاة : لا تدفعنى الى استعمال حذائى فى هذه الحجرة العتيقة المباركة .
الفتى : استعمليه ، وسأرد بكسر رأسك ، ونقدم بذلك الدليل الحى على صدق علاقتنا الزوجية .
(صمت)
الفتاة : آه لو يتحقق حلم الثروة !
الفتى : وتتحول الخمارة الصغيرة الى ملهى ليلى عالمى .
الفتاة : والمغامر الهاوى الى قواد دولى !
(يكور لها قبضة يده مهددا فتتراجع خطوة وهى تضحك دون احداث صوت)
الفتاة : الحق ان أباك ذو سمعة طيبة كرائحة الورد .
الفتى : اجل .
الفتاة : ما سألنا احدا عن بيته الا ولهج بالثناء عليه .
الفتى : اناس هذه الأحياء طيبون !
الفتاة : ولكنهم يؤكدون خوارقه .
الفتى : انهم يرون فى الحاوى معجزة .
الفتاة : وينوهون بالطمأنينة التى يزرعها فى القلب .
الفتى : جميع هؤلاء يجيئون الى هنا ويجودون بنقودهم عن طيب خاطر .
الفتاة : ربما لأنهم يأخذون ما هو اقيم مما يعطون .
الفتى : ان قلبك لا يخلو من موطن للخرافة رغم اكتنازه بالشر الباهر .
الفتاة : وانت ، الا تذكر يوم تأزمت بالمغص الكلوى ؟
الفتى : كفى عن الثرثرة ، الرجل مليونير ما فى ذلك من شك .
الفتاة : لندع الله أن يكون ذلك صحيحا .
الفتى : هنا .. هنا ثروة طائلة !
الفتاة : هنا ؟
الفتى : أولياء الله لا يتعاملون مع البنوك .

الفتاة : وعند حلول الأجل يمكن استخلاص التركة بعيدا عن قبضة الضرائب .
الفتى : ولكن ثمة خطر افظع من الضرائب .
الفتاة : ماذا تعنى ؟
الفتى : أعنى من يقومون بخدمته .
الفتاة : من يخدم أولياء الله ؟
الفتى : الشياطين !
الفتاة : هل تعنى ما تقول ؟
الفتى : أعنى شياطين الأرض .
الفتاة : من حسن الحظ انك شيطان وبوسعك ان تتعامل مع الشياطين ، هل لك امرأة اب ؟
الفتى : ماتت من زمن بعيد .
الفتاة : اهو طاعن فى السن ؟
الفتى : جدا .
الفتاة : هذا يبشر بالخير !
الفتى : لا تحلمى ، ماتت أجيال وهو حى يمارس عمله .
الفتاة : لم تعد أعصابى تتحمل الصبر اكثر من ذلك . عليك ان تقابله .
الفتى : بل علينا أن ننتظر ، انى أعرف طبعه .
(صمت . يتمشيان ذهابا وجيئه)
(يفتح الباب الى اليسار . يدخل غلام حاملا مبخرة . غلام جميل يلبس جلبابا وطاقية ومركوبا . يدور فى الحجرة حارقا البخور دون ان يلتفت الى الفتى والفتاة ودون ان ينبس بكلمة . يقف الفتى والفتاة جنبا لجنب وهما يتابعانه بعينيهما) .
الفتى : يا غلام .
(الغلام يكف عن الدوران ويقف قبالتهما)
الفتى : هل أنت من يقوم على خدمة الشيخ ؟

الغلام : الناس جميعا يقومون على خدمته .
الفتى : وماذا تفعل أنت ؟
الغلام : انى خادم البيت .
الفتى : أنا ابن مولاك .
الغلام : اعرف ذلك يا سيدى .
الفتى : وكيف عرفتنى ؟
(الغلام لا يجيب)
الفتى : لم لا تجيب ؟
الغلام : اجبت يا سيدى .
الفتى : (باسما) طيب .. لقد جئت ملبيا دعوته .
الغلام : اعرف ذلك يا سيدى .
الفتى : الا تدرى متى يدعونى الى لقائه ؟
الغلام : كلفنى مولاى أن أخبرك ..
الفتى : (مقاطعا) انى أسألك متى يلقانى .
الغلام : لقد ذهب .
الفتى : أين ؟.. ومتى ؟
الغلام : غادر البيت عقب صلاة الفجر .
الفتى : ومتى يعود ؟
الغلام : لن يعود .
الفتى : أنت تهذى يا غلام .
الغلام : سامحك الله يا سيدى .
الفتى : ولم لن يعود ؟
الغلام : (محنيا رأسه من الحزن) لقد ذهب الى لقاء ربه .
الفتاة : (جزعة) ماذا تعنى يا شاطر ؟
الغلام : قال انه يشعر بدنو الأجل ثم ذهب .
الفتى : ولم لم يبق فى فراشه ؟
الغلام : نذر من قديم أن يلقى ربه فى الخلاء .

الفتى : ولكنك تعرف مكانه ؟
الغلام : كلا .
الفتى : ولماذا دعانى ؟
الغلام : دعاك لتعود الى بيتك القديم .
الفتى : وهل حملك رسالة الى ؟
الغلام : قال : دنا الأجل ، آن لى أن أدعو ابنى الضال لعله يصلح لأن يرث التركة .
الفتى : التركة ؟!
الغلام : أمرنى أن أسلمك التركة لعلك تثوب الى رشدك .
الفتى : ليرحمه الله .. أعنى ليمد الله فى عمره .
الفتاة : وأين التركة يا شاطر ؟
الغلام : قال سيجىء غارقا فى الضلال صاحبا معه قرينة سوء .

(صمت مع تبادل نظرات)

الفتاة : هذا يعنى أنها فى حاجة أيضا الى نصيب من تركته .
الفتى : ومتى تسلمنا التركة ؟

(الغلام يشير الى حصيرة معلقة على الحائط الى يمين الكونصول)

الغلام : التركة فى خزانة حائط وراء الحصيرة .. هاك المفتاح يا سيدى .

(يتناول الفتى المفتاح ويمضى الى الحصيرة . يهم الغلام بمغادرة الحجرة . الفتاة تهرع اليه فتقبض على يده)

الفتاة : ابق حتى نتسلم التركة .

(الفتى يزيح الحصيرة . يفتح الخزانة . يأخذ فى اخراج كتب صفراء . ويقرأ بعض العناوين وهو يخرجها ويرصها فوق الكنبة)

الفتى : الحق .. مدارج الروح .. سلام القلب .

(يستمر فى اخراج الكتب التى تتراكم فوق الكنبة ويتهاوى بعضها الى الأرض)

الفتى : أين التركة ؟

الفتاة : (للغلام) انت سرقتها !

الغلام : سامحك الله .

الفتى : (مواصلا اخراج الكتب) أين التركة ؟

الغلام : لا علم لى بما فى الخزانة .

الفتى : كان المفتاح معك .

الغلام : أعطانيه قبل أن يغادر البيت .

(الفتى يواصل اخراج الكتب ثم يصيح بفرح جنونى)

الفتى : التركة !

(يخرج رزما من الأوراق المالية ويرصها فوق خوان)

الفتاة : ثروة طائلة .

الفتى : ما اكرمك يا ابى وما أبرك !

الغلام : انه يوصيك بألا تنفق منها مليما واحدا قبل أن تستوعب ما فى هذه الكتب .

الفتاة : الأوفق أن نبدأ باستيعاب هذه النقود .

الغلام : تلك كانت وصيته .

الفتى : شكرا يا غلام ، يمكنك أن تنصرف اذا شئت .

الغلام : والتركة ؟

الفتى : هل ثمة تركة أخرى ؟

الغلام : (مشيرا الى الكتب) انما اعنى هذه التركة .

الفتى : سننفذ الوصية بأمانة .

(الفتاة فى سيرها تدوس على بعض الكتب)

الغلام : ارفعى قدمك .

الفتاة : تفضل بسلام وكف عن القاء الاوامر .

الغلام : فلأعيــدها الى الخزانة اذا لم تــكن بكما من حاجة اليهــا .
الفتى : خير ما تفعل أيها الغلام الأمين .
(الغلام يعيد الكتب الى الخزانة ، يحملها باحترام وهو يبكى صامتا . ولما ينتهى يقول بنبرة حزينة)
الغلام : انى ذاهب .
الفتى : مصحوبا بالسلامة .
(ثم مستدركا)
الفتى : انتظر ، انت غلام طيب ، تحب ان تشتغل عندى ؟
الغلام : أى شغلة يا سيدى ؟
الفتى : ادربك لتعمل جرسونا ماهرا .
الغلام : فى مقهى ؟
الفتى : خمارة . وهى اربح للجرسون من عشر مقاه .
الغلام : انى ذاهب يا سيدى .
الفتاة : مع السلامة .
(الغلام يذهب)
الفتاة : الا ترى أن نفتشه قبل ان يرحل ؟
الفتى : لو كان لصا لما اخبرنا عن التركة .
الفتاة : علينا أن نجد حقيبة لنضع فيها النقود .
الفتى : سنجد حقيبة أو بقجة فى هذا البيت العتيق .
الفتاة : وعليك أن تفكر فى استغلاله .
الفتى : الأفضل بيعه ، انه قديم حقا ولكنه يدر ذهبا لو بيع ارضا .
الفتاة : واشتر بالثمن عمارة ، ولنبع الخمارة ايضا لنعيش احرارا كأبناء الذوات .
الفتى : أفكار طائشـــة ، سوف انشىء ملهى ليليا يضـــاهى الأوبرج ..
(يظهر رجــل عند البــاب الأيمن . يلبس جلبابا

ومعطفا وهو ذو قامة ضـــخمة ، وطابع رســمى كالمخبرين . يتقدم خطوات حتى يصير على مبعدة قصيرة من الفتى والفتاة اللذين يطالعانه بدهشة . يجيل فى المكان نظرة فاحصة ، ويرى النقود المكدسة ثم يعود لينظر الى الفتى والفتاة)

الفتى : من حضرتك ؟

الرجل : هل انت ابن ولى الله ؟

الفتى : نعم ولكن من حضرتك ؟

الرجل : مخبر من قوات الشرطة .

الفتى : اكنت على موعد مع الشيخ ؟

الرجل : الشيخ يرقد الآن الى جوار ربه .

الفتى : كيف عرفت ذلك ؟

الرجل : اســلم الروح فى الخلاء ، فيما وراء مســكنى ، فى الموضع الذى كان يتعبد فيه .

الفتى : واين جثمانه ؟

الرجل : فى المثوى الذى سنمضى اليه جميعا ، لم يعد فى حاجة الى عنايتك ، ويبدو انك مشغول عنه بما هو أهم عندك .

الفتى : وماذا تريد حضرتك ؟

الرجل : جئت لأذهب بك الى القسم .

الفتى : لمـــاذا ؟

الرجل : انت متهم بقتل ابيك .

الفتى : دعابة ولكنها ثقيلة !

الفتاة : انه لم يره منذ عمر مديد .

الرجل : انت متهم بقتل ابيك .

الفتى : كف عن ترديد هذا السخف .

الرجل : شهدته وهو يحتضر ، وانا أعرفه منذ قديم ، صرح لى قبل صعود روحه بأنك قتلته !
الفتى : محض افتراء وهذيان .
الرجل : الميت لا يكذب ، وهو ولى من أولياء الله .
الفتى : لعلك لم تسمعه بوضوح أو لم تفهم ما يريد قوله .
الرجل : قال « انى أموت مطعونا بيد ابنى الوحيد » .
الفتاة : كان يعرب عن حزنه لفراق ابنه الطويل له .
الفتى : هل وجدت فى جسده طعنة واحدة ؟
الرجل : لنترك ذلك الى التحقيق .
الفتى : اى تحقيق يا رجل ؟ انى لم أره منذ عشرات السنين .
الرجل : وكيف سولت لك نفسك أن تنهب أمواله قبل أن تراه ؟
الفتى : المال ميراثى الشرعى .
الرجل : هل علمت بوفاته ؟
الفتى : كلا .
الرجل : فكيف تمد يدك الى ماله وهو حي فى ظنك ؟
الفتى : وهبه لى قبل مغادرته البيت كما أخبرنى غلامه .
الرجل : اين غلامه ؟
الفتاة : ذهب .
الرجل : استدعه ليدلى بأقواله .
الفتى : لا ادرى أين ذهب .
الرجل : هلم معى الى القسم .
الفتى : لا جريمة هناك البتة .
الرجل : قتلت أباك وسرقت الدولة .
الفتى : الدولة ؟
الرجل : الا تعلم انه لا يجوز التصرف فى هذا المال حتى تأخذ الدولة حصتها منه ؟
الفتى : لم يكن فى نيتى أن أتصرف فى مليم قبل ان تأخذ

الدولة حصتها كاملة والله على ما أقول شهيد !

الرجل : براعتك فى التنكيت تفوق براعتك فى القتل والنهب .

الفتى : أؤكد لك أن التحقيق سيسفر عن براءتى .

الرجل : ولكن سيسبق ذلك القبض عليك والتحفظ على المال .

الفتاة : أهكذا تعامل شخصا يوم وفاة أبيه ؟

الفتى : الشيخ الطيب الذى طالما ثبت القلوب بالطمأنينة !

الرجل : انك رجل شرير .

الفتى : أنت متحامل وسيىء الظن .

الرجل : كلفت بمهام كثيرة فى مواطن الشبهات فعرفت الكثيرين من أمثالك .

الفتى : أنا تاجر شريف .

الرجل : هلم معى ولا تدفعنى الى الضحك فى بيت ميت .

الفتاة : كن لطيفا ودعه فى حاله .

الرجل : انك تدافعين عنه كأنك بعيدة عن التهمة !

الفتاة : أنا ؟ !

الرجل : أنت شريكته فى الجريمتين .

الفتى : انا برىء (يتناول رزمة من النقود ويضعها فى يد الرجل) وهذا المال مالى .

الرجل : أترشونى يا رجل مرتكبا بذلك جريمة ثالثة ؟

الفتى : معاذ الله ، ولكننى أؤدى حق الدولة على .

الرجل : حق الدولة يمثل ربع التركة .

(الفتى يعطيه رزمة أخرى)

الفتى : اليك رزمة أخرى دون تعرض لمناقشة المقدار المستحق .

الرجل : والقضية وتكاليفها ؟.. والتحفظ على المال وتعرضه للضياع ؟

الفتى : اعتقد اننى أعطيت ما فيه الكفاية .
الرجل : أتعاب المحاماة ؟.. الرسوم ؟.. سجنك ؟.. تعرض عملك الذى ترتزق منه للخسران ؟
(الفتى يعطيه رزمة ثالثة)
الفتى : تذكر أننى أعطيتك ثروة .
الرجل : لعل هذا يكفى بالنسبة لك ..
(صمت وتبادل نظرات حائرة)
الرجل : ولكن هذه السيدة لم تدفع مليما بعد ؟
الفتاة : انى زوجته .
الرجل : قلت اننى عملت طويلا فى مواطن السوء فلا تحاولى الضحك على ذقنى .
الفتى : لقد أعطيت فدية لكلينا .
الرجل : بل فدية لك وحدك !
الفتى : ماذا تريد ؟
الرجل : الأتعاب الخاصة بالسيدة .
(يعطيه رزمة رابعة)
الفتى : هاك رزمة رابعة .
الرجل : كن كريما كسائر القتلة واللصوص .
الفتى : أتريد أن تستولى على نصف التركة ؟
الرجل : الامر يتوقف على مدى تقديرك لحريتك .
(يقطب الفتى فى قهر ثم يسلمه رزمة جديدة)
الفتى : تفضل مصحوبا بالسلامة .
(الرجل يدير ظهره ليذهب . الفتى يستل من ملابسه مطواة فيفتح نصلها ويهجم على الرجل . الرجل حذر وكان يتوقع حركة غاردة فيتفادى من الطعنة ويقبض على معصمه فيلويه ثم يلكمه فيسقط على الأرض .
يجىء بكرسى فيجلسه عليه ويخرج من ملابسه

حبلا ويكبله بمهارة قبل أن يفيق من اللكمة ، وهو يهدد الفتاة بأنها اذا ندت عنها حركة أو صــوت فسوف يساقان الى القسم .

ثم يجيء بكرسى آخر ويأمر الفتاة بالجلوس مهددا ويكبلها بحبل آخر . يتجه نحو النقود على الخوان فيستولى عليها ثم يلفها فى الحصــيرة . يلقى عليهما نظرة ثم يذهب .

الفتى يفيق من أثر اللكمة . ينظر فيما حوله . يتذكر ما وقع . يحاول تخليص نفسه ولكن عبثا)

الفتى : ذهب ؟

الفتاة : بعد أن استولى على النقود كلها ..

الفتى : (غاضبا) لم لم تصوتى ؟.. كان يجب أن تصوتى بأعلى صوتك .

الفتاة : خفت أن يرجع فيضربنا أو يقتلنا .

(يحاول تخليص نفسه مرة ثانية دون فائدة)

الفتى : سأقتله ولو اختفى فى بلاد الواق .

الفتاة : تهورك هو المسئول عما حل بنا ، لم حاولت الهجوم عليه ؟

الفتى : ليس من مبادئى أن أسمح لانسان باستغفالى .

الفتاة : ها هو قد ذهب بالثروة كلها .

الفتى : سيكون التنكيل به هدفى الأول فى الحياة .

الفتاة : وقد تحقق هدفك ولكن الحلم السعيد تبدد .

الفتى : سأقبض على عنقه عاجلا أو آجلا .

الفتاة : ولا شاهد او دليل لدينا عما حصل .

الفتى : المهم الآن أن نتحرر من قيدنا .

الفتاة : نحن مقيدان فى بيت مغلق النوافذ والأبواب .

الفتى : ويعز علىّ أن أتصور أن الثروة حقا ضاعت .

الفتاة : هى الحقيقة الأليمة ، وربما تقتله ولكنك لن تسترد



مليما من ثروتك .

الفتى : لم يعبث بى احد من قبل .

الفتاة : ها قد عبث بك كأنك لا شيء .

الفتى : اين المفر ؟.. انه يعمل فى دائرة هذا القسم .

الفتاة : اذا كان حقا مخبرا .

الفتى : ولم لا يكون مخبرا ؟

الفتاة : كان يجب ان تطالبه بابراز بطاقته الشخصية .

الفتى : اعترف بأننى لم احسن التفكير ولا التدبير .

الفتاة : انت مغرور ، تتوهم انك اله ثم تقع كالرطل .

الفتى : كيف أصدق ما حصل ؟

الفتاة : قلبى يحدثنى بأنه ليس مخبرا .

الفتى : هو مجرم محترف على اى حال .

الفتاة : ويخيل الىّ .. ربما لم يكن انسانا أيضا !

الفتى : ماذا تعنين ؟

الفتاة : اعنى اننا فى بيت ولى ، وهو وكر للأرواح والشياطين .

الفتى : انت حمقاء ، لا يسرق النقود الا انسان عاقل .

الفتاة : تذكر كيف اقتحم علينا المكان وكيف ذهب .

الفتى : جاء كما يجيء المجرم وذهب بما يذهب به المجرمون .

الفتاة : انت لا تحسن الرؤية عند الانفعال .

الفتى : انت حمقاء ، هذه حقيقة مفروغ منها .

الفتاة : لنفكر فى حالنا ، نحن مقيدان بطريقة جهنمية ، البيت محاط بفناء واسع يعزله عن الحارة فلن يسمع صوتنا أحد ، الجو هنا لا أرتاح اليه ، فثمة روح ميت لعله لم يدفن بعد ، وثمة ارواح كثيرة لا علم لنا بها ولا سيطرة لنا عليها .

الفتى : يا مجنونة ، يا مخرفة ، ما هذا الهذيان ؟

الفتاة : أنا خائفة .

الفتى : عهدتك دائما عربيدة ساخرة فكيف خانتك جراتك الداعرة ؟

الفتاة : انه بيت مهجور الا تدرك ذلك ؟، جثة ابيك الآن فى المشرحة وستدفن كجثة رجل مجهول ، ولن ينبس المخبر ـ اذا كان حقا مخبرا ـ بكلمة ، وسيظل البيت مغلقا مهجورا زمنا غير قصير ولكنه يكفى لقتلنا جوعا وعطشا ، وهناك الأرواح .

الفتى : الأرواح !

الفتاة : أنا خائفة ..

الفتى : كيف قيدنا بهذا الاحكام ؟.. لقد جاء مبيتا النية على فعل ما فعل .

الفتاة : وقد يرجع للإجهاز علينا .

الفتى : فليرجع .

(صمت تتخلله محاولة منه يائسة لفك قيده ولكن دون جدوى)

الفتاة : كأننا فى حلم .

الفتى : ولكنه أسخف من الحقيقة .

الفتاة : احيانا يكاد يغلبنى الضحك .

الفتى : اضحكى ان استطعت .

الفتاة : حتى حياتنا المألوفة بين المغامرين والمنافسين والأعداء اخف وطأة من هذا السجن فى بيت ابيك .

الفتى : ليرحمه الله .

الفتاة : ادعه أن ينقذنا .

الفتى : (ساخرا) ابانا الذى فى المشرحة .. انقذ ابنك الوحيد .

الفتاة : ماذا كان رأيك فى أبيك ؟

الفتى : كان دجالا كوحيده .

الفتاة : حدثونا فى كل موضع عن كراماته .

الفتى : حارة مخبولة مسطولة .
الفتاة : لكن الطمأنينة التى بثها فى القلوب حقيقية .
الفتى : رد الى ثروتى وأنا اغرقك فى بحر من الطمأنينة .
الفتاة : لم تكن فقراء ، ولكننا لم نعرف الطمأنينة .
الفتى : وما سبيل الطمأنينة الى خمارة هى ملتقى للمغامرين، واقعة بين عشرات من الخمارات المنافسة ، فى حى مكتظ بالأعداء ، ووراء ذلك كله احساس ثابت بالمطاردة ؟!.. كنا سنرتفع بالثروة فوق ذلك كله .

(دقيقة صمت)

الفتاة : سيجىء الظلام ونحن مكبلون بالحبال فى هذا البيت المسكون .
الفتى : لا فرق بين النور والظلام .
الفتاة : كيف نخرج من هذا المأزق ؟
الفتى : اصرخى .. صوتك احدّ من الرصاصة .
الفتاة : لن يسمعنا أحد .
الفتى : علينا ان ننتظر حتى يجىء انقاذ من حيث لا ننتظر أو يجىء الموت .

(صمت تتخلله محاولات فاشلة لفك القيود)

الفتاة : لم دعاك ابوك ؟
الفتى : مات سره معه .
الفتاة : ماذا ظننت ؟
الفتى : قلت لعله حنين قلب عجوز .
الفتاة : لم تقل كل الحق .
الفتى : وحلمت بثروة !
الفتاة : وقد وهبك ثروة .
الفتى : وضاعت .
الفتاة : ولكنه اراد ايضا ان ترث عمله .
الفتى : فكرة سخيفة .

الفتاة : كان يجب أن تجاريه ولو فى الظاهر .
الفتى : لم يكن ليغير من الأمر شيئا .
الفتاة : ربما لم يكن حدث الذى حدث .
الفتى : اراهن على انك فقدت عقلك .
الفتاة : هل حاول أن يلقنك سره وانت صغير ؟
الفتى : نعم .
الفتاة : ولكنك عصيته ؟
الفتى : لو أطعته ما صادفتنى فى طريقك أبدا .
الفتاة : (تضحك .. ولا تنبس)
الفتى : حاول معى كثيرا ، لم أفهم كلمة من كلماته ، واتخذت من سلوكى المشين سبيلا لتحديه حتى طردنى ..
الفتاة : واحترفت المغامرة بدلا من الطمأنينة .
الفتى : ورثت عنه الدجل لأستثمره فى مجاله الطبيعى .
الفتاة : لم اسمع احدا يثنى عليك مثله .
الفتى : انى اعاشر مغامرين وكان يعاشر مغفلين .
الفتاة : راسى يدور .
الفتى : الحياة الحقة نقيض الراحة ، والرجوع الى الخرافة تفكير مضحك ، لعله ينقصنا شىء ولكن لا بد من مواصلة حياتنا ، ماذا تريدين ؟
الفتاة : أن أخرج من هنا سالمة .
الفتى : سنخرج عاجلا أو آجلا .
الفتاة : عما قليل سيجىء الظلام .
الفتى : فليجىء الظلام .
الفتاة : انت المسئول عما وقع .
الفتى : انت جبانة .
الفتاة : وانت وغد .
الفتى : فلنتسل بتبادل الشتائم حتى تنكشف عنا هذه الغمة .

الفتاة : أو حتى يحل بنا الموت .
الفتى : أو حتى يحل بنا الموت .
(الفتاة تبكى من القهر . وهو يضحك ضحكة عصبية)
الفتاة : انه يؤدبك .
الفتى : من ؟
الفتاة : أبوك .
الفتى : لم يستطع أن يؤدبنى وهو حى ، وهو أعجز عن ذلك وهو ميت .
الفتاة : بين حدث وحدث توجد أسباب خفية .
الفتى : بين حدث وحدث لا يوجد شىء .
الفتاة : وها قد وقعنا فى الفخ .
الفتى : فخ لم ينصبه أحد ولكنا وقعنا بسوء تصرفنا .
(النور ينخفض منذرا باقتراب المساء . لحظات من الصمت ومحاولات فاشلة لفك القيد)
الفتاة : بدأ الليل يهبط ..
الفتى : ليس فى وسع شىء أن يمنعه .
الفتاة : كان فى وسعنا على الأقل ..
الفتى : (مقاطعا فى تهكم) كان يا ما كان ..
الفتاة : أكره الظلام ، أكره الأغلال ، وسوف أجن .
الفتى : جربى الجنون فهو أكرم من الشعوذة على أى حال .
الفتاة : يا لك من وغد قاس كأنك لم تنعم عمرا بحبى .
الفتى : عودى الى توازنك لنتفاهم كما تفاهمنا دائما .
الفتاة : حتى حبك ما هو الا حب مغامر ، نوبة من نوبات الأعصاب بلا قاعدة ثابتة .
الفتى : لم يكن ثمة فردوس فى الماضى ، ولن يكون ثمة فردوس فى المستقبل ، علينا أن نتقبل الحياة كما هى .

الفتاة : الظلام يتمادى فى الاقتراب .

الفتى : فليأت الظلام .

الفتاة : انك تدارى خوفك باللعب بالألفاظ .

الفتى : اللعنة .. فى هذا الوقت من اليوم يبدأ النشاط فى الخمارة .

الفتاة : يا لها من نهاية رخيصة !

(يستمر انخفاض النور حتى يحتوى الظلام الحجرة ويختفى الفتى والفتاة . الفتاة تصرخ مستغيثة ثم يسود الصمت)

الفتاة : الا تحفظ تلاوة ندفع بها الشياطين بعيدا ؟

الفتى : لا أحفظ شيئا .

الفتاة : انى خائفة .

الفتى : لا يوجد هنا سبب حقيقى يبرر الخوف .

الفتاة : ولكنى خائفة .

الفتى : أنا قريب منك .

الفتاة : ولكنى لا أراك .

الفتى : فلنغن اغنية بذيئة لنهزأ بالظلام .

(الفتاة تصرخ . صمت يتخلله بكاء خافت . ضوء يتسرب الى الحجرة آتيا من شراعة الباب الى اليسار)

الفتاة : الا ترى ؟.. نور فى الداخل ، يوجد شخص ، البيت مسكون !

الفتى : (بصوت مرتفع) من بالداخل ؟

الفتاة : مفاصلى سابت .

الفتى : من بالداخل ؟

(يفتح الباب . يظهر الغلام وبيده مصباح . يتقدم ثم يتوقف عندما يرى الفتى الفتاة)

الفتى : أنت ! .. اكنت بالداخل طيلة الوقت ؟

الغلام : ظننت انكما ذهبتما .
الفتاة : ألا ترانا مكبلين بالحبال ؟
الغلام : ولم فعلتما ذلك بنفسكما ؟
الفتاة : هل تسخر منا يا غلام !
الفتى : أكنت موجودا بالداخل ؟ .. ألم تغادر البيت ؟
الغلام : رجعت مع المساء لأشعل المصباح .
الفتى : لماذا ؟
الغلام : اكراما لروح الشيخ يوم وفاته .
الفتى : ضع المصباح وتقدم لحل عقدتنا .
(الغلام يمضي الى الكونصول فيضع المصباح ويتجه راجعا نحو الباب) .
الفتى : يا غلام .
(الغلام يتوقف)
الفتى : تعال .
الغلام : ماذا تريد يا سيدى ؟
الفتى : كيف لا تدرى بما نريد ؟
الغلام : أمرنى الشيخ قبل ذهابه بألا أقدم لك أية مساعدة اذا أهملت تركته .
الفتى : ولكنه غير معقول أن تتركنا على هذه الحال .
الغلام : لا أستطيع أن أخالف لمولاى أمرا .
الفتاة : لا يمكن أن تعنى ما تقول . انك غلام طيب ونبيل ..
الفتى : وأنا ابن مولاك يا شاطر ولا يرضيك أن تتركنا فى هذه المأزق .
الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا .
الفتى : مولاك لم يتصور أننا سنقع فى هذه الورطة .
الغلام : سامحك الله .
الفتاة : لص أثيم نهب ثروة مولاك وكبلنا بالحبال .
الغلام : على أن أذهب .

الفتى : لا تغضب مولاك فى قبره .
الغلام : مولاى ارتفع الى السماء .
الفتى : لا تغضب مولاك فى سمائه .
الغلام : ما دمت لا أعصيه فلن يغضب .
الفتى : أتعتقد انه يرضيه أن نترك هكذا دون مساعدة ؟
الغلام : لا أدرى .
الفتى : أؤكد لك ان ذلك سيحزنه غاية الحزن .
الغلام : لا أدرى .
الفتى : أقدم ولا تخف .
الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا .
الفتاة : من أجل خاطرى ، لا يمكن أن تمتنع عن مساعدة امرأة .
الغلام : انى ذاهب .
الفتى : انتظر ... ألا ترى ؟ انى أريد تركة ابى الحقيقية .
الغلام : أنت تعلم بمكانها .
الفتى : ولكنى لا أستطيع الانتقال اليها .
الغلام : سبق أن نبذتها .
الفتى : أنا نادم على ذلك !
الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا .
(الغلام يستأنف السير)
الفتاة : على الأقل بلغ الأمر الى الشرطة .
(الغلام يواصل السير دون مبالاة)
الفتى : هل ستبلغ الشرطة ؟
الغلام : كلا .
(الغلام يختفى ثم يغلق الباب)
الفتى : ملعون ابن ملعون ..
(الفتاة تعاود البكاء)
الفتى : كفى .. كفى والا ..

الفتاة : قضى علينا بالهلاك .

الفتى : لقد رجع الغلام ، وربما رجع مرة اخرى ، ولعل غيره يجىء .

(صمت قصير ثم يواصل حديثه)

الفتى : يخيل الىّ أن العجوز استدرجنى الى بيته لينكل بى. الطيبة كانت حرفته لا طبيعته ، وآى ذلك أننى منحدر من صلبه ، غير معقول أن تكون أمى مسئولة وحدها عن دمى العربيد ، ولبيت نداءه وانا فى غفلة من مكره فتتابعت الأخطاء ..

الفتاة : كفاك قذفا فالبيت مسكون !

الفتى : مسكون بأرواح اسرتنا العريقة فى الشر .

الفتاة : ليس الغلام غلاما ولا المخبر مخبرا .. وسوف تقع كوارث ليست فى الحسبان .

الفتى : فلتقع الكوارث بغير حساب .

(صمت .. ثم تنزل الستار)

***

ترفع الستار . ضوء النهار يملأ الغرفة رغم انالمصباح مازال مشتعلا . الفتى والفتاة نائمان ورأساهما مطروحان على مسندى الكرسيين .

يسمع صوت الباب الخارجى وهو يفتح ثم وهو يغلق .

يدخل رجل فخم انيق الملبس ولكنا نعرف فيه المخبر فى ملبس جديد وهيئة جديدة يتبعه سكرتير وضابط من الشرطة .

الفتى والفتاة يستيقظان . يبدو عليهما الارهاق . ينظران الى القادمين بذهول فلا يعرفان حقيقة الشخص الفخم .

الضابط : من أنتما ؟ .. ومن فعل بكما ذلك ؟
الفتى : من حضرتك ؟
الضابط : ضابط النقطة .
الفتاة : انقذنا من فضلك .
(الضابط يحل وثاقهما . يقفان وهما يتأوهان .

يحركان أعضاءهما ليستعيدا توازنهما)
الضابط : من أنتما ؟
الفتى : انا ابن صاحب البيت أعنى ولى الله المتوفى .
الفتاة : وأنا الزوجة .
الضابط : ماذا حدث لكما ؟
الفتى : هاجمنا مجرم غدرا ثم سرقنا وذهب .
الضابط : سأفتح لكما محضر تحقيق بعد قليل .
الفتى : هل أبلغك الغلام عنا ؟
الضابط : أى غــلام ؟
الفتى : غلام الشيخ المتوفى .
الضابط : كلا ، لقد جئت فى صحبة المهندس لمعاينة البيت الذى
يرغب فى شرائه ظنا منا بأنه بيت خال ولا وريث له !
(الفتى والفتاة ينتبهان لأول مرة للمهندس فتلوح
فى وجهيهما الدهشة والانزعاج . يتبادلان النظرات
ثم يحدقان فى المهندس بذهول)
الضابط : مالك ؟
المهندس : لماذا تنظران الى هكذا ؟
الفتى : انت !
الفتاة : هو .. جسمه وصوته ووجهه .
المهندس : ماذا تعنيان ؟
الفتى : انت دون غيرك ، ايها المجرم !
(ينقض عليه ولكن الضــابط والسكرتير يحولان
بينهما . المهندس يتراجع دهشا مستنكرا)

الضابط : أى مجـرم تعنى ؟ .. المهنـدس أكبر مقـاول فى الجمهورية .
الفتى : هو المخبر .. هو اللص .. هو الذى سرقنى ..
(المهندس والسكرتير والضابط يضحكون)
الضابط : اضبط لسانك .
السكرتير : يالها من نكتة !
الفتاة : هو المخبر .
الفتى : هو المجرم .
الضابط : كفى هذيانا !
المهندس : ترفق بهما يا حضرة الضابط ، تذكر كيف قضـيا ليلتهما فى هذا البيت .
الفتى : لا تحاول خداعى .
الضابط : انك تهين رجلا ولا كل الرجال ، رجل أدى لوطنه أجل الخدمات فى ميدان الهندسة .
(الفتى والفتاة يتبادلان النظرات الحائرة)
الفتى : خبرنى يا حضرة الضابط هل عندك مخبر يشبهه ؟
الضابط : كلا على وجه اليقين .
المهندس : تمالك نفسك من فضلك ، لقد عانيت ليلة غاية فى السوء ، وغير بعيد أن المجرم الذى اعتدى عليكما يماثلنى فى بعض الصفات والخصائص ، وانت نفسك تماثل المرحوم اباك فى بعض ملامحـه رغم تناقض منهجكما فى الحياة فيما يبدو لى ، وسوف يقبض الضابط على المجرم ويرد اليك مالك ، هل فقدت مالا كثيرا ؟
الفتى : أنت أدرى بمقداره .
الضابط : رجع الى الهلوسة مرة اخرى !
الفتى : أؤكد لك أن هذا الرجل هو المجرم الذى اعتـدى علينـا .

الضابط : كف عن هذيانك ، من صالحك أن تكف عنه .

السكرتير : ثمة أحقاد غريبة تستقر فى نفوس الشباب ، فاذا تعرض أحدهم لهزة نفسية استمد من حقده الدفين آراء هدامة وراح يرمى بها كبار ذوى النشاط الناجح من الرجال المتازين فى المجتمع ..

الضابط : هل أنت من هؤلاء الشبان ؟

الفتى : انى ضحية وقد حللت بنفسك وثاقى .

الضابط : ولكنك لم تسترد عقلك بعد .

المهندس : يجب أن تسترد عقلك سريعا لاتمكن من انجاز مهمتى .

(صمت قصير)

الفتاة : وما مهمتك ؟

المهندس : انى ارغب فى شراء هذا البيت القديم لأقيم مكانه مصنعا للأجهزة الالكترونية .

الفتاة : الم تحاول الاتفاق مع صاحبه قبل وفاته ؟

المهندس : حاولت وعرضت عليه بيتا جديدا فى مطلع الحى . ولكن كان لكل منا لغة يستعصى على الآخر فهمها !

الفتى : اذن فأنت تعرف البيت وكنت تعرف صاحبه ؟

المهندس : أجل ، وكان أبى رحمه الله من مريديه أيضا !

الفتى : انت اذن ..

(الفتاة تجذبه من ذراعه مانعة اياه من تكملة كلامه ، وتنتحى به جانبا)

الفتاة : تمالك نفسك .

الفتى : لكنه هو عينه .

الفتاة : لندع ذلك للتحقيق ، المهم الآن بيع البيت .

الفتى : سيشترى بمالى .

الفتاة : لا يجوز أن تخرج من المولد بلا حمص .

الفتى : الجن الأحمر نفسه لا يستطيع خداعى !

الفتاة : انسى شطارتك الآن واجل مشروعاتك .

(يعودان الى الجماعة)

الفتاة : اغفر له تهوره يا سيدى المهندس اكراما لذكرى ابيه الطيب !

المهندس : ايرحمه الله رحمة واسعة .

الفتى : اكنت تؤمن به ؟

المهندس : كنت احبه .

الفتى : هل شهدت احتضاره ؟

المهندس : لكننى مشيت فى جنازته . اين كنت انت ؟

الفتى : كنت موثقا بحبال المجرم الأثيم .

المهندس : حضرة الضابط كفيل باسترداد ثروتك الضائعة . وما عليك الآن الا ان تتقبل وضعك بالطمانينة التى بشر بها أبوك .

الفتى : ولكنك لم تؤمن به ؟

المهندس : (ضاحكا) كان يقول لى « الطمانينة هى هدف النفس البشرية » فأقول له « بل التقدم يا مولاى ولو بالجهد والقلق » .

الفتى : ولو بالاعتداء والنهب !

الفتاة : لنعد الى مشروع المصنع .

المهندس : ثبت الآن ان للبيت وريثا ، وعليه فلا بد من انتظار الاجراءات الخاصة باثبات الوراثة .

الفتاة : انه بيت كبير وذو موضع ممتاز على مشارف الصحراء ، ولا تنس أثاثه القديم النادر !

المهندس : لاحاجة بى الى الاثاث .

الفتاة : والكتب التى صنعت المعجزات ؟

المهندس : لدى ما احتاج من كتب ومعجزات !

الفتاة : اظن آن لنا ان نتكلم عن الثمن .

المهندس : لن ابخسكم حقكم ، وسنتكلم عن ذلك فى حينه .

(المهندس يستأذن فى الانصراف . وقبل أن يذهب يلتفت الى الفتى ويسأله)

المهندس : وأنت .. ما مهنتك ؟

الفتى : صاحب خمارة .

المهندس : ضاحكا (لست مقطوع الصلة بأبيك ، فالناس يقصدون الخمارة طلبا للطمأنينة أيضا .
(المهندس وسكرتيره يذهبان)
(يقترب الضابط من الفتى والفتاة قائلا)

الضابط : آن لنا أن نبدأ التحقيق .

ستار

النجاة



حجرة جلوس . فى الوسط مدفأة حائط مشتعلة . الى اليمين من المدفأة باب حجرة النوم والى اليسار منها باب حجرة المكتب . فى نهاية الجانب الأيمن لحجرة الجلوس باب هو باب الشقة . الى اليسار يوجد بار وتلفزيون . رجل يجلس على مقعد كبير أمام المدفأة . يرتدى روبا ، ويطالع فى كتاب .

جرس الباب الخارجى يرن بغتة رنينا متواصلا .

يقوم الرجل الى الباب ، يفتحه . تندفع الى الداخل امرأة جميلة مرتدية معطفا وبيدها حقيبة . تندفع وكأنها تجرى ثم تقف وهى تلهث . الرجل ينظر اليها بدهشة ودون أن يغلق الباب . واضح من نظرته انه لا يعرفها ولم يكن ينتظرها .

الرجل : (بترددوارتباك) ولا مؤاخذة .. حضرتك ؟

المرأة : (بلهفة) اغلق الباب . من فضلك اغلق الباب .

(الرجل يغلق الباب بذهول)

الرجل : وحدك ؟

المرأة : نعم .

(يقفان وهما يتبادلان النظرات)

المرأة : انى مرهقة ، تسمح لى بالجلوس ؟

الرجل : تفضلى .

(يجلسان على مقعدين متقاربين أمام المدفأة . تسند المرأة راسها الى يدها أعياء (بعلو صدرها وينخفض بشكل محسوس . الرجل يتفحصها بدهشة ، ويبدو — رغم غرابة الموقف — ان محاسنها اثرت فيه بعض الشىء)

الرجل : انا وحدى ، ذهبت الخادمة عقب اعداد العشاء . ولكنى سأجيئك بكوب ماء .



(يقوم الى البار فيملأ كوبا من دورق ثم يقدمه اليها . المراة تشرب نصفه ثم تضعه على خوان بين المقعدين)

المراة : آسفة جدا لازعاجك .

الرجل : انا فى خدمتك ..

المراة : شكرا .

الرجل : يلزمك شيء ؟

المراة : اكرر الأسف ،الواقع انني لا أدرى ماذا أقول .

(صمت)

المراة : سلوكى يتطلب تفسيرا ولكنى لا أدرى ماذا أقول .

الرجل : استردى انفاسك اولا .

المراة : ماذا اقول ؟ ، مهما يكن فانى أتوسل اليك أن تكرمنى ..

الرجل : وهل فى ذلك شك ؟

المراة : أعنى أن تعاملنى معاملة تليق بامرأة فى أشد حاجة الى ..

الرجل : الى ؟

المراة : الحماية !

الرجل : ماذا يهددك ؟ ...

(صمت)

الرجل : (مستدركا) لكنى لم اتشرف بعد ؟

المراة : لا يهم هذا على الاطلاق .

الرجل : ولكنه ضرورى فيما أعتقد .

المراة : كلا ، لن يقدم ولن يؤخر !

الرجل : لن اضايقك ،ولكن ثمة سؤال آخر ، هل قصدتنى بالذات ؟ .. هل تعرفيننى ؟

المراة : بابك أول باب يفتح لى ، هذا كل ما هنالك ..

الرجل : هل طرقت اكثر من باب ؟

المرأة : نعم .
الرجل : ماذا يهددك ؟
المرأة : اكرمنى بألا تخبر أى طارق عنى !
الرجل : (بقلق) هل يتوقع مجىء من يتعقبك ؟
المرأة : نعم .
الرجل : رجل أم امرأة ؟
المرأة : رجـــل !
الرجل : (بعد تردد) زوجك ؟
المرأة : كلا .
الرجل : صديق ؟ .. قريب ؟
المرأة : الا تتكرم بحمايتى دون تحقيق ؟
الرجل : ولكن ..
المرأة : (مقاطعة) لعلك تعمل حساب أهل بيتك ؟
الرجل : لا يوجد الآن فى البيت سواى .
المرأة : ولكن عما قليل سترجع زوجتك ؟
الرجل : لست متزوجا .
المرأة : تنتظر ولا شك احدا ممن يقيم معك ؟
الرجل : انى أقيم هنا بمفردى .
المرأة : عظيم ، ستكون المهمة سهلة لو تكرمت بالموافقة .
الرجل : ولكن يلزمنى بصيص نور .
المرأة : لن يمسك سوء !
الرجل : ولكنى أود أن أعرف المسئولية التى سأتحملها !
المرأة : لن تمضى ساعات حتى اغادر مسكنك الى الأبد كأنى شىء لم يكن .
الرجل : (مداريا ارتباكه بابتسامة) ستظلين شيئا لا يمكن نســيانه .
المرأة : غزل أم تحقيق ؟
الرجل : كنت أفضل أن يكون غزلا خالصا .

(صمت)

الرجل : اذا شرفتنى وقتا ثم ذهبت دون أن يعلم أحد فلا حرج . ولكن اذا جاء احــدهم يتعقبك فيلزمنى بصيص نور قبل ان انكر وجودك .

المراة : لن تقع عليك مسئولية ما .

الرجل : بل قد اجر الى متاعب لا تخطر ببال !

المراة : لا تهول .

الرجل : لا تتركينى فى ظلام .

(صمت)

الرجل : ارجوك . لا تضطرينى الى ..

المراة : الى تسليمى لأول طارق !

الرجل : ارجو أن تفهمى موقفى جيدا .

المراة : انى اتعلق بأمل وحيد . ببقية من الشهامة البطولية القــديمة .

الرجل : من المؤسف ان عهد الفروسية والملاحم قد ولى ..

المراة : فى حالات اليأس يفزع القلب الى زمن الأساطير !

الرجل : انا يا سيدى رجل لا أسطورة ..

(صمت)

الرجل : فكرى من فضلك واجيبى ..

المراة : لكننى عاجزة تماما .

الرجل : قبل ان تفوت الفرصة ؟

المراة : كن كريما الى النهاية .

الرجل : (غاضبا) انى اشم رائحة مقلقة للأعصاب .

المراة : اى رائحة ؟

الرجل : جريمة ما !

المراة : لا تدفعنى الى الانتحار !

الرجل : ماذا فعلت ؟

(جرس الباب يرن . المراة تقف فزعة . تهرع الى باب حجرة النوم . تدخل ثم تغلق الباب من الداخل

(الرجل يحاول فتح الباب فلا يستطيع . الجرس يرن مرة أخرى)

الرجل : افتحى .

المراة : كن كريما .

الرجل : لا تجرينى الى مازق .

المراة : كن رحيما .

الرجل : ساتصرف كما ينبغى لى .

المراة : اذا اعترفت بوجودى هنا رميت بنفسى من النافذة.

الرجل : انت مجنونة !

المراة : انا عاقلة جدا .

الرجل : انك تجازيننى خير جزاء .

المراة : انى آسفة ولكننى مضطرة !

الرجل : انتظرى .. لا تتعجلى .

(يذهب الى الباب لاعنا متسخطا . يفتح الباب . يدخل رجل ضاحكا ثم يرد الباب)

الصديق : كنت نائما ؟

الرجل : انت ! .. عليك اللعنة !

الصديق : يا له من استقبال .

(يتجهان نحو المدفاة)

الصديق : ماذا حدث فى العمارة ؟

الرجل : لا شىء !

الصديق : وانا قادم الى زيارتك وجدت الشرطة تحاصر العمارة ، لم أستطع المرور الا بعد س و ج .

الرجل : حقا ! .. ماذا حدث ؟

الصديق : لم افهم شيئا . لم يرد على اسئلتى احد ، ولكن ثمة حادث أو جريمة . والامر المؤكد انهم يبحثون عن امراة هاربة .

الرجل : اين ؟

الصديق : فى مكان ما بالعمارة ، العمارة محتلة بالقوات ، ألم تشعر بشىء ؟
الرجل : أبدا .
(يجلسان . الصديق يجلس فى مكان المراة . يتشمم الجو بدهشة)
الصديق : رائحة امراة !
الرجل : ترى اى جريمة واى امراة ؟
الصديق : لا تشغل بالك ، ستعرف كل شىء صباح الغد ، ولكنى أقول انه توجد رائحة امراة .
الرجل : رائحة امراة ؟
الصديق : رائحة زكية . هل عندك حبوبة ؟
الرجل : كلا .
الصديق : وهذه الرائحة ؟
الرجل : كان ثمة صديقة تزورنى ..
الصديق : مبارك عليك ، ولكن مالك ؟
الرجل : على خير مايرام .
الصديق : كلا ، لست كعادتك ..
الرجل : لعله البرد .
الصديق : (مشيرا الى المدفأة) انك تنعم بفردوس فى هذا الشتاء القاسى .
(صمت)
الصديق : أهى ممن اعرفهن ؟
الرجل : من تعنى ؟
الصديق : المراة التى كانت هنا .
الرجل : كلا .
الصديق : ولم انصرفت مبكرة ؟
الرجل : يكفى تحقيق واحد فى العمارة .
الصديق : ذكرتنى . ترى ماذا حدث ؟

الرجل : أجل ماذا حدث ؟
الصديق : انك تعرف عن فتنام أكثر مما تعرف عن شـــقة مجاورة فى عمارة حديثة .
الرجل : أى جريمة ؟ .. واين اختفت المرأة ؟
الصديق : لا تشغل بالك ، الجرائم وجبات يومية .
الرجل : والمرأة ؟
الصديق : قاتلة .. شريكة فى جريمة قتل .. سر جريمة ما .
الرجل : واين يمكن أن تختفى ؟
الصديق : لعلهم عثروا عليها ، الا اذا كانت اصلا من سكان العمـــارة .
الرجل : فكرة .
الصديق : أو تكون لجأت الى شقة ما .
الرجل : لا أحد فى اعتقادى الا اذا كان له ضلع فى الحكاية .
(الرجل يقوم . يبتعد الى جناح الحجرة البعيد عن حجرة النوم . يشير الى صاحبه أن يتبعه فيلحق به)
الرجل : (هامسا) أنا واقع فى مشكلة .
الصديق : اى مشكلة ؟
(جرس الباب يرن)
الصديق : هل تنتظر احدا ؟
(الرجل يمضى الى الباب بعد تردد . يفتح)
صوت من الخارج : تسمح لى بالدخول ؟
الرجل : تفضـــل .
(يدخل ضابط . يقدم نفسه)
الضابط : نحن نبحث عن امرأة هاربة فى العمارة .
(الرجل يتظاهر بالدهشة ويتساءل)
الرجل : اية امرأة ؟
الضابط : امرأة هاربة ، ويهم الأمن العام القبض عليها .
الرجل : لم يلجأ الى شقتى احد .

الضابط : حضرتك رب الأسرة ؟
الرجل : انى اقيم بمفردى هنا . (ثم مشيرا الى صديقه)
هذا صديق زائر .
الضابط : تسمح بالبطاقة الشخصية .
(الرجل يذهب الى حجرة المكتب ثم يعود بالبطاقة.
الضابط يقراها بعناية . ثم يقدم له ورقة مكتوبة
ويقول)
الضابط : هذا اقرار بأن المرأة لم تلجأ الى شقتك هذا المساء،
وقعه بامضاءئك . واود ان اذكرك بخطورة الأمر
اذا ثبت ما يخالفه .
(الرجل يوقع الاقرار . الضابط يتناوله وينصرف
الرجل يغلق الباب . يعود الى صديقه حيث كان
يقف فى وسط الحجرة)
الصديق : الظاهر أن الجريمة اخطر مما تتصور .
الرجل : ليست الا اجراءات روتينية .
الصديق : لا تشغل بالك . كنت تتحدث عن مشكلة .
الرجل : مشكلة ؟ !
الصديق : الضابط شتت عقلك .
الرجل : ربما .
الصديق : لنعد الى مشكلتك .
(صمت)
الصديق : الا تريد أن تحدثنى عن مشكلتك ؟
الرجل : جد ما هو اهم .
الصديق : لا تشغل بالك بهموم لا تخصك .
الرجل : أليس من الجائز أن تستصدر الشرطة امرا
بالتفتيش العام اذا لم تعثر على المرأة ؟
الصديق : جائز .
الرجل : وقد يفتشون شقتى !

الصديق : انه احتمال ضعيف على أى حال .
الرجل : ولكنه جائز .
الصديق : عندك فرصة للتخلص من الأشياء المحرجة .
الرجل : كيف ؟
الصديق : النافذة .
الرجل : العمارة محاصرة .
الصديق : النار .
الرجل : ليست جميع الأشياء قابلة للاحتراق .
الصديق : أنت مجنون ، طالما حذرتك ، ولكن احتمال التفتيش احتمال ضعيف ، انها امرأة وليست ابرة وسيعثرون عليها عاجلا ..
الرجل : تستطيع أن تقدم لى خدمة .
الصديق : اسمع ، انت تعلم أنه لا شأن لى بهذه الأمور الخطرة ، دع صداقتنا فى المنطقة البريئة .
الرجل : نحن فى زمن الخوف من الشرطة ، اما شهامة الأساطير فقد ولى زمانها !
الصديق : الخوف شيء حقيقى ، أما الأساطير .. !

(صمت)

الصديق : اود ان اطمئن عليك .
الرجل : دون أن تقدم خدمة ما .
الصديق : كلانا يعرف الحدود التى يتحرك فيها الآخر .
الرجل : انى فى حاجة الى الانفراد بنفسى وكل ما اطلبه منك ان توافينى بأية معلومات جديدة بالتليفون .
الصديق : بمجرد عودتى الى مسكنى ..

(يتصافحان . يوصله حتى الباب الخارجى . يغلق الباب ثم يعود مسرعا الى باب حجرة النوم) .

الرجل : سيدتى .. تعالى .. لا احد بالشقة سواى .

(تفتح الباب . تخرج . يقفان وجها لوجهه) .

الرجل : انك تلقين بيأسك فوق رأسك .
المراة : جئت باندفاع لا اختيار فيه ثم وقعت فى فخ .
الرجل : سيعودون للتفتيش .
المراة : لا تهتم بى فانى اعرف كيف أتصرف
الرجل : انى أهتم بنفسى فى الواقع .
المراة : هذا حقك وانى آسفة لحد الموت .
الرجل : انك تخلقين لى مشاكل ومضاعفات .
الرجل : لم تعد بيدى حيلة .
الرجل : لم تبحث الشرطة عنك ؟
(صمت)
الرجل : لم تبحث الشرطة عنك ؟
المراة : انهم يبحثون عن كثيرين .. !
الرجل : شركائك ؟ !
المرأة : وغيرهم ..
الرجل : (محتدا) ماذا تعنين ؟
المرأة : (باسمة) سمعت ما دار بينك وبين صديقك .
(صمت وهو ينظر اليها غاضبا)
الرجل : تهددينني ؟ !
المراة : ربما كنا فى الهوى سوا .
الرجل : افتراء .
المراة : آسفة .
الرجل : أنا رجل محترم .
المراة : وانا امراة محترمة .
الرجل : هذا يتوقف على مضمون الاحترام عند كلينا .
المرأة : بمعنى آخر فكلانا غير محترم .
الرجل : هل نمضى الوقت فى جدل وسمر ؟
المرأة : انى آسفة وحزينة .
الرجل : فاتنى أن أعترف للضابط بالحقيقة .

المرأة : لم لم تفعل ؟
الرجل : اعترف بأننى لم أحسن التصرف .
المرأة : بل أحسنت التصرف والا لأثرت الشبهة فى وجود علاقة بينك وبين المرأة المنتحرة .
الرجل : كانت الحقيقة ستظهر على أى حال .
المرأة : ربما ، ولكن بعد تفتيش غير مرغوب فيه ، ترى ماذا تحوى شقتك الأنيقة من أسرار خطيرة ؟
الرجل : سخريتك تقطع بأنك معتادة للإجرام .
المرأة : أو غاية من اليأس .
الرجل : ماذا ارتكبت ؟
المرأة : محض فعل مألوف فى التاريخ ولكن الشرطة تصفه بأنه جريمة ، وانت ؟
الرجل : لا أسمح لك بالتحقيق معى ، ولكن خبرينى اى جريمة ارتكبت ؟
المرأة : ما أهمية ذلك ؟ .. أى تحسن يمكن أن يضيفه الى موقفنا ؟
الرجل : هل عرفوا شخصك ؟
المرأة : محتمل جدا .
الرجل : ليس مؤكدا ؟
المرأة : لا يوجد فى هذه الليلة شيء مؤكد .
الرجل : جربى أن تغادرى شقتى بوصفك امرأة أخرى .
المرأة : لن يدعونى أمر دون تحقيق ، وغالبا يوجد مخبر فى الطرقة الخارجية ، وسيجرونك للتحقيق ، وسوف تنكشف الحقيقة .
الرجل : أى حقيقة ؟
المرأة : حقيقتى وحقيقتك .
الرجل : (غاضبا) لا تدفعينى للخروج عن حدود اللياقة .
المرأة : معذرة .

الرجل : أنت تؤجلين الخطر ليس الا ..
المرأة : لا حيلة لى .
الرجل : لوكنت مكانك .. !
المرأة : لو كنت مكانى .. ؟
الرجل : لسلمت نفسى الى الشرطة ..
المرأة : هذا حل طبيعى ومعقول لمشكلتك ..
الرجل : ولمشكلتك ايضا ما داموا سيجيئون فى النهاية حتما.
المرأة : ليس حتما !
الرجل : (غاضبا) ولكنك تراهنين بحياتى !
المرأة : أمر مؤسف حقا ولكننى افضل الانتحار على التسليم ..
الرجل : افعلى بنفسك ما تشائين ولكن بعيدا عنى ..
المرأة : ليته ممكن !
الرجل : اى قدر قذفنى بك .
المرأة : هو الذى رمانى اليك .
(تضحك ضحكة عصبية)
الرجل : تمزحين كما لو انك فى حفل استقبال .
المرأة : اذا انقطع الأمل فعلينا أن نعاشر اليأس معاشرة حسنة .
الرجل : ولكن الأمل لم ينقطع بعد .
المرأة : حقا ؟
الرجل : أستطيع أن اطردك .
المرأة : سأحاول الانتحار كآخر وسيلة دفاع فى يدى ...
الرجل : تهددينني ؟
المرأة : موقف مؤسف مخجل ولكننى لم أخلقه بارادتى .
الرجل : انت مجرمة بالسليقة .
المرأة : (باسمة) لعلنا من سليقة واحدة .
الرجل : (ثائرا) لتنشق الأرض وتبلعك .

المرأة : أول مرة يعاملنى رجل هذه المعاملة .

(الرجل ينقض عليها فاقدا أعصابه ليشدها ناحية الباب . هى تقاوم بيأس . يقوم بينهما شد وجذب . يختل توازنه فيقعــان على ديوان ويستمر الصراع بينهما . وبالاستمرار لا تكاد تختلف حركاتهما عن مبادلات العشق . ويتغير مذاق الصراع وحــدته . ويخلق جو جــديد لم يــكن فى الحســبان فتستفله الأعصاب المتوترة اليائسة . واذا به يضمها بين ذراعيه وينهال عليها تقبيلا .

ينخفض الضوء رويدا رويدا حتى يسود الظلام . ثم يعود رويدا حتى يبلغ حاله الأولى .

الآن كلاهما يجلس على مقعد كما كانا أول الأمر . هى تنظر الى السقف وهو يرنو الى نيران المدفأة)

الرجل : ترى ماذا يحدث فى الخارج الآن ؟

(صمت)

الرجل : ترى ماذا يحدث فى الخارج ؟

المرأة : كما يحدث فى الداخل .

الرجل : ماذا تعنين ؟؟

المرأة : جرائم ترتكب باهتمام وجنس يمارس بلا اهتمام .

الرجل : وبلا حب ؟

المرأة : لحظات عناق تنتزع من بين الكلمات ولى الأذرع .

(صمت)

الرجل : والعمــل ؟

المرأة : هل تحاول طردى مرة أخرى ؟ !

(صمت)

الرجل : ما جريمتك ؟

المرأة : وما جريمتك ؟ —

الرجل : من حقى أن أسألك وليس ذلك من حقك .

المرأة : ممن واجبى الا اتكلم .
الرجل : لست على اى حال من الشرطة .
المرأة : على سكوتى تتوقف سلامة آخرين .
الرجل : تزييف نقود ؟ .. مخدرات ؟ .. دعارة ؟ .. سياسة؟
المرأة : جميعها ظاهرات اجتماعية .
(صمت)
الرجل : متزوجة ؟
المرأة : لا أجيب على هذا السؤال بعد ما كان .
الرجل : هل كانت أول مرة تخونينه ؟
المرأة : الا ترى اننى أفضل الموت على الخيانة ؟
الرجل : اذن سلمت حبا وكرامة ؟
المرأة : حالة هستيريا ليس الا .
الرجل : نادمة ؟
المرأة : لا وقت للندم .
الرجل : هبينى دعوتك مرة اخرى ؟
المرأة : مرت فترة كافية لبلوغ سن الرشد .
الرجل : هل نفترق كغريبين ؟
المرأة : كما التقينا !
الرجل : لا شيء يجمعنا ؟
المرأة : الجريمة هى ما يجمعنا .
(صمت)
المرأة : هل انت أعزب ؟
الرجل : نعم .
المرأة : لم لم تتزوج ؟
الرجل : لم أطعن فى السن بعد .
المرأة : ومتى تطعن فى السن ؟
الرجل : لعلى أنتظر أن تجرفنى امرأة الى الزواج ، ولكن الا ترين اننا نسمر كأننا نستمتع بسهرة طيبة ؟

المرأة : هو خير من الصمت .
الرجل : الأغلال تقترب من أعناقنا .
المرأة : لا تذكرنى بذنبى حيالك .
الرجل : ثمة فرصة لتجربة الحظ .
المرأة : وهى ؟
الرجل : أن تخاطرى بالذهاب .
المرأة : لو كان الأمر يتعلق بى وحدى لفعلت .
الرجل : تدوسيننى فى طريقك بلا رحمة .
المرأة : كما داسنى آخرون .
الرجل : ما لى أنا وذلك كله !

(يتملكه غضب مباغت . ينهض قائما بعنف . يقبض على ساعدها ليشـدها ولكنها تخلص سـاعدها بهدوء)

المرأة : كلا .. لا يتكرر شىء واحد مرتين بطريقة واحدة .
الرجل : أنت .. انت ..

(جرس التليفون يرن . ينتقل اليه حيث يوجد على حامل قرب البار)

الرجل : آلو .
: ......
الرجل : تأخرت .. أين كنت ؟
: ......
الرجل : ماذا تقول ؟
: ......
الرجل : غير معقول ، ألم تعرف السبب ؟
: ......
الرجل : شىء عجيب حقا .
: ......
الرجل : بخير كما تركتنى .
: ......

الرجل : لست وحدى .. أقصد أننى منفرد بهمومى !
: ....
الرجل : ابدا ابدا .. وحدى كما تركتنى .
: ....
الرجل : أنت مجنون .. اى افكار جنونية تساورك ؟
: ....
الرجل : لا موجب لاساءة الظن ، الى اللقاء ..
(يضع السماعة ثم يعود الى مقعده . يتبادل مع المرأة نظرات حائرة)
الرجل : انه الصديق الذى كان هنا .
المرأة : وماذا قال لك ؟
الرجل : ماذا حصل للدنيا ؟.. الشوارع المحيطة بنا غاصة بالجنود !.. من أنت ؟
المرأة : لست الا امرأة سيئة الحظ كما ترى ..
الرجل : بيدك حل هذا اللغز .
المرأة : يستوى لدينا أن يضرب الحصار حول العمارة أو حول الحى كله .
الرجل : ولكن لا يجمعهم بهذه القوة الا شىء خطير .
المرأة : لست هذا الشىء .
الرجل : لعلك الخيط الذى يوصل اليه .
المرأة : جنبنا مناقشة عقيمة .
الرجل : لن أسمح لك بالقضاء علىّ .
المرأة : ضيعت فرصة الاعتراف بالحقيقة وهى غلطتك .
الرجل : لن أضيع بسبب غلطة .
المرأة : لماذا تعود الى الغضب ولم يجد جديد على الموقف ؟
الرجل : الهلاك باب أقرب مما نتصور .
المرأة : نحن مقامرون ، والمقامر العاقل يجب ان يوطن نفسه على الهلاك .

الرجل : انت امراة مقامرة .
المراة : وانت ايضا ، لا سبيل الى النكران .
الرجل : لم أتوقع أبدا ان اضيع بمثل هذه الطريقة السخيفة .
المراة : جميع طرق الضياع سخيفة .
الرجل : أود أن أقتلك ولو اضطررت الى قتل نفسى .
المراة : هاك طريقة سخيفة أخرى .
الرجل : كل هـذا وانا لا أعرف من انت ولا أدرك شيئا مما يقع حولى .
المراة : لا اهمية للتفاصيل ، حسبك أن تعرف أننا مطاردون ، وأن حولنا وفوقنا وتحتنا أعداء مصممون!

(صمت)

المراة : (وهى تبتسم متوددة) لا تضخم سوء الحظ بالغضب.

(صمت)

المراة : عندى اقتراح .

(ينظر نحوها بامتعاض ودون أن ينبس)

المراة : نحن فى حاجة الى ترفيه .
الرجل : ترفيه ؟!
المراة : لم لا ؟.. انهم يسألون المحكوم عليه بالاعدام عن رغبته الأخيرة .
الرجل : انت مجنونة .
المراة : لنشرب كأسين .
الرجل : وما حولنا وفوقنا وتحتنا ؟
المراة : أنا اعتبر نفسى منتهية ، واعترف لك بكل امانة ان جانبا منى راض كل الرضا ، ويخيل الى أنك تماثلنى الى حد كبير ، وأمامنا وقت غير محدد ، فاما أن نقضيه فى تبادل السباب واما أن نرفه عن انفسنا ، ما رأيك ؟
الرجل : كيف تتحمل أعصابك الترفيه وهى تتوقع الموت بين

لحظة واخرى ؟

المراة : هى حال الانسان بصفة عامة مع فارق بسيط هو اننا اعظم وعيا بالنهاية .

(صمت)

المراة : فلنجرب ..

(المراة تقوم الى البار فتجىء بزجاجة وكأسين . تملأ الكأسين . ترفع احداهما الى فم الرجل وتمسك بالأخرى)

المراة : صحة لقائنا دون تعارف سابق .

(تشرب وتدفع بالشراب الى فيه فيتقبله بفتور . ثم تملأ الكأسين مرة ثانية)

المراة : صحة افتراقنا القريب بعد تعارف عميق !

(تشرب . تنظر اليه بتوسل حتى يشرب كأسه ايضا . ثم تملأ الكأسين للمرة الثالثة)

المراة : صحة اسباب الهلاك التى لا حصر لها .

(تشرب . يشرب . تملأ الكأسين للمرة الرابعة)

المراة : صحة الأحلام التى تقود الى الهلاك .

(تشرب . يشرب . تنبسط أساريرهما بتأثير الخمر . يملأ هو الكأسين للمرة الخامسة)

المراة : صحة الجنس الذى يمارس وسط العنف والشجار .

(تشرب . يشرب . يزداد اثر الخمر . يملأ الكأسين للمرة السادسة) .

الرجل : صحة الشرطة عدوة الأحلام .

(تشرب . يشرب . يتأكد أثر الخمر . يملأ الكأسين للمرة السابعة)

المراة : صحة اول من اخترع حروف الهجاء .

(تشرب . يشرب . يتضح اثر السكر فى الحركة والصوت . يملأ الكأسين للمرة الثامنة)

الرجل : صحة اول من اخترع آلة للزينة .
(تشرب . يشرب . يملأ الكأسين للمرة التاسعة)
المراة : صحة أول من كتب رسالة غرامية .
(تشرب . يشرب . يملأ الكأسين للمرة العاشرة)
الرجل : صحة الحلقة المفقودة .
المراة : صحة المخبر الواقف بالطرقة خارج الشقة .
الرجل : صحتك .
المراة : صحتك .
(يغرقان فى الضحك . يقفان وهما يترنحان)
الرجل : لننس العمر الذى عشناه فينتهى كل شىء .
المراة : انتهى كل شىء .
الرجل : ولكنى لن انسى اول امنية داعبت فؤادى وانا طفل .
المراة : ما هى ؟
الرجل : أن أكون بياع كسكسى !
(يغرقان فى الضحك)
المراة : لنستمتع بشىء من الفن ..
الرجل : فكرة .
(يذهب الى التلفزيون . يديره . يظهر موقف من فيلم رعاة بقر يشتد فيه تبادل اطلاق النار . المراة تصرخ متراجعة محتجة فيطفىء الرجل التلفزيون)
الرجل : هلمى نرقص .
(يرقصان بلا موسيقى . يتعمد ضمها الى صدره . يقبلها من آن لآن . يتوقف عن الرقص ويرفعها بين يديه ليمضى بها ولكن توازنه يختل فيسقطان وهما يضحكان . ينطرحان جنبا لجنب وهما يضحكان . وهو يقبلها كلما سكت عنه الضحك . لا مقاومة من ناحيتها ولكنها تزحف قليلا وتمد يدها فتتناول سماعة التليفون . تطلب رقما ، وفى أثناء الحديث

يتابعها الرجل بانتباه قليل لشدة سكره ولا يكف عن تقبيلها)

المرأة : آلو .

: ....

المرأة : مساء الخير ، انت قلق طبعا ، آسفة ..

: ....

المرأة : شربت كأسين تحت ظروف اضطرارية .

: ....

المرأة : لا وقت للإجابة ، ليس الظرف مناسبا ، ستعرف كل شيء من الصحف ..

: ....

المرأة : لا تنتظرنى .. ولكن ثق من اخلاصى .. حتى آخر لحظة .. أستودعك الله ..

(تغلق السكة)

الرجل : تخونيننى جهارا ؟

المرأة : الماضي يستحق أن نودعه .

الرجل : عفريتة ..

المرأة : سأكون لك الى الأبد !

الرجل : حتى الموت ؟

المرأة : حتى الموت .

الرجل : ولو امتد بنا العمر ساعة كاملة ؟

المرأة : ولو امتد ساعة وربما !

(جرس الباب يرن . ينظران نحو الباب بانزعاج رغم سكرهما . ينهضان بصعوبة وتعثر . تمضى نحو المقعد حيث تركت حقيبتها)

المرأة : سيجدوننى جثة هامدة منتصرة .

الرجل : لن أفتح الباب .

المرأة : سيكسرونه .
الرجل : فلنتفق على الاعتراف بأننا زوجان .
المرأة : قلت للضابط خلاف ذلك .
الرجل : نعترف بأننا تزوجنا عقب ذهابه !
المرأة : هذه فترة تكفى لموتنا ؟ أما الزواج فيستغرق عاما على الأقل .

(الجرس يرن متقطعا ولكن فى اصرار .
الرجل يلتفت نحو الباب موليا المرأة ظهره .
الفتاة تتناول من الحقيبة انبوبة . تستخرج منها حبة .
تزدردها ببقية كأسها . تترنح ثم تسقط فوق الديوان منكفئة على وجهها ، جثة هامدة . الرجل لم ينتبه الى ما حدث . يتردد بين الوقوف وبين الذهاب الى الباب . ينظر وراءه فيرى المرأة منكفئة على وجهها)

الرجل : غلبك السكر ؟.. نمت ؟

(يتأملها دون مبالاة بجرس الباب)

الرجل : يا لك من شابة جميلة حقا !..

(الجرس يرن)

الرجل : أضعنا فى الخصام وقتا لا يعوض ..

(الجرس يرن)

الرجل : استريحى .. تخاصمنا كغرباء على حين تجمعنا طبيعة واحدة .

(يقترب منها ، يميل فوقها كأنما ليقبلها واذا بصوت صديقه ينادى من وراء الباب صائحا « أفتح » يمضى مسرعا نحو الباب فيفتحه ضاحكا . الصديق يدخل ويغلق الباب وراءه)

الرجل : سيبت ركبنا عليك اللعنة .
الصديق : من المرأة التى عندك ؟
الرجل : الغيرة رجعت بك رغم الحصار .. يا لك من احمق ما فكرت فى خيانتك قط .

(الصديق ينظر الى المراة ويضحك عاليا)

الصديق : بعض الظن اثم .

الرجل : انت أحمق .

الصديق : متى جاءت هذه المحبوبة ؟

الرجل : كانت هنا من قبل زيارتك الأولى .

الصديق : ولم اخفيتها عنى ؟

الرجل : انها المراة التى تبحث عنها الشرطة .

الصديق : كم كاسا شربت ؟

الرجل : لم افكر فى حصرها .

الصديق : وهل المحبوبة نائمة ؟

الرجل : من السكر والتعب .. ولكن ما حال الحصار ؟

الصديق : القيامة قائمة ..

الرجل : وحبيبتى نائمة ..

الصديق : انها جميلة .. من هى ؟

الرجل : المراة التى قامت القيامة من أجلها .

الصديق : انت سكران .

الرجل : السكران لا يكذب .

(صمت)

الصديق : لو صح هذا ..

الرجل : تعاهدنا على الحب الى الأبد .

الصديق : كنت تعرفها ؟

الرجل : عرفتها منذ ساعة هجرية !

الصديق : وما جريمتها ؟

الرجل : جريمة قامت لها القيامة .

الصديق : قتل .. مؤامرة ..؟

الرجل : سألتها فاعترفت لى بحبها ..

الصديق : لعنة الله على البار الأمريكانى .. خبرنى من هى ؟

الرجل : امراة .

الصديق : اسمها ، أسرتها ، مهنتها ؟..

الرجل : لا اسم ولا أسرة ولا مهنة لها .

الصديق : ألا تعرف عنها أى شيء ؟

الرجل : عرفنا أهم شيء وهو أننا سنموت بعد ساعة أو ساعتين !

الصديق : انك مضجر ولا خير فيك .

الرجل : نحن ننتظر الشرطة فلا تفسد علينا ساعة الانتظار.

الصديق : لا سبيل الى التفاهم معك ، سأذهب ، أستودعك الله ..

الرجل : مع ألف سلامة .

(يتحرك الرجل للذهاب . جرس الباب يرن رنينا متواصلا)

الرجل : أخيرا ..

الصديق : (فى اضطراب) ماذا أنت فاعل ؟

الرجل : سأفتح الباب قبل أن يحطموه ..

(أصوات من الخارج تصيح « افتح .. افتح » . الرجل يذهب الى الباب . يفتحه . تندفع الى الداخل قوة من الشرطة المسلحة على رأسها ضابط غير الضابط الأول)

الضابط : أين الحجرة المطلة على الطريق العمومى ؟

(الرجل يشير الى حجرة النوم . الضابط والقوة يهرعون الى الحجرة ويختفون داخلها)

الصديق : ما معنى هذا ؟

الرجل : على اللعنة ان كنت أفهم حرفا مما يقع حولى .

الصديق : يستحسن أن توقظ المرأة ، أى نوم هذا ؟

الرجل : رد فعل طبيعى للإنهاك والاضطراب والسكر ، دعها تنعم بآخر هدوء يتاح لها فى حياتها !

(فجأة تترامى من الحجرة أصوات طلقات نارية

كثيرة . تستمر وتتزايد . الرجلان ينحطان على ركبتيهما بحركة قاسية وهما فى غاية من الذعر)

الصديق : انها معركة ..

الرجل : معركة بكل معنى الكلمة ..

الصديق : هل العدو فى الطريق ؟

الرجل : ولكنك رأيت الطريق محاصرا !

الصديق : لعله فى العمارة القائمة على الجانب الآخر .

الرجل : لا أفهم شيئا ..

الصديق : يجب أن نغادر الشقة فورا قبل أن نصرع بالرصاص.

(الصديق يزحف على أربع حتى يغادر الشقة . الضابط يظهر فى باب الحجرة . يرى المرأة لأول مرة)

الضابط : هل أصيبت السيدة ؟

الرجل : كلا .. انها .. انها مريضة ..

الضابط : الشقة معرضة للخطر .. غادرها بلا تردد .

(الضابط يرجع الى الحجرة . الضرب فى تصاعد مستمر . رصاصة تصيب المصباح الكهربائى فيسود الظلام . شبح الرجل يزحف نحو المرأة . يهزها ليوقظها)

الرجل : استيقظى .. يجب أن تستيقظى ..

(يهزها بشىء من الشدة)

الرجل : سأحملك بين يدى وأمرى لله ..

(يحملها بين يديه ويمضى بها نحو الباب بتعثر ومشقة وبطء)

الرجل : لم يجيئوا للقبض عليك ولا للتفتيش .. لقد نجوت يا حبيبتى ... ونجوت أنا أيضا ... نجونا معا . سيمسى اليأس فى خبر كان .. نجوت ونجوت .. وستكونين لى الى الأبد .

(يغادر الحجرة بحمله . الضرب مستمر)

مشروع للمناقشة



حجرة الادارة بمسرح . فى الجانب الأوسط من الحجرة يوجد مكتب . امام المكتب مقعدان كبيران متقابلان . الى اليسار مكتبة ، وباب مغلق يؤدى الى الخارج . فى الجانب الأيمن كنبة ومقعدان وخوان . على الكنبة يجلس الممثل والممثلة . على المقعدين يجلس المخرج والناقد . الجميع فى أواسط العمر مع تفاوت .

المخرج : يجب ان نفتتح الموسم بعمل باهر .

الممثلة : (متنهدة) الحق ان الفن جمال وعذاب .

الممثل : (ناظرا فى ساعة يده) متى يحضر الأستاذ ؟

الناقد : انه فى الطريق الينا .

المخرج : كثرت المسارح واشتدت المنافسة بينهما لدرجة الوحشية .

الممثل : وعلينا يقع عبء المحافظة على القمة .

الممثلة : هذا ما قصدته بالعذاب .

الناقد : ترى هل انتهى الأستاذ من كتابة المسرحية ؟

المخرج : لا أظن ، ولكنه سيحدثنا عن الفكرة العامة .

الممثلة : لن يبدأ الموسم قبل اشهر .

(يفتح الباب الى اليسار ويدخل السكرتير)

السكرتير : الأستاذ .

(يدخل المؤلف . يخرج السكرتير ويغلق الباب . المؤلف متقدم فى السن ولكنه من النوع الذى يتعذر تحديد سنه . وهو انيق المظهر وبادى الصحة والعافية رغم تقدمه فى السن . ينهض المخرج والناقد والممثل لمصافحته . يذهب لمصافحة الممثلة فى مجلسها . يمضى الى المكتب فيقف مستندا الى

مقدمته . ينتقل المخرج والناقد الى المقعدين المتقابلين أمام المكتب . يعود الممثل الى مجلسه الى جانب الممثلة)

الناقد : (للمؤلف) صحتك عال .

المؤلف : شكرا .

المخرج : الجو فظيع ولكن ضاحيتك مرتفعة الموقع ومعتدلة الجو .

المؤلف : التفكير من شأنه أن يرفع الحرارة .

الناقد : الى أى حد يمكن أن تقول ان عملك اكتمل ؟

المؤلف : سينتهى على أى حال فى موعده .

الناقد : اذا أردنا أن نحدد روايتك الجديدة فأى اسم يمكن ان نطلقه عليها ؟

المؤلف : انك ناقد لا يخلو من داء النقاد فى غرامهم بالأسماء ، انا لا تهمنى الأسماء ، انما أبدأ من انفعال معين ثم اترك الاسترسال لوحى القلم .

الناقد : ولكن المسرحية بناء ، ولا يسع البناء أن يضرب فى الأساس ضربة واحدة ما لم تكن الصورة النهائية متبلورة بشكل ما !

الممثل : (فى شيء من العصبية) سنصل فى نقاش غير محدود ، أريد أن أطمئن الى وجود بطولة حقيقية .

الممثلة : وأضيف الى قول زميلى ان خير دور تمثله المرأة هو الحب . (ثم موجهة الحديث الى المخرج) تكلم فأنت المخرج ..

المخرج : لكل رواية اسلوب خاص لاخراجها .

الممثلة : ولكن الحب ضرورة لا غنى عنها .

المخرج : انه ضرورة حقا ولكن لا يمكن فرضه على المؤلف .

المؤلف : هذا كرم منك اذا تذكرنا محاولاتك السابقة للوثوب فوق راسى .

المخرج : (ضـــاحكا) انت تؤلف وانا افسر ، فأنت حر فى تأليفك وانا حر فى تفسيرى .
المؤلف : ولكنى اعرف ما اريد قوله .
المخرج : بل انى اعتبر ذلك من اختصاصى .
الناقد : الأمر يتوقف على نوع العمل ، ثمة عمل لا يختلف فى تفسيره أحد ، وآخر تتعدد فى تفسيره وجهات النظـــر .
الممثل : ما يهمنى حقـــا هـــو دور البطولة ، أريد أن أكون بطلا لا مهرجا .
المخرج : ولكن المهرج يمكن ان يكون بطلا أيضا .
الممثل : انى أرفض ذلك كل الرفض .
المخرج : ثمة زمن يخلق الأبطال وآخر يخلق المهرجين .
الممثل : مهرجون لا أبطال .
المخرج : المسألة نسبية .
الممثلة : سنضل فى متاهة الآراء ، حددوا أفكاركم .
الممثل : حسن ، أريد بطولة بالمعنى التقليدى .
الممثلة : واريد أن العب دور حب لا ينسى .
الناقد : ويلزمنى الوضوح الذى يمكننى من نقـــد العمـــل وتقديمـــه .
المخرج : أطالب بالحرية الكاملة للتفسير .
المؤلف : ماذا يبقى لى انا ؟
الممثل : أن تحقق لنا مطالبنا الفنية العادلة فى صيغة ناجحة تستحوذ على اعجاب الجمهور .
المؤلف : انكم بحاجة الى سكرتير لا الى مؤلف .
الممثلة : بل نريد تفاهما وتعاونا .

(المؤلف يغادر موقفه متمشيا حتى منتصف الحجرة وهو مقطب ثم يعود الى موقفه مستندا الى مقدم المكتب)

المؤلف : انى احب الصراحة ، والحق اقول لكم انه لا وجود لكم قبل ان توجد الفكرة التى تنجزونها .

الممثل : (فى حدة) بل نحن موجودون قبل اى فكرة .

المؤلف : اذا لم توجد القصة فأنتم مجرد اشخاص لا معنى فنى لهم .

الناقد : الا يؤثر فى حيالك وانت تؤلف اشخاص الممثلين مثلا ؟

المؤلف : كلا ، انى استغرق فى عملية الخلق فحسب ، ثم يختار العمل بعد ذلك ممثليه ومخرجه !

الناقد : هذا فرض مثالى ، ولكن الواقع ان المؤلف انما يتعامل مع زمان ومكان وجمهور وممثلين وممثلات ومخرجين ونقاد ايضا !

المؤلف : (ضاحكا فى سخرية) يا لها من أفكار غريبة عن عملية الخلق !

الناقد : لا يمكن أن تترك لخيالك العنان ما دمت مرتبطا بمسرح ما وجمهور ما وامكانيات فنية محدودة .

المؤلف : أو فى كلمة واحدة هى فبركة بلا زيادة !

الناقد : انها محاولة صادقة للتوفيق بين خيالك الخلاق والضرورات بفبركة لا محيص عنها لتقول فى النهاية ما تريد قوله وما يتطلبه الزمان والمكان وما يود الناس أن تقوله !

المؤلف : (بلهجة مزدرية) أصدق وصف للفن التجارى .

الناقد : الفن معاملة ، والمعاملة نوع من التجارة ، والنجاح وجه من وجوه المعاملة .

المؤلف : هذا يعنى أنكم المؤلف لا أنا .

الناقد : التأليف نشاط جماعى وان بدا فرديا .

الممثل : لذلك اطالب ببطولة تقليدية وهو طلب عادل .

الممثلة : واطالب بالحب وهو مطلب طبيعى .

المخرج : وأطالب بالحرية ليتم لعملك الكمال المنشود .

المؤلف : (غاضبا) تمرد سخيف مضحك ، ولولا لما كنتم شيئا مذكورا .

الناقد (بلطف) ولولانا ما كنت مؤلفا على الاطلاق .

المؤلف : استطيع ان أكتب مسرحية لنفسى !

الناقد : محض كلام ، كيف يثبت أنها مسرحية اذا لم يقيض لها مخرج وممثلون وجمهور وناقد ؟ !

المؤلف : (غاضبا) ان مهنتى الخلق لا الجدل ، الجدل مهنة العاجزين عن الخلق .

الممثلة : انى اكره الجدل وأخاف عواقبه ، وسوف ينتهى بنا الى خصام مرير بدلا من عرض مسرحى رائع .

الممثل : ولكن لا خير فى مصالحة تجىء على حسابنا .

المؤلف : من الضرورى أن أكتب مسرحيتى بلا قيد أو شرط .

الناقد : لا يجوز أن تهمل الاعتبارات التى عددتها .

المؤلف : انى ملزم باحترام الخلق الفنى وحده .

الممثل : والبطولة ؟

الممثلة : والحب ؟

المخرج : بعض الهدوء ، انه لم يحدثنا بعد عن قصته !

(الصمت)

المخرج : أستاذنا العزيز ، حدثنا عن قصتك .

المؤلف : انها مجرد مشروع وخطوط عامة .

المخرج : ليكن .

المؤلف : انها قصة رجل وامرأة .

الممثل : ثمة مجال لبطولة .

الممثلة : ومجال ارجح للحب .

المؤلف : يلتقيان فى غابة ؟

الناقد : غابة ؟



المؤلف : يلتقيان فى غابة .
الناقد : ولم غابة ؟
المؤلف : (محتدا) أنا حر .
المخرج : أنا الحر .
الناقد : أخشى أن ترجع بنا الى عهد الرومانسية البائد ؟
الممثلة : هو مكان طريف على أى حال ، والعرى فيه لا يمكن أن يتهم بالافتعال .
الناقد : اللقاء اليوم يتم فى الشارع ، فى البص ، فى ملهى ليـلى .
المخرج : ربما أراد من الغابة أن تهىء له جوا موحشا حافلا بأخطار الانسان والحيوان .
الناقد : المدينة أحفل بكل ذلك من أى غابة .
المؤلف : (ضاربا الأرض بقدمه) يلتقيان فى غابة .
الممثلة : بعض الحلم حتى يتم صورته .
المؤلف : فى الغابة أخطار لا حصر لها فهما يبحثان عن مأوى يحميهمـا .
الممثل : ليس فى ذلك شىء من البطولة .
الممثلة : ولكنه مجال طيب للحب .
الممثل : لا حب بلا بطولة .
الممثلة : الحب فى ذاته بطولة .
الممثل : ليست هى ما أبحث عنه .
المخرج : انه يريد أن يقاتل ، يقاتل الوحوش ، يقاتل المجهول .
الممثل : أحسـنت .
المخرج : ومن ثم يوجد الصراع وهو أساس الدراما .
الممثل : أما مجرد البحث عن مأوى !
الممثلة : لعله يكتب قصة حب ؟
الممثل : الحب لا يكفى وحده موضوعا لمسرحية .

المخرج : وأى مجال يترك لحريتى فى مسرحية بحث عن ماوى ؟

المؤلف : أنا لا أعترف بحريتك المزعومة .

المخرج : أنا أفسر فأنا حر .

المؤلف : هل تستطيع بحريتك أن تغير النهاية ؟

المخرج : صدقنى فان حرية المخرج هى زينة العرض المسرحى .

المؤلف : هل تستطيع أن تغير النهاية ؟

المخرج : لم تحدثنا عن النهاية .

المؤلف : يجدان ماوى على درجة من الأمان .

الممثلة : أراهن أن الحب سيبدأ دوره الخالد .

المؤلف : يحصنانه ضد أهوال لا حصر لها ولا عد .

الممثلة : أكمل .. انى منتظرة ..

المؤلف : يمضيان أوقات الراحة فى عناق حار .

الممثلة : (تقف من الانفعال وتنتقل الى جنب المؤلف) الم أقل لكم ؟ ..

المؤلف : وفى لحظة من لحظات العناق الحار يسقطان جثتين هامدتين !

(صمت)

(يتبادلان النظرات . تمضى الممثلة الى المكتبة على اليسار وتستند اليها مغمضة العينين)

الناقد : جثتين هامدتين ؟ !

المؤلف : نعم .

الناقد : وهى النهاية ؟

المؤلف : ماذا تتوقع بعد ذلك ؟

الناقد : ولكن ما أسباب الموت ؟

المؤلف : أى سبب تفترضه ، لنقل انه العناق نفسه !

الممثلة : (متقدمة خطوات) الحق انى لم أفهم شيئا .

المخرج : وماذا عن الأخطار المحدقة بهما ؟
المؤلف : لم أتم دراستى لها بعد ، ولكن يمكن القول بأنهما قد ينجحان فى تحصين مأواهما .
الناقد : ستكون نهاية متشائمة .
الممثل : وبلا بطولة تخفف من وقعها .
الممثلة : دور الحب غنى ، ولكن النهاية .. ؟
المخرج : من حسن الحظ أنه لم ينته من دراسته ، وأنه لا بد أن تسبق النهاية سلسلة من صراعات شائقة ..
المؤلف : (متهكما) ربما تكون حرا فى كيفية الوصول الى النهاية التى أختارها ولكن لا حرية لك فى تغييرها .
المخرج : (فى شبه ثورة) يمكن أن أسدل الستار عند لحظة من لحظات النصر .
المؤلف : فى تلك الحال لن يزعم أحد بأن الرواية روايتى .
الممثل : (وهو يهب واقفا) أنا البطل ، أنا الجمهور ، وانى أرفض الأدوار الهابطة !
المؤلف : قدر للسانك قبل النطق موضعه من اللباقة .
الممثل : انى ممثل قديم ، لعبت أدوارا خالدة ، صارعت القدر ، صارعت الأبطال ، صارعت المجتمع ، اليوم يراد منى أن ألعب دور الهارب ، وأن أموت مستهلكا فى عناق حار ، خبرنى بالله أى نوع من الدراما تكون ، تراچيديا ؟ ملهاة ؟
الناقد : اجل .. النوع المسرحى غير واضح .
المؤلف : انا اقدم مسرحيات لا أسماء .
الناقد : ولكنها تنكبت سبيل الجلال الحق .
المؤلف : الجلال الحق ، ما زلتم تحنون الى القدر والأبطال الخرافيين وأسطورة المجتمع ، ولكن القدر لم يعد الا موضة بالية ، والبطولة الخرافية مراهقة ، وهل يتمخض المجتمع الا عن لعبة يعبث بها اطفال

شريرون لن تحسن تربيتهم ؟ ! ، انى أعرف عملى تماما .

المثل : انى أرفض مسرحيتك .

المثلة : لكنها ما زلت قصة حب .

المثل : انك مخطئة يا عزيزتى ، تصورى أن نلتقى فى غابة وأن نلوذ بمـأوى ! ، لا مجـال للمناجاة او الحب الحقيقى ، ستكون أعصابنا متوترة طوال الوقت ، الحب لا ينمو فى هذا الجو ، مجرد عناق عصبى ، يروح عن نفسه بالشهوة ، ثم نقع جثتين ، ستكونين طيلة الوقت محدقة فى فزع ، مرتعشة الأطراف ، مضطربة الأمعاء ، دميمة الوجه ، مجرد لبؤة ثائرة ثم جثة هامدة .

المثلة : كلا .. كلا ..

المثل : وان يبقى لنـا من الحوار الا كلمات متشـنجة ، واستغاثات معربدة ، وهذيان طويل عن الأخطـار المحدقة بنا ، ثم نقع جثتين هامدتين !

المؤلف : (محتدا) لست الا ممثلا فلا تجاوز حدك .

المثل : (فى غضب وعجرفة) انا المسرح .. انا الجمهور..

المؤلف : لست الا ممثلا .

المثل : (وغضبه فى تصاعد) وما انت ؟ ! .. كم من الجمهور رآوك ؟.. وكم ممن يرونك يعرفون من انت !

المؤلف : يا لها من وقاحة !

(الممثل يرمى المؤلف بنظرة متوعدة . الممثلة تقترب منه بسرعة فتضع يدها على ذراعه ملاطفة)

المثلة : لا يليق بكما الخصام .

الناقد : ترى هل تحل بمسرحنا اللعنة ؟ !

المؤلف : ليلتزم كل بحدوده .

المخرج : الحلم والهدوء ، لا تدفعونى الى اليأس .

المثلة : علينا بالتماسك والا فشلنا وأعرض عنا الجمهور .
الممثل : ان من يسلبني مجدي انما يسلبني كرامتي وحياتي.
المؤلف : لكل زمان مجده الخاص به .
الممثل : العبث ببطولتي التي عشقها الجمهور محاولة لقتلي.
المؤلف : مجدك الحق أن تلعب دورك بمهارة أيا كان دورك .
الممثل : ولو كان الهرب والموت بين احضان امرأة ؟
المؤلف : ولو كان .
الممثل : سينصرف عنكم الجمهور ولن ينفع الندم .
المؤلف : الجمهور يود أن يرى نفسه .
الممثل : لا كما هي ولكن كما يجب أن تكون .
المؤلف : على أساس من واقعها الحقيقي .
الممثل : أهذه هي الكلمة الأخيرة في البطولة ؟
المؤلف : لا يمكن التنبؤ بالمسرحية التالية .
الممثل : اذا تجهمني زماني فعلي أن أعتزل .
المؤلف : (متهكما) ها انت تفكر في الهروب في حياتك رغم ثورتك عليه فوق خشبة المسرح .
الممثل : انى أرفض مسرحيتك .
الناقد : (للمؤلف) فكرتها طيبة ولكن أعد النظر في النهاية.
المؤلف : (بكبرياء) كلام لا يليق أن يوجه الى مؤلف .
الناقد : هل نسيت تاريخك القديم ؟.. هل نسيت روائعك؟
المؤلف : آخر مسرحية هي خير مسرحياتي دائما .
الممثل : حتى هذه المسرحية الشاذة ؟
المؤلف : ستكون خير ما ألفت حتى اليوم .
الممثل : (صائحا في غضب وموجها كلامه للجميع) انه يضمحل وهو لا يدرى .
المؤلف : (في غضب) لست أهلا لمناقشتي .
(الممثل يرميه بنظرة غاضبة متوعدة مرة أخرى

ولكن الممثلة تأخذه من ذراعه الى مجلسها السابق فوق الكنبة)

(صمت)

المؤلف : (محادثا نفسه) تعب وعذاب وها هى النهاية ، من يدرى بمتاعب الخلق الا من يعانيه ؟، ثم لا يكفيه ذلك فتتمرد عليه مخلوقاته ، وأى تمرد !، تعيب خلقه ، تعيبه بكل جهل وقحة ، وتذكره بعمله القديم كأنه عاجز عن تكرار نفسه ، تتهمه بالكسل وهى الخامة العاجزة عن تفهم الجديد ، وتبين مزاياه ، هل يكمل الخلق اذا جاء على هوى المخلوق ؟، وقد تدرجت معهم من البسيط الى المعقد وها هم ينعتون البسيط بالجلال والمعقد بالتفاهة ، عقول قاصرة فكيف يمكن أن يتموا الرحلة الطويلة معى ؟!

الممثل : (مخاطبا نفسه أيضا تجنبا للخصام) الخلق شيء عظيم أما الغرور فلا عظمة له ، لسنا مخلوقات ولكننا شركاء ، هو يعرف ذلك وان انكره حين الغضب ، المسرحية لا تحيا وحدها ، يلزمها مخرج وممثلون ونقاد وجمهور ، ما قيمة النص بغير هؤلاء ؟، هل تبقى الرواية هى هى اذا تغير المثلون ؟، هل تبقى هى هى اذا تغير المخرج ؟ الحق اننا خالقون أيضا ، وهو مخلوق لنا بمعنى من المعانى ، وجميعنا معذبون بالخلق ، والجزاء ليس عادلا ، اننا نعيش فترة ثم نختفى كالفقاعات ، أما كلماته فتبقى على مدى الأيام ..

(صمت)

الناقد : نريد أن نصفى الجو ، وبالاحترام المتبادل نصفيه لا بالتفاخر .

الممثل : (آتيا بحركة تدل على الحسرة) انى ابكى الأيام

السعيدة الماضية ، اخاف الا تعود مرة أخرى ، كنت اخطر على خشبة المسرح رمزا للإنسان فى ذروة نبله ونضاله ، وعلى المسرح كانت تتواجه قوى الخير والشر وبينهما تقوم الارادة الحرة المتوثبة ، والخير لم يكن ينهزم وان حاقت به هزيمة والشر لا ينتصر وان أحرز نصرا ، ذلك أن خشبة المسرح لم تكن تخلو من اله عادل .

المثلة : (تتأثر فتقوم لتمشى وهى تتكلم) أجل ، المرأة كانت وحيا ، الحب كان دينا ، النور يهزم جيوش الظلام بنصله اللامع ، الأمومة مقدسة ، الوفاء مقدس . الرذيلة شيطان ، لا شيء لهو ولعب .

الممثل : أين الآلهة ؟ ، أين البطولة ؟ ، أين الحب ؟ ، أين الأمل ؟، لم تبق الا غابة مليئة بالوحوش ، وآدميان هاربان لائذان بكهف ، لم يبق الا الخوف والتوجس والهستريا والموت ، أى دور هذا ؟!

(الممثل يقف منفعلا ثم يهتف بصوت مرتفع)

الممثل : انى ارفض مسرحيتك .

المؤلف : لا تتخط حدودك .

الممثل : لم اتخط حدودى .

المؤلف : لا تحلم كالمراهقين .

الممثل : لا تتخط حدود اللياقة .

(صمت)

المؤلف : هذا هو مشروع روايتى الجديدة ، وانى مقتنع به .

الممثل : انى ارفضها .

المثلة : (بصوت منخفض) على العين والراس ولكن ..

المخرج : عملى يبدأ بعد انتهاء عملك .

الناقد : لا ادرى هل يبكى المشاهد أو يضحك ؟

المؤلف : لم يكن أحد يجادلنى فيما مضى .

المثل : كان العمل رائعا .

المؤلف : المؤلف الحق يطالب بالطاعة والاعجاب .

المثل : (متهكما) الطاعة والاعجاب ؟!

المؤلف : (منفعلا بالغضب) والا هدمت المسرح على من فيه .

المثل : انى اشهدكم على ما يقول .

المؤلف : من حقى ان أقول ما أعتقده .

المثل : تحت شرط الا تمس كرامة الآخرين .

المؤلف : لقـد خلقت منكم نجوما وكواكب ولن يعجزنى أن أخلق غيركم .

المثل : الحق اننا نحن الذين خلقناك .

المؤلف : لو تخليت عنك لتسولت حتى الموت .

المثل : لولاى لمـا نجحت لك رواية واحـدة ولبثت مؤلفا ناشئا !

(الممثل يتقدم الى الممثلة فيأخذ بيدها متجها فى تحد الى المؤلف)

المثل : هـل نسيت فضل هـذه الفنانة ؟، أو حسبت أن الجمهور يتدفق علينا من أجلك ؟!

المخرج : (للمؤلف ممتعضـا) وانا يا أسـتاذ ؟، هل نسيت عروضى الرائعة ؟

الناقد : (للمؤلف أيضا) سامحك الله ، وقلمى الذى كرسته للإشـادة بعبقريتك ؟، ان النـاس لا تثنى عليـك الا بكلماتى ..

المثل : (غاضبا) نحن الذين خلقناك .

المؤلف : سأعهد بعملى الى آخرين ، اغربوا عن وجهى .

الناقد : لكل مسرح رجاله ، ونحن رجال هذا المسرح .

المؤلف : اذن لن تقدم به مسرحيات بعد اليوم .

المخرج : سيغلقه الظلام ويدركه العدم .

المؤلف : لن اتضور جوعا ، انى رجل لم تغره الحياة الدنيا مثلكم ، ولكنكم ستتسولون فى مجرى عام .
الممثل : ولكنك لن تخلق ، وهو العن من التسول .
المؤلف : حسن ، فليمض كل الى سبيله .
(صمت)
الناقد : لقد حلت اللعنة بمسرحنا .
الممثلة : قلبى يتمزق .
المؤلف : أنتم المسئولون عن ذلك .
الممثل : انت وحدك المسئول .
المخرج : مسرح عريق فى القدم والنجاح .
الممثلة : يئس من اللحاق به الأعداء .
المؤلف : وبطرت نعمته أصحابه .
الناقد : لا أصدق ، لن يهون أمره على احد منا (ثم موجها الخطاب للمؤلف) وانت على وجه الخصوص ، ليست أول مرة يعصف بك الغضب . .
المؤلف : (مشيرا الى الممثل) جاوز حدود اللياقة باستهانة لا تغتفر .
الناقد : ما تزال قابلة للغفران .
المخرج : لن يدرك مسرحنا العدم ولو اضطررنا الى اعادة تقديم الروايات القديمة .
المؤلف : هذا هو الافلاس ، ولن يخفى على احد .
(صمت)
الناقد : لنكن ايجابيين فى حوارنا ، أصغوا الى ، يمكن استخلاص عنصر صراع بطولى من مجرى الرواية .
الممثلة : (بلهفة) كيف ؟
الناقد : الرواية ما زالت مشروعا ، وقد قال الأستاذ ان الرجل والمراة سيلوذان بكهف ، أليس كذلك ؟
الممثلة : بلى .

الناقد : انه كهف كبير ، لاذ به كثيرون ..

(ينظرون الى المؤلف مستطلعين فلا يعترض)

الناقد : لدينا كهف وسط غابة مليئة بالوحوش والأخطار المجهولة ، وهو فى الوقت نفسه مكتظ بالناس ، ثمة فرصة لقيام صراع ما بين بطلنا وبين احد أو اكثر من الآخرين ..

المثل : صراع سخيف !، غير بطولى ، اذا كانت الأخطار تحدق بالكهف من كل جانب ، فكيف يجوز ان يقوم صراع بينهم ؟!

المثلة : وكيف يطيب الحب فى مثل ذلك الجو ؟ !

الناقد : قد يكون صراعا غير منطقى ولكنه ممكن اذا قيس بمقاييس الطبيعة البشرية ، ويخاصة اذا توفرت أسبابه ..

المثلة : أسبابه ؟

الناقد : المراة ، عدم وفرة الماء والغذاء ..

المثل : الصراع الحق هو ما قام بين البطل والوحوش ، أو بينه وبين المجهول .

(ينظرون جميعا الى المؤلف مستطلعين)

المؤلف : (بفتور) ثمة مجال لصراع فى الداخل وآخر فى الخارج .

الناقد : يسعدنى أن نعود الى المناقشة ..

المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .

الناقد : المناقشة تفتح الأبواب .

المؤلف : ولكنها تفسح المجال للرغبات الشخصية التى لا تمت الى الفن بصلة .

المثل : رغباتى فنية وليست شخصية .

المثلة : (فى رقة متناهية) النهاية مهمة جدا .

المؤلف : المؤلف يكتب مسرحيات متتابعة ، لكل مسرحية

شخصيتها المستقلة ، ولكنها فى مجموعها مسرحية كبرى ذات نهايات متكاملة .

المثل : ما يهمنا الآن هى مسرحية الافتتاح .

المؤلف : لم افرغ من عملى بعد .

الممثلة : ليكن صراع من أى نوع كان ولكن يجب أن ينتهى بانتصار الحب .

المخرج : كيف يمكن استخلاص ايقاع غرامى من ضجيج الغابة الموحشة ؟ !

الممثلة : (بحدة) اذن الأفضل الا يكون للمرأة دور !

الممثل : ما اجمل أن ينتهى الصراع فى الداخل الى القضاء على أسبابه ، ومن ثم يتجهون جميعا نحو الخارج ..

الناقد : وماذا يقع فى الخارج ؟

الممثل : صراع جديد فنصر جديد .

الممثلة : وحب طيلة الوقت !

الناقد : حلم جميل ولكن الجمهور لم يعد يستسلم للأحلام طويلا ..

المخرج : ثمة مشروع مضاد وهو أن يقضى الصراع على اللائذين بالكهف ثم تقتحمه الوحوش فتلتهم الأحياء والجثث .

الناقد : كئيب أكثر مما تحتمله الأعصاب ..

المخرج : لم يبق الا أن يستمر الصراع بالداخل والتهديد فى الخارج !

الناقد : نهاية مفتوحة تدعو للبلبلة ..

الممثلة : (محتجة) تتكلمون عن الصراع ولا تذكرون الحب بكلمة .

المخرج : ايا كان الحال فسوف تتخلله لحظات حب وغناء ورقص ..

الناقد : ولكن هل يتفق ذلك مع مرارة الصراع ؟

المخرج : هكذا تمضى الحياة ، وبذلك نرضى جميع الأذواق .

(ينظرون الى المؤلف مستطلعين)

المؤلف : لم افرغ من عملى بعد .

الناقد : ما رأيك فى الاقتراحات التى عرضت ؟

المؤلف : لا رأى لى الآن .

الناقد : ولكننا استعرضنا كافة الاقتراحات المحتملة .

المؤلف : لا حصر للاحتمالات الممكنة .

الممثل : عدنا على الأقل بصراع بطولى من اى نوع كان ؟

الممثلة : وبحب يستحق هذا الاسم ؟

المؤلف : لا أعد بشىء .

الممثل : ولكنك حر وبوسعك أن تعد وأن تفى بما تعد .

المؤلف : لا تتحدث عنى بخير أو شر .

الناقد : حذار أن يعاودنا الخصام .

المخرج : نحن فى حاجة الى استراحة قصيرة ، بنا الى البوفيه لنتناول بعض المرطبات .

(يذهب الناقد والمخرج والممثل . الممثلة تقف ولكنها لا تبرح مكانها . المؤلف يغادر موقفه عند المكتب ليتمشى ذهابا وجيئة . ثم يعود الى موقفه مستندا الى مكتبه ، والممثلة تتابعه بعينيها طوال الوقت)

المؤلف : (كانما يسال نفسه) هل حقا حلت اللعنة بمسرحنا ؟

الممثلة : لن تحل به الا اذا قررت أنت ذلك .

المؤلف : ولكنه بمعنى ما مسرحى ، انه جزء من نفسى لا يتجزأ .

الممثلة ونحن عناصره التى لا يقوم الا بها .

المؤلف : عمل واحد وهدف واحد .

الممثلة : بالحق نطقت .

المؤلف : فيم الخلاف اذن ؟

المثلة : لا خلاف حقيقى ولكنه الخوف ، لقد أفسدت المنافسة المريرة اعصابنا .

المؤلف : بالتالى ضقت بهم ذرعا .

الممثلة : ليتسع لهم صدرك .

(صمت)

الممثلة : هل يضايقك وجودى ؟

المؤلف : بل يسعدنى .

المثلة : (فى شيء من التردد) أود ان أخلو اليك بعض الوقت .

المؤلف : بكل سرور ، فرصة طيبة حـ .

المثلة : لا قيمة لأكلشيهات المجاملة لمن يتطلع للعاطفة الحقيقية !

(ينظر اليها فى تساؤل ودهشة)

المثلة : لم الآن ؟ ، لم أختار هذه اللحظة لأفضى اليك بأسرار قديمة ؟ ، ربما لأننى شعرت لأول مرة بأنك تهددنا حقا بالفراق الأبدى ..

المؤلف : اعترف بأننى ضقت بالعناد والمكابرة .

الممثلة : عدنى بألا تقرر الفراق مهما يكن من عنادهم ومكابرتهم .

المؤلف : كيف يمكن ان اعد بذلك ؟

الممثلة : عدنى بلا قيد أو شرط ؟

المؤلف : بلا قيد أو شرط ؟

الممثلة : بلا قيد أو شرط .

المؤلف : انى أشكر لك عواطفك ولكنه طلب غير عادل .

الممثلة : لأنه مسرحك ، لأنه مسرحنا ، لأننا اسرتك ، ولأننى ..

المؤلف : ولأنك ؟

المثلة : ولاننى .. ولاننى .. ولاننى لولاك ما عرفت طريقى الى المسرح .
المؤلف : حقا ؟ !
المثلة : نعم .
المؤلف : لم تحدثينى عن ذلك من قبل .
المثلة : لم احدثك عن نفسى قط .
(صمت يتبادلان نظرات صامتة)
المثلة : الا تذكر أيام زمان ؟
المؤلف : بلى ، حينما كنت طفلة ..
المثلة : حينما كنت فتاة صغيرة لا طفلة ..
المؤلف : كنت المحك فى الطريق أحيانا .
المثلة : اكنت ترانى حقا ؟
المؤلف : من حى واحد كنا ، انى اذكر تلك الأيام .
المثلة : اعتقدت أنك لم ترنى قط .
المؤلف : فى الشرفة رأيتك وأمام باب البيت .
المثلة : وقلت لنفسى اما أنه اله أو أنه صخر .
المؤلف : صخر ؟ !
المثلة : ذلك أنك لم تعرف سهد الليالى ولا الوسائد المبللة بالدموع .
(يتبادلان نظرة طويلة ، هى تلقيها اليه بثبات ، وهو بدهشة)
المثلة : وصممت على ان أكبر نفسى لعلى الفت نظرك . انتعلت حذاء بكعب عال ، غيرت التسريحة ، ضيقت أعلى الفستان لأبرز صدرى ، ولكنك لم ترنى ..
المؤلف : (باسما) آسف جدا ، كنت صغيرة وكنت كبيرا .
المثلة : المسألة انك لم تحبنى ..
(صمت)
المثلة : ولحبك احببت المسرح ، احببت مسرحك ، غيرت مجرى حياتى رغم معارضة أهلى الشديدة ..

المؤلف : انى اغبط نفسى على الخدمة التى قدمتها للمسرح دون تخطيط .

الممثلة : ومضى حبى ينمو بلا حدود ، ولما تخرجت ى المعهد اتصلت بك تليفونيا ، طالبة ناشئة تعرض نفسها على المؤلف الكبير ..

المؤلف : متى كان ذلك ؟ ، انى لا اذكره ..

الممثلة : طبعا فهو حديث يتكرر يوميا عشرات المرات .

المؤلف : اكرر الأسف .

الممثلة : وسد سكرتيرك الطريق فى وجهى . ومن ناحية اخرى لم تكن تبرح ضاحيتك اغلب الوقت ، ولا تزور المسرح الا فى اوقات نادرة وفى ظروف مجهولة لى ، وهكذا وجدت بابك مغلقا بعد طريق طويل شققته بالجهاد والعناء والصبر .

المؤلف : حكاية مؤسفة حقا .

الممثلة : ما مضى قد مضى .

المؤلف : ولكنك عرفت بالاصرار طريقك الى مسرحنا .

الممثلة : سلمت بتوجيه السكرتير فذهبت الى المخرج .

المؤلف : وسيلة ناجحة فيما يبدو .

الممثلة : قابلته واقترحت عليه أن يختبرنى فى مكتبه ولكنه..

المؤلف : ولكنه لا

الممثلة : :اعتذر بضيق الوقت وكثرة الأعمال ثم دعانى الى مسكنه الخلوى !

(المؤلف يبتسم . الممثلة تقطب)

الممثلة : غادرته متحدية ، وغالبت ترددى حيالك حتى غلبته ، فكتبت لك رسالة مطولة اعترفت لك فيها بحبى الذى اسرنى منذ صباى .

(صمت)

الممثلة : لا تتذكر شيئا ؟

المؤلف : الحق ..

الممثلة : (مقاطعة) الحق انك تتلقى مئات الرسائل مثلها !

المؤلف : لم تكن لى ثقة كبيرة فى الرسائل .

الممثلة : ذهبت الى المسكن الخلوى .

(صمت)

الممثلة : كثيرا ما يدفع الحب الخائب الى المساكن الخاوية .

المؤلف : الحياة سلسلة من التجارب المتناقضة .

الممثلة : هكذا انضممت الى مسرحك .

المؤلف : مهما يكن من أمر فقد كسب بك نجمة لامعة .

الممثلة : وعندما قدمت لك لأول مرة وضح لى أنك لا تتذكرنى .

المؤلف : ولكن سرعان ما تذكرتك .

الممثلة : وثبت لدى أن حبك سراب مستحيل فلذت بصمت الكبرياء .

(صمت)

الممثلة : ودفعنى حبك المستحيل من بيت خلوى الى بيت خلوى .

المؤلف : الحق انك اشتهرت فى الوسط بكثرة العشق !

الممثلة : على حين انى لم أعرف من الحب الا حبك !

المؤلف : فنانة كبيرة وقلب كبير .

الممثلة : تصورنى الرسوم الكاريكاتورية امراة شهوانية بينما اننى أعاف فى أعماقى الشهوة والفساد .

المؤلف : انى أصدقك .

الممثلة : ولكننى أعبر من خلال علاقاتى العابرة بالآخرين عن تشوقى الخالد اليك .

المؤلف : انى أحترم عاطفتك وافهم سلوكك .

الممثلة : ولكنك لا تحبنى ؟

المؤلف : احبك بقدر ما يستطيع شخص فى سنى أن يحب امراة فى سنك .

الممثلة : انك من الذين يتعذر تقدير اعمارهم حتى قيل عنك انك فى سياحاتك الموسمية حول العالم تجدد شبابك وتنفق فى ذلك من سعة ؟

(المؤلف يغرق فى الضحك وهى لا تحول عنه عينيها)

المؤلف : هل تؤمنين بالاساطير ؟

الممثلة : نعم .

المؤلف : أعترف ان حبك سيجدد شبابى .

الممثلة : انك تتكلم من بعيد ، ولا ألومك فلا حق لى عليك ، ولكن لم لم تتزوج ؟

المؤلف : لم يكن الزواج من أهدافى أبدا .

الممثلة : عدو للمراة ؟ !

المؤلف : لعلى لم أتزوج لشدة حبى للمراة .

الممثلة : لا خبرة لى بالمغالطات اللفظية .

المؤلف : أعترف بأننى شيء غير مهضوم من وجهة نظر الطبيعة البشرية .

الممثلة : على أى حال ما مضى قد مضى ، وما يهمنى الآن هو الا تفكر فى هجر مسرحنا .

(صمت)

الممثلة : طالما أنت على راسه فانى اشعر بأنى أعمل فى بيتى وبأن حياتى رغم تمزقها وضياعها لم تفقد كل معنى لها ، وبأنى اذا كنت أخفقت فى أن اكون خليلتك أو زوجك فانى على الأقل نجمة مسرحياتك .

المؤلف : النجمة التى ساقت الى الملايين .

الممثلة : ولا تنس أن الحب هو الدور الذى خلدنى .

المؤلف : وشارك فى تخليد اعمالى .
الممثلة : واننى اشعر وانا اقوم به باننى امارس حبك الكبير الذى استحال على خارج المسرح .
المؤلف : انى مدين لك بالكثير .
الممثلة : عدنى اذن الا تهجرنا مهما يكن من امر .

(صمت)

الممثلة : الا تريد أن تعدنى ؟

المؤلف : بدا التفاهم اليوم مستحيلا .

الممثلة : انهم يحبونك ايضا ، صدقنى انهم يحبونك ايضا ، المسألة انهم خائفون ، المنافسة مرة ومزلزلة للأعصاب ، وهم من طول ما مارسوا البغضاء فى نزاعهم مع المسارح المحيطة بنا انطبعت البغضاء فى اساريرهم وسلوكهم ونوازعهم ، كأنما قد فقدوا القدرة على الحب ، الفوا التحدى والوقاحة والتهور ، تصوروا فى غضبهم انه يمكن أن يوجد هذا المسرح بدونك ، محض خيال مريض ، تخيلوه بأخيلة هزيلة مريضة ، ولو ضننت عليهم بوجودك لتقوضت الجدران فوق رءوسهم ، وتلاشت فرص الندم .

المؤلف : لا أوافق على أن أكرر نفسى بحال .

الممثلة : سيدى .. هل حقا لم يبق للفن الا غابة وكهف ورجل وامراة يموتان فى حومة هذيان ؟
المؤلف : اننى أعرف ما أصنع .
الممثلة : ولكننا لم نعرفه بعد .
المؤلف : علينا أن نواجه الحقائق ، هذه مواجهة وليست هروبا .

المتلة : هبنى قدرا من الحب ليستقيم دورى ، ووفــر له نصيبا من البطولة !

المؤلف : ممثل متعجرف ! .. اهو آخر عشاقك ؟

الممثلة : نعم .

المؤلف : أيعاملك ببطولة ؟

الممثلة : (ضاحكة فى امتعاض) معاملته لى تتم وراء جدران لا أمام الجمهور .

المؤلف : انه برمجى نساء كما هو معروف .

الممثلة : ربمـا .

المؤلف : لماذا ارتضيته عاشقا ؟

الممثلة : ليس أسوأ من غيره .

المؤلف : انه لا يمارس البطولة الا فوق خشبة المسرح .

الممثلة : والحب الحقيقى أين يمارس الا فوق خشبة مسرحك؟

المؤلف : انهم يكرهون مشروعى الجديد لأنه يعكس بصدق خبايا نفوسهم .

الممثلة : كنت رقيقا بهم فى الزمان الأول .

المؤلف : كانت دنيا أخرى ، وكانوا ناشئين مبتدئين .

الممثلة : أولهم بعض الاحترام الذى نعموا به قديما .

المؤلف : أعترف لك بأننى أعاملهم دائما باحترام .

الممثلة : حقــا ؟

المؤلف : وروايتى الجديدة اكبر دليل على ذلك !

الممثلة : لا افهمك يا حبيبى .

المؤلف : عليك أن تفهمينى يا حبيبتى .

الممثلة : ما أحلى هذا الحديث ، نتحدث كما لو كنا حبيبين حقــا .

المؤلف : نحن كذلك .

الممثلة : حقــا ؟

المؤلف : كل بطريقته .

الممثلة : ليس للحب الا طريقة واحدة .

المؤلف : بل له طرق كثيرة .

الممثلة : وما طريقتك فى الحب ؟

المؤلف : العمـــل .

(تقترب منه خطوة ، تمعن فيه النظر)

الممثلة : ألم تحب بطريقتى البسيطة ؟

المؤلف : ربـــما ، ولكن بعيدا عن الوسط الفنى .

الممثلة : (متنهدة) تصور أننى لم ادخل الوسط الفنى الا سعيا وراء حبك .

(صمت)

الممثلة : والآن هل تعدنى ؟

المؤلف : أرجو أن تسير الأمور سيرا حسنا .

الممثلة : شـــكرا .

المؤلف : عفوا .

الممثلة : (بعد تردد) أود أن اقبلك ولو قبلة واحدة .

(الممثلة تقترب منه . يتعانقان متبادلين قبلة طويلة . فى ذات اللحظة يدخل الممثل وفى اعقـــابه المخرج والنـــاقد . المؤلف والممثلة يفترقان فى كثير من الارتباك . الممثل يذهل لحظة . ثم يحاول الهجوم على المؤلف ولكن المخرج والنـــاقد يحولان دون ذلك)

الممثل : (صائحا) داعرة محترفة وعجوز منحـــل .. ساحطم راســـك ..

الممثلة : اخرس .. لا تتكلم بغير فهم .

الناقد : ما رأيناه لا يجوز أن نسىء فهمه ، ما هو الا عناق ابوى !

المثل : ابوى !! .. انت لا تعرف شيئا عن تدهور الشيوخ!
المؤلف : تأدب ..
المثل : سأحطم راسك ، لن تفلت من قبضتى ..
المثلة : اخرس ، قلت لك الا تتكلم بغير فهم .
المثل : انى خير من يفهمك يا خنزيرة !
المثلة : ما انت الا حيوان غبى .
المثل : لا زلت بغيا تنتقلين من فراش الى فراش .
المثلة : تأدب والا أسكتك بالحذاء .
المثل : ولكنك تنتقلين هذه المرة الى نعش ..
المثلة : (للآخرين) أسكتوا هذا الحيوان الأعمى .
الناقد : (ضاربا جبينه بيده) لقد حلت بمسرحنا اللعنة .
المثلة : (بصوت مرتفع) لن تحل بمسرحنا اللعنة .
المخرج : سوء فهم واضح ، واضح البراءة .
الناقد : (مخاطبا المؤلف) بوسعك أن تحسم سوء الظن بكلمة .

(المؤلف يلزم الصمت فى كبرياء)

المخرج : (للمثلة) لديك بلا شك ما تدافعين به عن نفسك .
المثلة : انى ارفض ان اقف موقف الاتهام .
المثل : لقد رأيناهما متلبسين !
المخرج : يجب أن تخجل من نفسك .
الناقد : حتى ان سوء الظن امر مخجل .
المخرج : (للمؤلف) تكلم يا أستاذ (ثم للممثلة) تكلمى انت ، علينا ان ننتهى من سوء التفاهم ونصفيه بسرعة لنستأنف مناقشة المشروع الجديد .
المثل : (للمخرج) يا للغرابة ، انك تتكلم عن اعمق العلاقات البشرية كما لو كانت عبث أطفال ..
المخرج : (للممثل) لقد وجدتنى ذات يوم فى مثل موقفك ، وكنت حيال خيانة حقيقية لا مجرد سوء تفاهم برىء ،

وكان غريمى وقتذاك صديقنا الناقد ، كيف تصرفت ؟ ، كظمت غضبى وواصلت تدريباتى للمسرحية الجديدة .

الممثل : أنت جبان .

المخرج : أنت حيوان .

(الممثل يوجه لكمة لراس المخرج . المخرج يترنح واضعا يده على موضع الضربة .. يمضى الى الكنبة ويرتمى عليها . يسند راسه الى مسندها ويمد ساقيه فى اعياء .

الممثلة تثور وتلطم الممثل على خده فبعميه الغضب ويوجه لطمة الى رأسها فتقع الى جانب المخرج .

الناقد يسرع الى اجلاسها ، ويهجم على الممثل .

يتبادلان الضرب حتى يسقطا متتابعين . يقومان مترنحين ويلوذ كل منهما بمقعد حول الكنبة .

الأربعة جالسون متقاربين وفى حالة اعياء شديدة تقارب الاغماء . وطيلة الوقت لزم المؤلف موقفه وهو يراقب ما يحدث ببرود)

(صمت)

(يفتح الباب فيدخل السكرتير . يتجه نحو المؤلف دون أن يتنبه الى الآخرين)

السكرتير : مندوب مجلة ايزيس .

(يدخل مندوب المجلة . السكرتير يغادر الحجرة . المندوب يمضى الى المؤلف فيصافحه . يتحول الى الجالسين ولكنه يتوقف فى ذهول . يردد بصره بينهم وبين المؤلف . يتراجع الى قريب من المؤلف)

المندوب : آسف على مجيئى دون موعد سابق .

المؤلف : انها مفاجأة ولكنها سارة .

المندوب : (مشيرا الى الجالسين) ماذا حصل لهم ؟

المؤلف : فرغوا لتوهم من تدريبات الرواية الجديدة .
المندوب : حقا !.. مجرد تدريبات ؟!
المؤلف : مجرد تدريبات .
المندوب : انها رواية عنيفة فيما أرى ؟
المؤلف : لا تخلو من عنف .
المندوب : انى أرى آثار كدمات ، والمس اعياء واضحا على وجوههم ، كأنما هى رواية من روايات رعاة البقر !
المؤلف : لا تخلو من حيوانات .
المندوب : حتى فنانتنا الكبيرة تطرح رأسها فى شبه اغماء . انه لأمر غير معقول .
المؤلف : لا تخلو من جنون .
المندوب : ان عرض مسرحية بذلك العنف شهورا متواصلة يجب أن يعد معجزة !
المؤلف : وهى لا تخلو من معجزات .
المندوب : (مشيرا الى الممثلة) هل أصيبت وهى تدافع عن شرفها ؟
المؤلف : اصيبت وهى تدافع عن شرف البطل .
المندوب : ولكن المعتاد أن البطل يذود عن شرف الآخرين بالاضافة الى شرفه هو ؟
المؤلف : هى لا تخلو من طرافة وجدة !
المندوب : لعل المسرحية تميل الى التشاؤم ؟
المؤلف : لا تخلو من تشاؤم .
المندوب : ولكن موقف البطلة يدعو للتفاؤل فيما اعتقد ؟
المؤلف : لا يخلو من تفاؤل .
المندوب : كيف تجمع مسرحية بين التشاؤم والتفاؤل وهما نقيضان ؟
المؤلف : لا تخلو من تناقض .
المندوب : معذرة يا عميد المؤلفين الا يعتبر ذلك ضعفا ؟

المؤلف : لا تخلو من ضعف .

المندوب : ولم لم تبلغ بها الكمال المعهود منك ؟

المؤلف : الكمال للموت وحده .

(المندوب يضحك عاليا . ثم يعقب ذلك صمت)

المندوب : جميع المسارح تتساءل عن عرضكم القادم ، وقد بلغت المناقشة بينها ذروة المرارة ، المؤامرات تدبر فى الظلام ، المرتزقة يستأجرون لاحداث الشغب ، الا يمكن أن يسود السلام بين المسارح ؟

(صمت)

المندوب : كثيرون من العقلاء يعقدون عليك الآمال بوصفك عميد المؤلفين لتقوم بخطوة حاسمة فى هذا السبيل ؟

المؤلف : لا وقت عندى الا للعمل .

المندوب : هلا كرست لذلك يوم راحتك الأسبوعى ؟

المؤلف : يوم الراحة للراحة .

المندوب : انهم يحلمون بأن تجمع المسارح فى وحدة متعاونة يسودها السلام الذى يسود مسرحك !!

المؤلف : لن أجد فى سنى هذه من يمكنه التفاهم معى .

(المندوب يبتسم وهو يشد على ذراع المؤلف اعجابا وتقديرا)

المندوب : اعلم انك لا تحب الحديث عن رواية جديدة قبل عرضها ولكن لدى بعض أسئلة تقليدية يتابعها الجمهور عادة بشغف .

(المؤلف يهز رأسه بالموافقة صامتا)

المندوب : كم من الوقت استغرقت فى كتابتها ؟

المؤلف : (حاسرا كم الجاكتة عن معصمه اليسرى) انا لا أستعمل الساعات .

المندوب : مم استلهمت فكرتها العامة ؟

المؤلف : شرعت فى كتابتها عقب تفكير طويل فى المغص .

المندوب : (ضاحكا) هل يمكن ارجاعها الى تجربة شخصية مرت بك فى حياتك العامرة ؟

المؤلف : ربما أمكن ارجاعها الى علاقة قديمة قامت بينى وبين مطرب أخرس .

المندوب : مطرب اخرس ؟

المؤلف : نعم .

المندوب : وكيف امكنك معرفة تطريبه ؟

المؤلف : هذا ما ستجيب عنه المسرحة .

(المندوب يضحك عاليا . يصافح المؤلف . يذهب .
المؤلف يلقى نظرة على الجالسين . يسوى ربطة عنقه ومنديل جيب الصدر تأهبا للذهاب .
الممثلة تنظر نحوه . تقاوم ضعفها فتعتدل فى جلستها)

الممثلة : انتظر .

(تدلك راسها . تقوم بصعوبة . تمضى الى اقرب المقعدين المتقابلين امام المكتب لتعتمد عليه)

الممثلة : متى نجتمع لتقرأ علينا النص الجديد ؟

(صمت)

الممثلة : لا تهجرنا .

(صمت)

الممثلة : لقد وعدت بألا تهجرنا .

(صمت)

الممثلة : (مشيرة الى الجالسين) ما وقع بيننا ليس الأول من نوعه ولن يكون الأخير .

(صمت)

الممثلة : سوف تعود المياه الى مجاريها .

(صمت)

المثلة : (مشيرة الى الممثل) سيكون أول من يعتذر ، انى خير من يعرفه .

(صمت)

(يتبادلان نظرة طويلة . هى متطلعة فى لهفة وهو لا ينم وجهه عن شيء . تنبسط أساريره فى بطء ثم يبتسم . يمد يده اليها فيتصافحان ثم يمضى على مهل الى الخارج ويرد الباب وراءه . الممثلة تتابعه بعينيها ثم تظل رانية الى الباب)

المهمّة



بقعة صحراوية خالية . تقوم فى وسطها هضبة صخرية . أمام الهضبة يتمشى شاب جيئة وذهابا وهو ينظر فى ساعته من آن لآن . الوقت اصيل . الشاب انيق بدرجة ملحوظة ، والجو يوحى بأنه ينتظر موعدا غراميا .

يترامى من الخارج وقع أقدام ثقيلة . الشاب يرهف السمع فى قلق ، وباقتراب الأقدام يتجهم وجهه ويتوقف عن المشى فيلزم مكانا أمام الهضبة .

يدخل رجل فى الخمسين ، مهمل الهندام ، ولكنه قوى البنية يلقى على الشاب نظرة عابرة ثم يمضى الى يسار الهضبة فيقف متطلعا الى الخلاء .

الشاب ينظر صوب الرجل مقطبا ولكن الآخر يبدو وكأنه لا يشعر له بوجود . يقترب منه خطوة .

الشاب : (مخاطبا الرجل بصوت مرتفع لا يخلو من تحد وغضب) ماذا تريد ؟

(يظل الرجل رانيا الى الخلاء كأنما يسمع صوتا)

الشاب : (بصوت اشد ارتفاعا) انى أسألك عما تريد .

(الرجل يبدو مستغرقا فى الأفق ، ويترنم مغنيا) والله زمان زمان والله ..

الشاب : (بحدة حانقة) لماذا تتبعنى ؟

(الرجل يواصل ترنمه فى هيمان)

الشاب : اننى أخاطبك وانت تعلم ذلك ، لا أحد سوانا فى هذا الخلاء .

الرجل : (ملتفتا اليه فى دهشة) حضرتك تخاطبنى ؟

الشاب : دون سواك .

الرجل : معذرة ، ماذا قلت ؟
الشاب : انى أسألك عما تريد منى .
الرجل : (متظاهرا بالدهشة) أنا ؟!
الشاب : أنت ، انت دون سواك .
الرجل : عجيب سؤالك يا سيدى ، انا لا أريد منك أى شيء .
الشاب : لم اذن تتبعنى باصرار ؟
الرجل : اتبعك ، انى أراك لأول مرة فى حياتى !
الشاب : (بعناد) انك تتبعنى منذ الصباح الباكر ، ولم تكف عن تبعى حتى هذه اللحظة من الأصيل .
الرجل : انت مخطيء فى ظنك فأنا لم ارك وبالتالى لم اتبعك .
الشاب : لم اذهب الى مكان الا رايتك قادما فى اثرى .
الرجل : لا يحق لى أن اكذبك ولكنى لم ارك ولم اتبعك .
الشاب : (بنبرة لا تخلو من تهكم) أهى مجرد مصادفة ؟
الرجل : سمها كيفما شئت .
(صمت . يعود الرجل الى النظر صوب الأفق اما الشاب فلا يبرح مكانه ولا يكف عن النظر اليه)
الشاب : هل تتفضل باخبارى عن الجهة التى تنوى الذهاب اليها بعد هذه الوقفة ؟
الرجل : (ملتفتا نحوه فى دهشة) بأى حق تسألنى هذا السؤال الغريب !
الشاب : معذرة ، اود التخلص من فكرة تباعك لى .
الرجل : أنا لا اعرفك ، لم أتبعك ، وفى هذا الكفاية .
الشاب : ألم توجد فى ميدان القلعة صباحا ؟
الرجل : بلى .
الشاب : ألم تتناول فطورك فى مطعم .. فلافل .. بشارع محمد على ؟
الرجل : بلى .
الشاب : الم تذهب بعد ذلك الى مقهى الشمس ؟

الرجل : بلى .
الشاب : الم تقم بزيارة قصيرة لدار الآثار ؟
الرجل : بلى .
الشاب : الم تشهد مزادا بصالة المعروضات بالدقى ؟
الرجل : بلى .
الشاب : الم تذهب بعد ذلك الى عيادة الدكتور عرنوسي طبيب الأسنان ؟
الرجل : بلى .
الشاب : الم . .
الرجل : (مقاطعا) أكنت تتبعنى يا سيدى ؟
الشاب : (ضاحكا ضحكة جافة) أنا ؟!
الرجل : اليس من الغريب أن تعرف تحركاتى طيلة اليوم بهذه الدقة ؟ !
الشاب : ولكنك كنت ، لا مؤاخذة ، كأنك كنت تتبعنى !
الرجل : لقد شغلت نفسك بى اكثر مما يتصور .
الشاب : فى كل مكان رايتك قادما فى أثرى ، حتى فى هذه المنطقة النائية الخالية !
الرجل : عجيب اننى لم أرك ولا مرة واحدة .
الشاب : الحق ان عينينا التقتا اكثر من مرة .
الرجل : لا يرى الانسان جميع ما تقع عليه عيناه من اشياء .
الشاب : اذن فأنت لا تتبعنى ؟
الرجل : ولم أتبعك ؟
الشاب : لعلك تعذرنى .
الرجل : لك العذر .
الشاب : مصادفة عجيبة .
الرجل : هى بالقياس الى لا شىء .
(الشاب يضحك ضحكة عصبية ثم يسود الصمت . وعندما يهم الشاب بالابتعاد يتكلم الرجل)

الرجل : آسف جدا لأنى ازعجتك بغير قصد .
الشاب : ان تصدق أن شخصا ما يتبعك أمر مزعج حقا .
الرجل : ليس فى جميع الأحوال .
الشاب : اعنى اذا كنت تجهله وتجهل مقصده بالتالى .
الرجل : ولكنك شاب مهذب برىء الساحة ؟
الشاب : لا يكفى هـذا لاسكات وساوسـك ما دمت تجهله وتجهل مقصده .
الرجل : (باسما) ايها ابعث على الخـوف .. المجهول أم المعروف ؟
الشاب : الأمر يتوقف على السبب وعلاقته بنا .
الرجل الحق اننا نخاف اكثر مما ينبغى .
(الشاب يصمت متجهما)
الرجل : اكرر الأسف .
الشاب : (بعصبية) الحق انك افسدت على يومى كله .
الرجل : عجيب أن نرتكب جريمة ونحن لا ندرى .
الشاب : وجئت الى هـذه البقعة الخالية النبائية لاكتشفك واحرجك !
الرجل : لعل مجيئى يقطع ببراءتى .
الشاب : ترى ما الذى دعاك الى المجىء الى هنا ؟
الرجل : انها احد الأماكن المختارة التى اشهد فيها الغروب .
الشاب : اتحب الغروب ؟
الرجل : انه أحب ساعات اليوم الى نفسى .
الشاب : ألم يزعجك أن تجدنى هنا ؟
الرجل : انا احب الناس .
الشاب : (بعد تردد واضح) هلا اخبرتنى عن خطوتك التالية ؟
الرجل : أما زلت على ريب منى ؟
الشاب : كلا ، لكنى أود أن امتحن دهاء المصادفة .

الرجل : الواقع انى سرت طيلة اليوم على غير هدى وبلا خطة موضوعة ، انه يوم عطلتى .

الشاب : لا بد من فكرة تقودك فى يوم عطلتك .

الرجل : من طول خضوعى للتخطيط على مدى الأسبوع فانى أتحرر يوم العطلة من اى قيد .

الشاب : أما أنا فسأبقى هنا بعض الوقت ثم اذهب الى حانة « الأحمر والأبيض » .

الرجل : (بحماس مفاجىء) حانة النبيذ الفاخر والسلطة الخضراء !.. ما اجملها !

الشاب : هل تقرر الذهاب اليها ؟

الرجل : أعترف بأنك ذكرتنى بمكان أحب الجلوس فيه !

الشاب : وبعد ذلك سأمضى الى بيتى !

الرجل : من يدرى ، ربما توثقت العلاقة بيننا فى « الأحمر والأبيض » فنمضى الى البيت معا .

(يضحكان معا ، ثم يسود الصمت . يلتفت الشاب الى الناحية الأخرى فيعود الرجل الى التطلع صوب الأفق . الشاب يتمشى غير خال من القلق . يختلس الى ظهر الرجل النظرات ، ينظر فى ساعته ، يتضاعف قلقه . تدخل فتاة جميلة متأنقة . ما ان ترى الشاب حتى تهرع نحوه متهللة ولكنها تنتبه الى وجود رجل غريب فتتمالك مشاعرها وتلوح فى وجهها خيبة . الشاب يمضى بها الى يمين الهضبة . يتبادلان قبلة)

الشاب : لسنا وحدنا .

الفتاة : ماذا يفعل ؟

الشاب : ينتظر الغروب !

الفتاة : الغروب ؟ !

الشاب : (متهكما) أحب ساعات اليوم اليه .
الفتاة : هل تعرفه ؟
الشاب : كلا .
الفتاة : هل حادثته ؟
الشاب : نعم .
الفتاة : لم ؟
الشاب : الواقع انه لم يفارقنى منذ الصباح الباكر .
الفتاة : (بدهشة) كيف ؟
الشاب : ظننته يتبعنى .
الفتاة : ما دام لم يفارقك طوال اليوم .
الشاب : ولكنه اكد لى أنه لم يرنى .
الفتاة : وهل صدقته ؟
الشاب : لم اكذبه .
الفتاة : الا ترى انه يحسن بنا أن نذهب ؟
الشاب : انى ضنين باللقاء .
الفتاة : ولكن قلبى غير مطمئن .
الشاب : لعله ينتظر صديقة .
الفتاة : ليتها تجىء لتحل المشكلة من أساسها !
(يتبادلان قبلة طويلة)
الفتاة : (مشيرة الى الناحية الأخرى من الهضبة) لم يفارقك طوال اليوم ؟
الشاب : بلى .
الفتاة : لنذهب .
الشاب : لماذا يتبعنى ؟
الفتاة : (بقلق واضح) ترى هل يتعلق الامر بى ؟
الشاب : هل سبق لك أن رايته ؟
الفتاة : لا لم المح ظهره ، وبسرعة عابرة ، لم يذكرنى بأحد أعرفه .

الشاب : لا داعى لكثرة الظنون .
الفتاة : ارى أنه يحسن بنا أن نذهب .
الشاب : لننتظر فانى ضنين باللقاء .
الفتاة : اعترف بأننى بت أكرهه بقدر ما أخافه .
الشاب : كيف تخافينه وانت لم ترى الا ظهره !
الفتاة : انه ذو قصة مريبة تدعو للانزعاج .
الشاب : بوسعنا أن ننساه تماما ونعبث بنواياه .
الفتاة : نواياه ؟ !
الشاب : اعنى ان كان ثمة نوايا يضمرها حقا .
الفتاة : ولكن كيف ؟
الشاب : (وهو يجذبها نحو صدره) هكذا .

(يتعانقان وهما يتبادلان قبلة طويلة . يواصلان العناق والقبل كأنما قد نسيا الآخر تماما . فى أثناء ذلك يجلس الآخر على الأرض كأنما اتعبته الوقفة . يمد ساقيه ويسند رأسه الى حافة الهضبة . صوت غراب ينعق . الشاب والفتاة يفيقان من سكرة الحب . يتبادلان النظر فى دهشة)

الفتاة : كم مضى من الوقت ؟
الشاب : لا ادرى ، ولن انظر فى الساعة فما احب أن أكدر صفونا بالزمن .
الفتاة : (مشيرة الى الناحية الأخرى) ترى هل ذهب ؟
الشاب : سيان عندى أن يذهب أو أن يبقى .
الفتاة : لا يند عنه صوت .
الشاب : لعله مات .

(صمت يتخلله تبادل قبل)

الشاب : من الحماقة أن أخافه .
الفتاة : ولكنك تجهله .

الشاب : هو على أى حال كهل وبوسعى أن أصرعه بلكمة واحدة .
الفتاة : ولكنى وجدتك قلقا لدى حضورى .
الشاب : لم أكن أفقت من فكرة مطاردته لى .
الفتاة : لعله ..
(وقبل أن تتم كلامها يترامى اليهما شخير منتظم من ناحية الرجل . يتبادلان نظرة ذاهلة)
الفتاة : نام ؟
الشاب : لعله شخير رجل آخر .
(الشاب يمضى فى حذر شديد نحو الرجل . تتبعه الفتاة . يلقيان عليه نظرة داهشة . الرجل يستيقظ لدى وقوع نظرتهما عليه كأنما رمى بطوبة . ينهض بسرعة ويحدق فيهمابانزعاج وتحد معا)
الرجل : (متجهما) من أنتما ؟ .. ماذا تبغيان ؟
الشاب : لا مؤاخذة .. لم نقصد ازعاجك .
الرجل : (مستعيدا تذكره وهدوءه) آه .. انت ..
(صمت وارتباك والرجل يردد بصره بينهما)
الرجل : (باسما) وقعت أحداث جديدة فى اثناء غفوتى !
الشاب : أى أحداث ؟
الرجل : (ناظرا نحو الفتاة) كنت وحدك فيما اذكر !
الشاب : ثم لحقت بى خطيبتى !
الرل : (مبديا دهشة سمجة) خطيبتك !
الشاب : (بحدة) نعم خطيبتى !
الرجل : (بقحة) وكيف تجىء بخطيبتك الى هذه البقعة النائية المهجورة ؟
الشاب : (غاضبا) بأى حق تحاسبنى على ما افعل ؟
الرجل : (متراجعا) معذرة . لم استرد تفكيرى السليم بعد ..

(يهم الفتى والفتاة بالذهاب ولكن الرجل يسارع باعتراض سبيلهما)

الرجل : متى نذهب الى حانة « الاحمر والأبيض » ؟

الشاب : نذهب ؟

الرجل : ألم نتفق على ذلك ؟

الشاب : كلا .. قلت لك انى ذاهب لا اننا ذاهبان ، وقد عدلت عن قرارى .

الرجل : يا للخسارة !

الشاب : اذهب انت اذا شئت ..

الرجل : لعلك ضحكت علىّ حين كنت تنتظر خطيبتك ؟

الشاب : لا داعى للأخذ والرد .

الرجل : واذن فلم تقصد هذا المكان لتحرجنى كما قلت ؟

الشاب : لننه حديثا لا جدوى منه .

الرجل : ولكننا وصلنا فى الحديث الى حافة الصداقة .

الشاب : لندع ذلك الى فرصة أخرى .

الرجل : (راجعا الى مكانه الأول) اتمنى لكما وقتا طيبا .

(الرجل يعود الى موقفه الأول ليرنو من جديد الى الأفق . يعود الشاب بالفتاة الى موقفهما الى يمين الهضبة) .

الشاب : ها قد عدنا الى الجنة .

الفتاة : ليتنا لم نغادرها .

الشاب : لعنة الله على الفضول .

الفتاة : دعنى اذهب ..

(يضمها الى صدره ويقبلها فتستسلم دون استجابة)

الشاب : ابتسمى .

الفتاة : يا له من رجل كريه .

الشاب : لنلق به فى النسيان .

(يتعانقان حتى يغيبا عن الوجود .. فى أثناء ذلك



يتسلل الرجل من موقفه حتى يقف قبالتهما ويبدو سعيدا بمشاهدتهما . ينتبهان اليه . ينفصلان فى ارتباك وانزعاج . الشاب يرميه بنظرة غاضبة)

الرجل : ما أجمل هذا .

الشاب : وقاحة .

الرجل : استمرا فى لعبكما الظريف .

الشاب : (محتدا) ماذا جاء بك ؟

الرجل : بالله لا تغضب .

الشاب : وقح .

الرجل : انك لا تقدر وقع كلمة قاسية على رجل يحب الناس.

الشاب : ماذا جاء بك ؟

الرجل : احب ان أرى الاشياء الطريفة .

الشاب : احذر ان تدفع ثمن قحتك .

الرجل : لقد تسللتما لتلقيا على نظرة وانا نائم وها انا أرد التحيـة .

الفتاة : (وهى تهم بالذهاب فيمسك الشاب بها) انى ذاهبة.

الرجل : (للفتاة) لا تذهبى ، لم أقصد ازعاجك .

الشاب : هذا سلوك غير لائق .

الرجل : بل هو طبيعى وجميل .

الشاب : اذهب .

الرجل : الا ترى أنى أعرض مودتى بغير حساب ؟

الشاب : اذهب والا ..

الرجل : يجدر بك الا تهددنى .

الشاب : سأفعل اكثر من التهديد .

الرجل : كلا ، لا تدفعنا الى عواقب غير محمودة .

الشاب : لك .

الرجل : ولك أيضا .

الشاب : لا تحملنى على تأديبك وانت فى سن أبيه .

الرجل : لا تغتر بفوارق السن .

الفتاة : دعنى أذهب .

الرجل : (الفتاة) محال ان تكدرى صفوك بسببى .

الفتاة : اذن فابتعد عنا .

الرجل : انها فرصة نادرة لمشاهدة الحب .

الشاب : اانت مجنون ؟

الرجل : انا رجل يحب مشاهدة الطرائف ، جرب ذلك بنفسك اذا شئت .

الشاب : ماذا تعنى ؟

الرجل : (حانيا راسه بأدب) دعنى أحل محلك وتفضل بمشاهدتنا انت لتحكم بنفسك .

(الفتاة تلطمه . الرجل يتلقى اللطمة باسما)

(صمت)

الفتاة : (هامسة للشاب) دعنى اذهب .

الشاب : (بعناد وكبرياء) كلا .

الفتاة : بل يجب ان اذهب فى الحال .

الشاب : (باصرار) لن تذهبى ..

(الرجل يبتعد خطوات ، يتحسس خده مكان اللطمة وهو ما يزال يبتسم)

الرجل : (مخاطبا الخلاء) بنوايا طيبة أسير ، ولكنى أتلقى اللطمات أو كلمات أقسى من اللطمات ، لماذا ؟ ، لماذا يصر الناس على الوهم والحماقة ؟ ، لم لا يقفون على أرض الواقع ؟ ، كيف لا يفرقون بين العدو والصديق ؟

الفتاة : (للشاب) لا تكن عنيدا .

الشاب : لن تذهبى ..

الفتاة : لا فائدة ..

الشاب : ولكنك لن تذهبى .

الرجل : (مستمرا فى مخاطبة الخلاء) المتعلم والأمى فى الجهالة سواء ، لم يسيئون الظن بى ؟ ، ماذا عليهم لو استمروا فى لهوهم أمام وجودى البرىء ؟ ، أحب مشاهدة الأفراح ، ولا عدو لى الا الحماقة والأنانية ..

الفتاة : (للشاب) انه مجنون .

الشاب : ليكن .

الفتاة : انى خائفة

الشاب : لست عاجزا عن حمايتك .

الرجل : (مخاطبا الخلاء أيضا) يخلقون المتاعب من لا شىء ثم يلقون بها فى وجهى ، أهيم على وجهى باحثا عن أشياء ثمينة فلا القى الا الصد ، الخلاء يشهد بأننى ذو شأن ولكن اللعنة على الحماقة ..

الفتاة : انه مجنون ، لن أبقى دقيقة أخرى .

(الفتاة تمضى نحو الخارج . الشاب يلحق بها فيمسك بيدها)

الفتاة : لا بد من ذهابى .

الشاب : ولكن ..

الفتاة : لا تكرهنى على البقاء .

الشاب : اذن فلأوصلك ..

الفتاة : (مانعة اياه بيدها) ابق حتى لا يتبعنا .

(يتصافحان . تغادر المكان . الشاب يتبعها عينيه الرجل يقترب منه ولكنه يتجاهله)

الرجل : أقدم لك اعتذارى بقلب ملؤه الأسف .

(الشاب يصر على تجاهله)

الرجل : أى نحس يفسد علىّ مطالبى البريئة ؟!

(الشاب يتمشى والرجل يتبعه كظله)

الرجل : أكرر الأسف من كل قلبى .

الشاب : (متوقفا عن المشى فى مواجهته) ألا تخجل من نفسك ؟

الرجل : انظر الى جزاء من يسعى الى حب الناس !

الشاب : اتسخر منى ؟

الرجل : صدقنى فيما اقول ، بيد انى رجل سيىء الحظ .

الشاب : لقد ضيعت علىّ ثمرة يومى المرهق الطويل بلا حياء .

الرجل : أنا ؟

الشاب : دون غيرك .

الرجل : كلما سعيت الى انسان بقلب مفتوح رميت بهذه التهمة .

الشاب : يخيل الى أنك ذو تاريخ قديم فى النحس .

الرجل : لا ذنب لى على الاطلاق .

(الشاب يغادره الى يسار الهضبة فيتبعه على الأثر)

الرجل : أود أن تؤمن ببراءتى ..

الشاب : أمن الضرورى أن تلاحقنى لتحدثنى عن نحسك ؟

الرجل : فرصة طيبة للحديث والتعارف .

(الشاب يقطب ثم يسود صمت)

الرجل : افتح لى صدرك .

الشاب : أكنت تتبعنى منذ الصباح كما ظننت ؟

الرجل : (باسما) بصراحة نعم .

الشاب : اذن كذبت على ؟

الرجل : بسبب نحسى المزمن أصبح الكذب وسيلتى المفضلة للدفاع عن النفس .

الشاب : أكنت تعرفنى ؟

الرجل : كلا .

الشاب : لم تبعتنى ؟

الرجل : انى أهيم على وجهى من مطلع الصبح فأتبع أول من يصادفنى .

الشاب : أيا كان ؟
الرجل : أيا كان .
الشاب : كل يوم ؟
الرجل : كل يوم .
الشاب : أليس لك عمل فى الحياة ؟
الرجل : لست فى حاجة الى عمل .
الشاب : ثرى ؟
الرجل : موفور الايراد .
الشاب : ما قصدك من مطاردتى ؟
الرجل : أتصيد لحظة للتعارف .
الشاب : اليس لك اصدقاء ؟

(صمت)

الرجل : وآمل من وراء التعارف ان أحطم أسطورة النحس!
الشاب : (ضاحكا ضحكة مكفهرة) الآن وقفت على سر الحظ العاثر الذى لازمنى طيلة يومى .
الرجل : لا تكن كالآخرين .
الشاب : فى ميدان القلعة زلت قدمى فوقعت على ركبتى .
الرجل : (باسما) كنت تنظر الى امراة فى نافذة !
الشاب : وفى المطعم شرقت حتى قذفت بما فى معدتى .
الرجل : كنت تاكل بسرعة كأنك فى سباق !
الشاب : وفى مقهى الشمس خسرت نقودى .
الرجل : كنت تبلف باستمرار حتى كشف ورقك .
الشاب : وفى دار الآثار وقعت على ركبتى المصابة للمرة الثانية .
الرجل : كنت شارد اللب وتحادث نفسك .
الشاب : واخيرا افسدت على أجمل ثمرة فى يومى .
الرجل : الم توقظنى من النوم بنفسك ؟
(الشاب يعاود ضحكته المكفهرة ثم يسود الصمت)

الشاب : أليس لك أصدقاء ؟
الرجل : (متنهدا) كلا .
الشاب : ألست رب أسرة ؟
الرجل : جربت حظى مرات ولكنى لم اوفق !
الشاب : (يضحك رغما عنه) لا مؤاخذة .
الرجل : العفو .
الشاب : أظن آن لى ان أذهب .
الرجل : (بتوسل) كلا .
الشاب : ليس ثمة ما يدعونى الى البقاء .
الرجل : فلنشهد الغروب معا .
الشاب : لا احب الغروب .
الرجل : ثم نذهب الى حانة « الأحمر والأبيض » .
الشاب : لن أذهب .
الرجل : اذا كنت مفلسا فلا يهمك .
الشاب : لن اذهب .
الرجل : تكره مرافقتى ؟
الشاب : نعم .
الرجل : لا تجعل للخرافة سيطرة عليك .
الشاب : (محتدا) انك وراء ما فقدت من صحة ومال وحب !
الرجل : اقلع عن ترديد الخرافات .
الشاب : اقلع انت عن نحسك .
الرجل : اتوسل اليك ان تبقى ولو حتى ساعة الغروب فحسب .
الشاب : وداعا .

(الشاب يمضى صوب الخارج بعزم وصرامة . الآخر ينظر اليه بأسف . عند منتصف المسافة يتوقف الشاب فجاة ويعلو صوته بالتأوه ثم ينحنى قابضا بيديه على ركبته . الرجل يلحق به متسائلا)

الرجل : مالك ؟
الشـاب : ركبتى !
الرجل : مد ساقك ، دلكها .
الشـاب : نار .. نار موقدة ..
(يثب راجعا على قدمه الأخرى حتى يجلس فى أسفل الهضبة . يمد ساقه السليمة ويثنى الأخرى ثم يتأوه من الأعماق) .
الرجل : ماذا حدث ؟.. كنت فى غاية الصحة ..
الشـاب : الحق انها لم تعد الى حالتها الطبيعية أبدا ..
الرجل : لكنك لم تشك طيلة الوقت .
الشـاب : كان يعاودنى الم خفيف فظننته عابرا .
الرجل : حالة طارئة لا تلبث ان تزول .
الشـاب : لعل وعسى .
الرجل : من المفيد ان تدلكها .
الشـاب : لا أستطيع لمسها ..
الرجل : حال بسيطة فيما اعتقد .
الشـاب (متأوها) قلبى يحدثنى بأن الأمر اخطر مما نتصور .
الرجل : لا تعتمد كثيرا على حديث قلبك .
الشـاب : صدقنى فان الحال خطيرة حقا .
الرجل : ارجو أن تكون واهما ..
الشـاب : اريد اسعافا عاجلا ..
الرجل : سأذهب لاستدعاء الاسعاف .
الشـاب : وتعود بسرعة من فضلك !
الرجل : لا اظن فان اقرب تليفون يقع على مسيرة غير قصيرة .
الشـاب : (بقلق) لا تتركنى وحدى طويلا .
الرجل : ماذا تخاف ؟
الشـاب : المساء قريب ، وهذه بقعة غير مأمونة لانسان عاجز .
الرجل : وما الحل ؟

الشاب : هل يمكن ان أسير معتمدا عليك ؟
الرجل : سأضطر الى حملك وهو ما أعجز عنه ، جرب أن تسير على مهل .
الشاب : الحال أخطر مما تتصور .
الرجل : لا بد من حل وبخاصة أننى لن أبقى بعد الغروب !
الشاب : ولكنك لن تتركنى وحدى !
الرجل : أخشى أن أضطر الى ذلك اذا لم تسعفنى بحل .
(صمت وتأوه)
الشاب : ولكنك لن تفعل ذلك .
الرجل : لا يمكن ان أبقى هنا الى ما شاء الله ولكنى سأتلفن للاسعاف فى طريق العودة .
(الشاب يرمقه بنظرة صامتة متألمة)
الرجل : سأفعل من اجلك ما لا تنتظره من رجل لا تعرفه ولا يعرفك .
الشاب : (بحياء) حدثتنى عن رغبتك فى الصداقة وامامك فرصة لربطنا برباط المودة الى الأبد .
الرجل : (بشىء من الجفاء) ولكنك رفضت يدى !
الشاب : اغفر لى غضبى الأحمق !
الرجل : الحق انك كرهتنى طوال الوقت .
الشاب : الانسان عدو ما يجهله ولكنى ساعرفك من خلال سلوكك النبيل .
الرجل : (بنبرة لم يعد بها اثر من الرقة القديمة) لا اقبل اصطياد صداقة تحت وطأة ظروف قاهرة .
الشاب : (بضراعة) ولكنك انسان كبير القلب .
الرجل : اول كلمة طيبة اسمعها منك .
(صمت)
الشاب : ماذا تنوى أن تفعل ؟
الرجل : سأشاهد المغيب ثم اذهب .

الشاب : وتتركنى عاجزا للخلاء والليل ؟
الرجل : لا حيلة لى فى ذلك .
الشاب : سيكون سلوكا غير انسانى .
الرجل : لم ألق من السير وراء الناس الا الصد والاتهام واللعنة !
(الشاب يتأوه)
الرجل : أأنا الذى خلقت النحس حقا ؟
(الشاب يتأوه)
الرجل : كيف تعاملون الترب ؟.. انه يوارى جثثكم فى التراب ، يصون كرامتكم ، يعرض نفسه لألوان شتى من المخاطر ، ويستحق فى أحاديثكم التقليدية الجنة بغير حساب ، ولكنه لا يسعد فى حياته بصديق واحد ، ويمضى وحيدا كالوباء ..
الشاب : الوقت يمر والحال تزداد سوءا .
الرجل : كم صددتنى ، كم اهنتنى ، ولم تصدق اننى انسان الا بعد اصابتك وقبيل الغروب .
الشاب : يا لسوء حظى !
الرجل : ها انت تعود الى اتهامى .
الشاب : لم اقصد هذا البتة .
الرجل : الست النحس الذى سلبك المال والحب والصحة ؟
الشاب : سيدى !
الرجل : أين فتاتك ؟
الشاب : لا سبيل اليها الآن .
الرجل : اليست هى أولى بتمريضك منى ؟
الشاب : انها لا تعلم بما حل بى .
الرجل : زهدت لوجودى فى وصالك نفسه .
الشاب : (متأوها) أريد اسعافا .
الرجل : سأتلفن للاسعاف فى طريق العودة .

الشاب : لا تتركنى .

الرجل : (متأففا) انك مزعج فى مرضــك كما كنت مزعجا فى صحتك .

الشاب : الا ترى كم انهكنى المرض ؟

الرجل : الا ترى كم انهكنى السير ؟

(صمت)

الشاب : اليس لك خبرة بالاسعافات الأولية ؟

الرجل : لا خبرة لى بشىء .

الشاب : ولكنك فى سن الحكمة والخبرة .

الرجل : اعرف كيف اســير على غير هــدى ، واعرف كيف اســير فى أعقاب انسان احمق ، واعرف كيف آمل دواما فى علاقة لا تتحقق أبدا .

الشاب : (بضراعة متأوهة) لا تذهب .

الرجل : سأذهب عندما يجب الذهاب .

الشاب : لا تذهب .

الرجل : اعتدت أن يقال لى اذهب عندما أرغب فى البقاء وان يقال لى لا تذهب عندما يجب الذهاب .

(الشاب يتأوه . جو المغيب يهبط فيغطى الخلاء . الرجل يمضى الى يسار الهضبة ليتطلع الى الشمس الغاربة)

الشاب : لا تبتعد عن انسان يتألم لتشاهد شمسا تغرب .

الرجل : صه ، لا تكدر صــفو الساعة ، الســاعة الفريدة ، الوحيدة التى تلمس فيها حركة الشمس ، الوحيدة التى تنظر فيها الى الشمس دون أن تصاب بالعمى ، الوحيدة التى يرى فيها الظلام وهو يزحف ، الوحيدة التى أسمع فيها التوسلات بدلا من اللعنات ، ها هى الشمس ، ها هى الشمس تختفى تماما . .

(الرجل يتحول عن موقفه متجها نحو الشاب ويرنو اليه دقيقة) .

الرجل : الوداع .

(ثم يسير على مهل نحو الخارج)

الشاب : لا تذهب .

(يواصل السير غير ملتفت اليه)

الشاب : استحلفك بالله .

(يواصل سيره)

الشاب : انتظر .. انتظر ..

(الرجل يختفى)

الشاب : عليك اللعنة .

(الشـــاب ينظر فيما حوله بخـــوف . الظلام يهبط رويدا حتى يختفى كل شيء ..)

(تمر فترة صمت على تلك الحال)

(ثم تترامى أضواء من وراء الهضبة . ويسمع وقع اقدام قادمة . من يمين الهضبة ومن يسارها يجىء رجلان حاملين مشـــعلين ، يرتدى كل منهما سروالا وصدارا أحمرين . يقفان على مبعدة من الشاب الى اليمين والى اليسار ويلازمان الصمت طوال الوقت . يبدو الشاب على ضوء المشعلين مستغرقا فى النوم . ثم يتبعهما رجلان فى أردية سوداء يحمل كل منهما سوطا وحبلا معقودا . يقفان عن يمين الشاب ويساره وهما يحملقان فى وجهه . يوثقان يديه وقدميه باحكام ثم يعودان الى وقفتهما ممعنين فيه النظر . الشاب يفتح عينيه . ينظر الى الأمام فى ذهول . يهم بالحركة فيدرك أنه مكبل بالحبال . ثم ينتبه الى وجود الرجال الأربعة . يردد عينيه بينهم فى دهشة ووجل)

الشاب : من أنتم ؟.. وماذا تريدون ؟
الرجل١ : (للرجل رقم ٢ فى تهكم) انه لا يعرفنا !
الرجل ٢ : (فى تهكم أيضا) طبعا .. انه يرانا لأول مرة .
الرجل ١ : (للشاب) أليس كذلك أيها المخادع المارق !
الرجل ٢ : انت لا تعرفنا ، هه ؟
الشاب : آسف ، لم أكن أفقت من النوم بعد .
(يركلانه بقدميهما فيصرخ)
الشاب : الرحمة ..
الرجل ١ : (ضاحكا) ابن الأبالسة يطلب الرحمة !
الشاب : لا تحكموا علىّ بالظواهر ، أنا برىء ..
الرجل ٢ : نفس الكلمات ، لا جديد ، نفس الأكاذيب العفنة !
الشاب : كنت دائما حسن النية ولكن الزمن عنيد .
الرجل ١ : الزمن ، الزمن ، ذلك المتهم الوهمى .
الشاب : الرحمة .
الرجل ٢ : الرحمة ؟ !
الشاب : العدل .
الرجل ١ : لا يدرى ماذا يطلب .
الشاب : الرحمة والعدل .
الرجل ٢ : قلت الرحمة ثم العدل فماذا تطلب الرحمة أم العدل ؟
الشاب : الرحمة والعدل .
الرجل ١ : لا تكن طماعا .
الرجل ٢ : نحن لا نعطى عادة الا الموت .
الرجل ١ : والرحمة والعدل لا يجتمعان .
الشاب : ولم لا يجتمعان ؟
(يركلانه مرة ثانية فيصرخ)
الرجل ١ : هـذا التأديب عدل لأنك تستحقه فكيف يمكن ان تعامل بالرحمة فى الوقت نفسه ؟!

الرجل ٢ : حدد افكارك عما تريد ، العدل أم الرحمة ؟

الرجل ١ : (بحدة) العدل أم الرحمة ؟

الشاب : الرحمة ، لعل الرحمة هى ما أريد ..

الرجل ١ : ألست على يقين مما تريد ؟

الشاب : لست على يقين من شىء ، لقد انهكنى التعب .

الرجل ٢ : الم تبدد الوقت بغير حساب ؟

الشاب : يلزمنى شىء من الراحة لأحسن الاجابة ، فكوا قيودى لأحظى ببعض الحرية .

الرجل ١ : (ضاحكا) ها هو ينادى بالحرية كمطلب جديد !

الرجل ٢ : الحرية بعد العدل والرحمة !

الشاب : أليست جميعها أخوات لا يفترقن ؟

الرجل ١ : ابن الأبالسة عقد بينها أواصر القربى ليطالب بالدنيا والآخرة !

الرجل ٢ : استمر فى الطلب الى غير نهاية ، وبلا حياء ، ماذا تريد أيضا ؟، ثروة ؟، صحة ؟، جاه ؟، ما رأيك فى الحب ؟، الذرية ؟، طاقية الاخفاء ؟، جناحين للطيران ؟، هرمونات لتجديد الشباب ؟، مهضمات وملينات ومسهلات ؟، فاتحات شهية ؟، جواز سفر الى جميع البلدان ؟، ماذا تريد أيضا ؟

الشاب : بعض الرفق ، نحن اخوة !

الرجل ١ : اخوة !، من ناحية الأب أم من ناحية الأم ؟

الشاب : أعنى أننا جميعا بشر .

الرجل ١ : تريد أن تستغلنا باسم البشرية ، هه ؟، ولأنك تتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الكون فسوف تحاول استغفال الكون كله ، ماذا تريد أيضا ؟

الشاب : انى متألم فكوا قيودى .

الرجل ٢ : تريد الحرية ؟

الرجل ١ : ان كنت تريد الحرية فاختر بنفسك الوسيلة التى نقتلك بها .

الشاب : لا تسخروا منى ، لا تعارض يا سادة بين الحرية والعدل والرحمة !

الرجل ١ : كذبت ، كل واحدة منها تستورد من بلد غير البلد التى تستورد منه الأخرى .

الرجل ٢ : ويؤدى ثمنها الباهظ بالعملة الصعبة .

الشاب : انى متألم لحد العجز .

الرجل ١ : الحرية أم العدل أم الرحمة ؟

الرجل ٢ : نريد جوابا صريحا غير متردد .

الرجل ١ : جواب صريح لا رجعة فيه .

الرجل ٢ : ان اردت الرحمة قتلناك بلا تحقيق ، وان أردت العدل قتلناك بعد تحقيق ، وان أردت الحرية فاقتل نفسك بالوسيلة التى تفضلها !

الرجل ١ : ماذا تريد ؟، تكلم بوضوح وصراحة ، العدل أم هرمونات تجديد الشباب ؟، الرحمة أم جواز سفر الى جميع البلدان ؟، الحرية أم املاح الفواكه الفوارة ؟، ما طريقة القتل المفضلة لديك ؟، الك وصية فيما يتعلق بجثتك ؟.. أترغب فى دفنها ؟، فى حرقها ؟، فى تركها فى الخلاء ؟، فى شحنها الى بلد معين ؟

الرجل ٢ : ماذا تريدنا على ان نفعل بالذرات التى يتكون منها جسدك ؟، أن نتركها للديدان ؟، ان نهبها للجمعية الطبية ؟ ان نصنع منها قنابل مدمرة ؟

الشاب : لا سبيل الى التفاهم فيما بيننا .

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : لقد بددت وقتنا سدى ، الهذا ارسلناك ؟

الشاب : أرسلتمونى ؟!، متى كان ذلك ؟، لم يرسلنى احد !

الرجل ٢ : يا لك من كذاب مخادع !.

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : أحقا لم يرسلك أحد ؟

الشاب : معذرة ، ضعفت ذاكرتى من المرض والانهاك ، معذرة .

الرجل ٢ : أم تريد أن تتنصل من المهمة التى كلفت بها ؟

الشاب : المهمة ؟!

الرجل ٢ : المهمة التى كلفت بها !

الشاب : اى مهمة ؟

الرجل ٢ : يا لك من كذاب مخادع !

(يضربه بالسوط . الشاب يصرخ)

الرجل ١ : والا فلماذا أرسلناك ؟

الشاب : أنتم صادقون وأنا معذور ، الزحام هناك شديد ، والأصوات مزعجة ، وعملى اليومى استغرق جل وقتى .

الرجل ١ : وما عملك اليومى ؟

الشاب : مدرس تاريخ .

الرجل ٢ : حدثنا عن دروسك ، ماذا فعل الانسان القديم ؟

الشاب : اكتشف الزراعة ، صنع التقويم ، بنى الأهرام ، هزم وانهزم ..

الرجل ١ : الم يذكرك شيء من ذلك بمهمتك ؟

الشاب : كنت مستغرقا طوال الوقت .

الرجل ١ : ألم تخطر بذاكرتك ولو كالهمس ؟

(الشاب يصمت . الرجل١ يضربه بالسوط فيصرخ متوجعا)

الرجل ٢ : اعترف ..

الشاب : اللعنة على ذاكرة لا تسعف صاحبها بما يجب أن تتذكره .

الرجل ١ : كذاب .
الرجل ٢ : اعترف بأنك تجنبت ذكر ما يجر عليك المتاعب .
الرجل ١ : مخادع جبان .
الشاب : جربونى مرة أخرى !
الرجل ١ : لتعبث بنا مرة أخرى .
الشاب : أعطونى رسالة مكتوبة كيلا أنسى .
الرجل ٢ : وكيف نحيط بالظروف المتقلبة التى تواجهك ؟
الشاب : الزحام هناك شديد وهو خليق بأن يشتت الذاكرة .
(الرجل ٢ يضربه بالسوط . الشاب يصرخ)
الرجل ١ : ماذا فعلت بيومك الطويل ؟، لم قصدت ميدان القلعة ؟
الشاب : كنت أسير على غير هدى .
الرجل ١ : تسير على غير هدى وانت لم ترسل الى هناك الا لمهمة ؟
الشاب : كان اليوم عطلة .
الرجل ٢ : ألم تقل لك القلعة شيئا يذكرك بمهمتك ؟
الشاب : زلت قدمى فوقعت على ركبتى .
(الرجل ٢ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)
الرجل ٢ : ألم يوح المطعم لك بشىء ؟، ولا المقهى ؟، ولا دار الآثار ؟، ولا صالة المزاد ؟، ولا عيادة الطبيب ؟.
(الشاب يصمت فى يأس)
الرجل ٢ : وماذا جاء بك الى الخلاء ؟
الشاب : فتاة .
الرجل ٢ : ولم اخترت اللقاء مكانا هو أصلح لدفن الموتى ؟
(صمت)
الرجل ٢ : ألم يذكرك اللقاء بشىء عن مهمتك ؟
الشاب : ثمة رجل كريه كان يتبعنى طوال الوقت فشتت فكرى .

الرجل ١ : حتى ذلك الرجل لم يذكرك بشيء !
الشاب : هو النحس نفسه ، وقد أفسد كل شيء .
(الرجل ١ يضربه بالصوت فيصرخ الشاب)
الرجل ١ : ضيعت وقتك ووقتنا يا جبان .
الرجل ٢ : وكانت الفرص تناديك من كل جانب يا أعمى .
الرجل ١ : ولم نبخل عليك بالتحذير تلو التحذير .
الشاب : ما تلقيت تحذيرا قط .
الرجل ١ : كذاب غبى أعمى .
الشاب : الرحمة !
الرجل ٢ : الرحمة أم العدل أم الحوية ؟
الرجل ١ : أم فاتحات الشهية أم هرمونات الشباب ؟
(يضربانه معا بالسوط وهو يصرخ متوجعا)
(الرجل ١ يشير اشارة خاصة الى الرجلين حاملى المشعلين . الرجل ١ والرجل ٢ يذهبان الى مكانهما الأول وراء الهضبة)
حامل المشعل : (مخاطبا الشاب) لمَ تحنّ أسراب الطيور المهاجرة الى اعشاشها التى تركتها فى الجبل ؟
(يحمل الشاب بين يديه ثم يقول له)
حامل المشعل : تذكر ان الطفل يبكى حين تنحيه امه عن ثديها الأيمن ولكنه يجد فى اللحظة التالية سلواه فى ثديها الأيسر .
(يمضى حامل المشعلين فى مشية متمهلة والآخر يتبعه حاملا الشاب بين يديه)

(ستار)

فهرس

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

		الطبعة الأولى			
مصر القديمة (مترجم من الانجليزية)		١٩٣٢			
همس الجنون	مجموعة اقاصيص	١٩٣٨	الطبعة	الثامنة	١٩٧٣
عبث الاقدار	قصة تاريخية	١٩٣٩	«	السابعة	١٩٧٤
رادوبيس	قصة تاريخية	١٩٤٣	»	السابعة	١٩٧١
كفاح طيبة	قصة تاريخية	١٩٤٤	»	السابعة	١٩٧٢
القاهرة الجديدة		١٩٤٥	»	الثامنة	١٩٧١
خان الخليلي		١٩٤٦	»	السابعة	١٩٧٢
زقاق المدق		١٩٤٧	»	السابعة	١٩٧٢
السراب		١٩٤٨	»	الثامنة	١٩٧٣
بداية ونهاية		١٩٤٩	»	التاسعة	١٩٧٢
بين القصرين		١٩٥٦	»	التاسعة	١٩٧٢
قصر الشوق		١٩٥٧	»	الثامنة	١٩٧١
السكرية		١٩٥٧	»	السادسة	١٩٦٧
اللص والكلاب		١٩٦١	»	السادسة	١٩٧٢
السمان والخريف		١٩٦٢	»	الرابعة	١٩٦٧
دنيا الله	قصص قصيرة	١٩٦٣	»	الثالثة	١٩٧٣
الطريق	رواية	١٩٦٤	»	الثالثة	١٩٦٧
بيت سيء السمعة	قصص قصيرة	١٩٦٥	»	الثالثة	١٩٧٢
الشحاذ	رواية	١٩٦٥	»	الرابعة	١٩٧٢

الطبعة الأولى

ثرثرة فوق النيل	رواية	١٩٦٦	»	الثالثة	١٩٧٣
ميرامار	رواية	١٩٦٧	»	الثالثة	١٩٧٣
خمارة القط الأسود	قصص قصيرة	١٩٦٩	»	الثالثة	١٩٧٤
تحت المظلة	قصص قصيرة	١٩٦٩	»	الثالثة	١٩٧٤
حكاية بلا بداية ولا نهاية	قصص قصيرة	١٩٧١	»	الثانية	١٩٧٣
شهر العسل	قصص قصيرة	١٩٧١	»	الثانية	١٩٧٣
المرايا	رواية	١٩٧٢			
الحب تحت المطر	رواية	١٩٧٣			
الجريمة	قصص قصيرة	١٩٧٣			
الكرنك	رواية	١٩٧٤			

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

الشـ

دار مصر للطباعة